



مرکز تحقیقات اسلامی

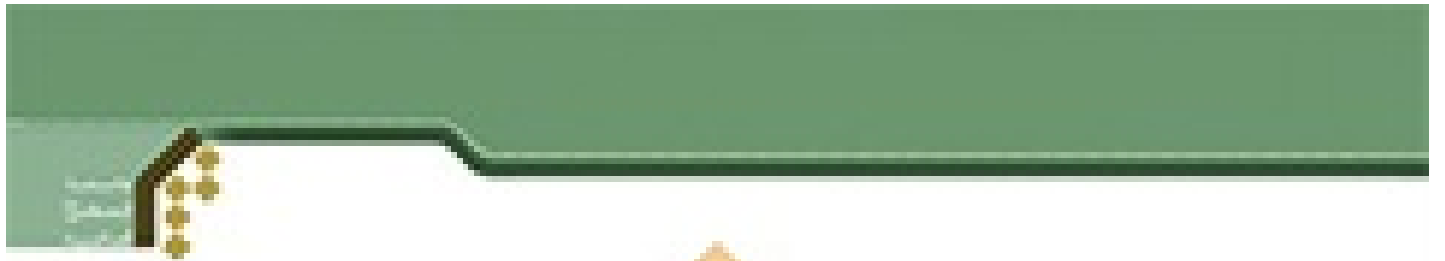
اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir



دروس
تمهيدية
في
العقيدة
الإسلامية



علمها
الدين والعبادة

الجزء الأول
علمها الدين نور الدين القاسمي

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دروس تمهيديه فى العقيدة الاسلاميه

نويسنده:

على شيروانى

ناشر چاپى:

جامعه المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٥	دروس تمهيديه فى العقيدة الاسلاميه
١٥	اشاره
١٦	اشاره
٢٠	مقدمه الناشر
٢٤	مقدمه قسم المناهج الدراسيه
٢٨	الفهرس
٤٢	مقدمه المؤلف
٤٦	المدخل
٤٨	الفصل الأول-علم الكلام والدين
٤٨	اشاره
٥٠	الدرس الأول-علم الكلام
٥٠	اشاره
٥٠	وظائف علم الكلام
٥١	تعريف علم الكلام
٥٢	موضوع علم الكلام
٥٢	وجه التسميه
٥٣	تاريخ علم الكلام والعوامل المؤثره فى نشوئه
٥٤	الكلام الجديد
٥٨	الدرس الثانى-الدين
٥٨	تعريف الدين
٥٨	الدين فى القرآن الكريم
٥٩	المعنى الاصطلاحى للدين عند المتكلمين
٦٢	الدرس الثالث-الأبعاد المختلفه للدين

٦٢	اشاره
٦٢	١- العقائد
٦٢	٢- الأخلاق
٦٣	٣- الأحكام
٦٣	اشاره
٦٣	تنبيه
٦٤	خلاصه البحث
٦٦	الدرس الرابع-ضرورة الدراسه الدينيه
٦٦	اشاره
٦٧	تقرير البرهان ببيان آخر
٦٨	خلاصه البحث
٧٠	الدرس الخامس-ما ينتظره الانسان من الدين
٧٠	اشاره
٧٢	خلاصه البحث
٧٤	الدرس السادس-توقع الدين من البشر
٧٤	اشاره
٧٥	خلاصه البحث
٧٦	الدرس السابع-عوامل النزوع الدينى
٧٦	اشاره
٧٧	١- نظريه الخوف
٧٧	٢- نظريه الجهل
٧٧	اشاره
٧٨	نقد النظريتين
٨٠	ملاحظات
٨٠	خلاصه البحث
٨٢	الدرس الثامن-عوامل العزوف الدينى فى اوربا

٨٢	اشاره
٨٢	١- قصور مفاهيم الكنيسه
٨٣	٢- العنف الكنسى
٨٤	٣- قصور المفاهيم الفلسفيه
٨٦	٤- عدم نضوج المفاهيم الاجتماعيه والسياسيه
٨٧	٥- إبداء النظر من قبل غير الإخصائيين
٨٨	٦- الفصل بين العباده وبين السعاده الدنيويه
٩٠	٧- الفساد الأخلاقى والعملى
٩١	خلاصه البحث
٩٤	الفصل الثانى-مباحث التوحيد
٩٤	اشاره
٩٦	الدرس الأول-أهميه معرفه الله
٩٦	اشاره
٩٧	من هو الله ؟
٩٨	الله عند سقراط
٩٨	الله عند أفلاطون
٩٨	الله عند أرسطو
٩٩	الله لدى الكنيسه فى العصور الوسطى
١٠٠	الله عند غاليلو
١٠١	الله عند نيوتن
١٠٢	خلاصه البحث
١٠٤	الدرس الثانى-الله فى النظرية الإسلاميه
١٠٤	الله فى القرآن الكريم
١٠٩	خلاصه البحث
١١٠	الدرس الثالث-الجميع يعرفون الله
١١٠	بدايه وجود الله فى القرآن الكريم

١١١	بداهه وجود الله فى سائر الكتب السماويه
١١٢	الله فى العصر الجاهلى
١١٢	الاعتقاد بوجود الله لدى قوم نوح وعاد وئمود
١١٤	خلاصه البحث
١١٤	الدرس الرابع-الله والفطره
١١٤	اشاره
١١٤	المعنى اللغوى
١١٧	الفطره فى القرآن الكريم
١١٨	فطره الإنسان الإلهيه
١١٨	إطلاله على نظريه الفطره
١٢٠	فطريه المعرفه الإلهيه
١٢١	خلاصه البحث
١٢٤	الدرس الخامس-برهان النظم
١٢٤	اشاره
١٢٥	تعريف النظم
١٢٥	المقدمه الأولى
١٢٤	المقدمه الثانيه
١٢٤	تنبيهات
١٢٨	خلاصه البحث
١٣٠	الدرس السادس-صفات الله تعالى
١٣٠	صفات الذات وصفات الفعل
١٣١	الصفات الثبوتيه والصفات الفعليه
١٣٢	خلاصه البحث
١٣٤	الدرس السابع-العلم
١٣٤	اشاره
١٣٤	الشواهد القرآنيه

١٣٥ خلاصه البحث
١٣٦ الدرر الثامن-القدره
١٣٦ اشارة
١٣٦ الشواهد القرآنيه
١٣٧ تساؤل
١٣٧ الجواب
١٣٨ خلاصه البحث
١٤٠ الدرر التاسع-الحياه
١٤٠ اشارة
١٤٠ الشواهد القرآنيه
١٤١ خلاصه البحث
١٤٢ الدرر العاشر-الإزاده
١٤٢ اشارة
١٤٣ الشواهد القرآنيه
١٤٣ خلاصه البحث
١٤٤ الدرر الحادى عشر-الحكمه والعدل
١٤٤ اشارة
١٤٥ العدل
١٤٦ الشواهد القرآنيه
١٤٧ خلاصه البحث
١٤٨ الدرر الثانى عشر-التوحيد
١٤٨ اشارة
١٤٩ مراتب التوحيد
١٤٩ اشارة
١٤٩ ١- التوحيد الذاتى
١٥٠ ٢- التوحيد الصفاتى

١٥٢	٣- التوحيد الأفعالي
١٥٢	آثار التوحيد الأفعالي
١٥٣	خلاصه البحث
١٥٥	الفصل الثالث-مبحث النبوه
١٥٥	اشاره
١٥٧	الدرس الأول-تمهيد
١٥٧	اشاره
١٥٧	النبى والوحى
١٥٧	أولاً- ما المراد بالنبى؟
١٥٨	ثانياً- ما المراد من الوحى؟
١٦٢	خلاصه البحث
١٦٥	الدرس الثانى-لزوم بعثه الأنبياء
١٦٥	اشاره
١٦٥	البيان التفصيلى
١٦٧	مثال
١٦٩	الدرس الثالث-ثمار بعثه الانبياء
١٦٩	اشاره
١٧٠	١- التعليم
١٧١	٢- التركيزه
١٧١	٣- التذكير
١٧٢	٤- التحرير من القيود والاعلال
١٧٣	٥- إقامه العدل
١٧٣	٦- الأسوه والقده
١٧٣	الهدف الأساسى لبعثه الأنبياء
١٧٧	الدرس الرابع-عصمه الأنبياء
١٧٧	اشاره

١٧٧	العصمه فى تلقى الوحى وحفظه وإبلاغه
١٧٩	العصمه من الذنوب
١٨٠	سر عصمه الأنبياء من الذنوب
١٨١	خلاصه البحث
١٨٣	الدرس الخامس-طرق إثبات النبوه
١٨٣	اشاره
١٨٣	١- جمع القرائن والشواهد
١٨٣	٢- تنصيص النبى السابق على نبوه النبى اللاحق
١٨٤	٣- المعجزه
١٨٤	اشاره
١٨٤	تعريف المعجزه
١٨٤	خلاصه البحث
١٨٧	الدرس السادس-نبى الإسلام
١٨٧	لمحه تاريخيه
١٨٨	طرق إثبات نبوه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله
١٨٨	اشاره
١٨٨	١- جمع القرائن
١٨٩	٢- تنصيص النبى السابق
١٩١	٣- المعجزه
١٩٢	المعجزه القرآنيه
١٩٤	خلاصه البحث
١٩٧	الدرس السابع-ختم النبوه
١٩٧	دين أم أديان
١٩٨	النبى الخاتم
١٩٨	السرّ فى ختم النبوه
٢٠٠	خلاصه البحث

٢٠٣	الفصل الرابع-مباحث الامامه
٢٠٣	اشاره
٢٠٥	الدرس الأول-الإمامه فى الفكر الشيعى
٢٠٥	نبذه تاريخيه
٢٠٥	تصورات خاطئه لتفسير الاختلاف الشيعى السنى
٢٠٦	النظريه السنّيه فى الإمامه
٢٠٦	النظريه الشيعيه فى الإمامه
٢٠٧	المقارنه بين مقام الإمامه والنبوه
٢٠٨	مجاور الخلاف الأساسيه فى مسأله الإمامه
٢٠٨	خلاصه البحث
٢١١	الدرس الثانى-ضروره وجود الإمام
٢١١	تمهيد
٢١١	إثبات ضروره وجود الإمام
٢١٤	علم الإمام وعصمته
٢١٤	نصب الإمام من قبل الله
٢١٥	خلاصه البحث
٢١٧	الدرس الثالث-إمامه الإمام على عليه السلام والأئمه الأحد عشر من ولده عليه السلام
٢١٧	إمامه الإمام على عليه السلام فى القرآن
٢١٨	آيه الولايه
٢٢١	إمامه الإمام على عليه السلام فى السنّه
٢٢١	حديث الغدير
٢٢٣	دراسه سند الحديث
٢٢٥	دلاليه حديث الغدير
٢٢٦	إطلاله على روايات اخرى
٢٢٧	إمامه سائر الأئمه(عليهم السلام)
٢٢٩	الأئمه الاتنا عشر فى روايات أهل السنّه

٢٣٠ خلاصه البحث
٢٣٣ الدرس الرابع-الإمام الثاني عشر عليه السلام
٢٣٣ اشاره
٢٣٤ البشارات بظهوره (عج) فى الأحاديث النبويه
٢٣٥ الإمام المهدي عند أهل السنّه
٢٣٦ سرّ غيبه الإمام المهدي(عج)
٢٣٨ فوائد وجود الإمام فى عصر الغيبه
٢٤٠ خلاصه البحث
٢٤١ الفصل الخامس-مباحث المعاد
٢٤١ اشاره
٢٤٣ الدرس الأول-المعاد ومكانته فى الفكر الإسلامى
٢٤٣ اشاره
٢٤٣ الإيمان بالمعاد رديف الإيمان بالله
٢٤٥ الدرس الثاني-ضرورة المعاد
٢٤٥ أدلّه ضروره المعاد
٢٤٥ اشاره
٢٤٥ ١- صيانه الخلقه من العبث
٢٤٥ ٢- المعاد مقتضى العدل الإلهى
٢٤٦ ٣- المعاد مقتضى الرحمه الإلهيه
٢٤٦ أهداف وشبهات منكرى المعاد
٢٤٨ خلاصه البحث
٢٥١ الدرس الثالث-حقيقه الموت
٢٥١ اشاره
٢٥٢ العلاقه بين الموت والنوم
٢٥٢ خلاصه البحث
٢٥٥ الدرس الرابع-البرزخ

٢٥٥	اشاره
٢٥٨	البرزخ فى الروايات
٢٥٩	السؤال والحساب بعد الموت
٢٦٠	الميت يزور أهله
٢٦١	خلاصه البحث
٢٦٣	الدرس الخامس-القيامه فى القرآن الكريم
٢٦٣	اشاره
٢٦٣	تزلزل الأرض، الجبال، البحار
٢٦٤	انقلاب السماء والكواكب
٢٦٥	النفخه الأولى فى الصور
٢٦٥	النفخه الثانيه فى الصور
٢٦٦	ظهور حاكميه الله وانقطاع الأسباب والأنساب
٢٦٧	محكمه العدل الإلهى
٢٦٩	يساقون أما إلى الجنة أوالنار
٢٧٠	الجنه
٢٧٢	النار
٢٧٩	الدرس السادس-الشفاعه
٢٧٩	اشاره
٢٨٠	مفهوم الشفاعه
٢٨٠	نفى الشفاعه الباطله وإثبات الشفاعه الحقه
٢٨١	خلاصه البحث
٢٨٣	المصادر
٢٨٧	درباره مركز

سرشناسه: شیروانی، علی، ۱۳۴۳ -

عنوان قراردادی: درسنامه عقاید. عربی

عنوان و نام پدید آور: دروس تمهیدیه فی العقیده الاسلامیه: درسنامه عقاید/ علی الشیروانی؛ تعریب خضر آتش فراز (ذوالفقاری).

مشخصات نشر: قم: مرکز المصطفی (ص) العالمی للترجمه والنشر، ۱۳۹۳. = ۱۴۳۵ ق.

مشخصات ظاهری: ۲۶۴ ص.

فروست: مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للدراسات و التحقیق؛ ۷۷۵.

شابک: ۱۲۵۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۸۵۴-۳

وضعیت فهرست نویسی: فاپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه: ص. [۲۵۹] - ۲۶۴؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع: اسلام -- عقاید

موضوع: شیعه امامیه -- عقاید

موضوع: اصول دین

موضوع: اسلام -- عقاید -- جنبه های قرآنی

شناسه افزوده: آتش فراز، خضر، ۱۳۳۹ - ، مترجم

رده بندی کنگره: ۶۶/۲۰۰/BP/ش ۴۰۴۳۹ ۱۳۹۳

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱

شماره کتابشناسی ملی: ۳۵۲۱۶۹۴

ص: ۱

اشاره

دروس تمهيديه في العقيدة الاسلاميه

على الشيرواني؛ تعريب خضر آتش فراز (ذوالفقارى)

ص: ۳

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

وبعد، إن التطور المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، بخاصه بعد ثوره الاتصالات الحديثه التي هيأت فرصاً فريده للاطلاع الواسع، ودفعت بعجله الفكر والثقافه والتعليم إلى آفاق واسعه.

وغدا الإنسان يترقب في كل يوم تطوراً جديداً في البحوث العلميه، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطور الهائل، ومع كل ذلك بقيت بعض المناهج الدراسيه حبيسه الماضي ومقرراته.

وبعد أن بزغ فجر الثوره الإسلاميه المباركه بقياده الإمام الخميني (قدس سره)، انبثقت ثوره علميه وثقافيه كبرى، مما حدا برجال العلم والفكر في الجمهوريه الإسلاميه أن يعملوا على صياغه مناهج دراسيه جديده لمجمل العلوم الإنسانيه، الإسلاميه بشكل خاص، فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في الكتب الدراسيه في الحوزات العلميه والجامعات الأكاديميه.

وفي ظل إرشادات قائد الجمهوريه الإسلاميه الإمام الخامنئي (مدّظله)؛ أخذت

المؤسّسات العلميه والثقافيه على عاتقها تجديد الكتب الدراسيه وتحديثها على مختلف الصعد، بخاصّه مناهج الحوزه العلميه، التي هي ثمره جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه إلى تبني المنهج العلمى الحديث فى نظامها الدراسى، وفى التأليف، والتحقيق وتدوين الكتب الدراسيه لمختلف المراحل الدراسيه ولجميع الفروع العلميه، ولشئى الموضوعات بما ينسجم مع المتغيرات الحاصله فى مجمل دوائر الفكر والمعرفه.

فقامت بمخاطبه العلماء والأساتذه، ليساهموا فى تدوين كتب دراسيه على الأسس المنهجيه الحديثه للعلوم الإسلاميه خاصّه، ولسائر العلوم الإنسانيه: كعلوم القرآن، والحديث والفقّه، والتفسير، والأصول، وعلم الكلام والفلسفه، والسيره والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفوس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً مع حفاظها على الجانب العلمى الأصيل المتبع فى الحوزات العلميه فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعه المصطفى العالميه صلى الله عليه وآله إلى تأسيس «مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمى للترجمه والنشر» لتحقيق، وترجمه، ونشر كل ما يصدر عن هذه الجامعه الكبيره، ممّا أُلّفه أو حقّقه العلماء والأساتذه فى مختلف الاختصاصات وبمختلف اللغات.

والكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ، دروس تمهيديه فى العقيدته الإسلاميه هو مفرده من مفردات هذه المنظومه الدراسيه الواسعه، قام بتأليفه الأستاذ الفاضل على الشيروانى وترجمه الدكتور خضر آتش فراز (ذوالفقارى) من اللغه الفارسيه إلى العربيه.

ويحرص مركز المصطفى العالمى على تسجيل تقديره لمؤلفه الجليل على

مابذله من جهد وعنايه، كما يشكر كل من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفى الختام نتوجه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيله، للمساهمه فى ترشيد هذا المشروع الإسلامى بما لديهم من آراء بناءه وخبرات علميه ومنهجيّه، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليه من خطأ أو نقص يلازم الإنسان عاده، لتلافيهما فى الطبعات اللاحقه، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمى

للتريجه والنشر

ص: ٧

وضعت الحوزات العلميه - عبر تاريخها المجيد - مهمه التربيه والتعليم على رأس مهامها و جزءاً من رسالاتها الأساسيه، الأمر الذى ضمن إيصال معارف الإسلام الساميه وعلوم أهل البيت (عليهم السلام) إلينا خلال الأجيال المتعاقبه بأمانه علميه صارمه، وفى هذا الإطار جاء اهتمام تلك الحوزه العلميه بالمناهج الدراسيه التعليميه.

ومما لا شك فيه، أنّ التطور التكنولوجى الذى شهده عصرنا الحالى وثورته الاتصالات الكبرى أفرزتا تحولاً هائلاً فى حقل العلم والمعرفه، حتى أصبح بمقدور البشره فى عالم اليوم أن تحصل على المعلومات والمعارف اللازمه فى جميع الفروع بسرعه قياسيه وبسهوله ويسر، فقد حلت الأساليب التعليميه الحديثه والمتطوره محلّ الأساليب القديمه والموروثه كمّاً و نوعاً، وسارت هذه التطورات بسرعه نحو تحقيق الأهداف التعليميه المنشوده.

وبرزت جامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه فى هذا الخضم كمؤسسه حوزويه وأكاديميه تأخذ على عاتقها مسؤوليه إعداد الكوادر العلميه والتعليميه الأجنبيه فى مجال العلوم الإسلاميه، حيث تعكف أعداد غفيره من الطلبة الأجانب الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفه على مواصلة دراسته فى مختلف المستويات التعليميه وضمن العديد من فروع العلوم الإسلاميه والعلوم الإنسانيه التابعه لهذه الجامعه.

وبطبيعته الحال، أنّ العلوم والمعارف الإسلاميه التي يتوافر عليها الطلبة الأجانب تتمايز بتمايز البلدان والأصقاع التي ينتمون إليها، ممّا يدفع جامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه إلى تدوين مناهج حديثه تستجيب لطبيعته التمايز الذي يفرضه تنوع البلدان وتنوع حاجات مواطنيها.

لطالما أكد أساتذته الحوزة ومفكرها ولا سيّما الإمام الخميني (رحمه الله)، وسماحه قائد الثورة الإسلاميه (دام ظلّه) على ضروره أن يستند التعليم الحوزوي للأساليب الحديثه المستلهمة من مناهج الاستنباط في الفقه الجواهرى، وأن يتمّ سوجه نحو مسارات التآلق والازدهار، وفي هذا السياق نشير إلى مقطع من الكلمه المهمه التي ألقاها سماحه قائد الثورة السيّد الخامنئي (دام ظلّه) في عام ٢٠٠٧م، مخاطباً فيها رجال الدين الأفاضل:

بالطبع، أنّ حركه العلم في العقدين القادمين ستشهد تعجيلاً متسارعاً في حقول العلم والتكنولوجيا مقارنة بما مرّ علينا في العقدين المنصرمين...، وفيما يتعلّق بالمناهج الدراسيه يجب علينا توضيح العبارات والأفكار التي تتضمنها تلك المناهج إلى الدرجه التي تنزاح معها كلّ العقبات التي تقف في طريق من يريد فهم تلك الأفكار، طبعاً، دون أن نهبط بمستوى الفكره.

في الحقيقه، لقد استطاعت الثورة الإسلاميه المباركه في إيران - والله الحمد - أن تسند المحافل العلميه والجامعات بطاقات وإمكانات هائله لتفعيلها وتطويرها. ومن هذا المنطلق، واستلهاماً من نمير علوم أهل البيت (عليهم السلام) وبفضل الأجواء التي أتاحتها هذه الثورة العظيمه لإحداث طفره في النظام التعليمي، أناطت جامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه مهمه ترجمه وطباعه ونشر المناهج الدراسيه التي تنسجم مع النظام المذكور، إلى مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمى؛ وذلك بالاعتماد على اللجان العلميه والتربويه الكفوءه، وتنظيم هذه المناهج بالتركيز على الأهميه الإقليميه والدوليه الخاصه بها.

وللحقيقه فإنّ جامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه تملك خبره عاليه في مجال تدوين

المناهج الدراسيه والبحوث العلميه، حيث حَقَّقت تحوُّلاً جديداً في ميدان انتاج المعرفه، وذلك من خلال تجربتها في تدوين مجموعه المناهج الخاصه بالمؤسَّستين السابقتين التي انبثقت عنهما، وهما: «المركز العالمى للدراسات الإسلاميه» و«مؤسسسه الحوزات والمدارس العلميه فى الخارج».

وكانت حصيله الفعاليات العلميه لهذه الجامعه فى مجال تدوين المناهج، إصدار أكثر من مئتي منهج دراسى لداخل البلاد وخارجها، وإعداد أكثر من مئتي منهج وكُراسه علميه، والتي نأمل بفضل العنايه الإلهيه وفى ظل رعايه الإمام المهدي المنتظر(عج) أن تكون قد ساهمت بقسط ولو قليل فى نشر الثقافه والمعارف الإسلاميه المحمديه الأصيله.

وبدوره يشدّ مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى على أيدي الرواد الأوائل ويثمن جهودهم المخلصه، كما يعلن عن شكره للتعاون البناء للجان العلميه التابعه لجامعه المصطفى صلى الله عليه و آله على مواصله هذه الانطلاقه المباركه فى تلبيه المتطلبات التربويه والتعليميه من خلال توفير المناهج الدراسيه طبقاً للمعايير الجديده.

والكتاب الذى بين يدي القارئ الكريم هو ثمره تأليف الاستاذ الفاضل الشيخ على الشيروانى وترجمه من اللغه الفارسيه إلى العربيه الدكتور خضر آتش فراز(ذوالفقارى).

ويحرص مركز المصطفى العالمى على تسجيل تقديره وشكره للمترجم المحترم على ما بذله من جهد وعنايه، كما يشكر كل من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالرجاء إلى العلماء و الأساتذه و أصحاب الفضيله أن يبعثوا إلينا بإرشاداتهم، و بما يستدر كونه عليه منه خطأ أو اشتباه، لتلافيه فى الطبعات اللاحقه.

نسأله تعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه

المدخل ٢٥

الفصل الأول: علم الكلام والدين

الدرس الأول: علم الكلام ٢٩

وظائف علم الكلام ٢٩

تعريف علم الكلام ٣٠

موضوع علم الكلام ٣١

وجه التسميه ٣١

تاريخ علم الكلام والعوامل المؤثره فى نشوئه ٣٢

الكلام الجديد ٣٣

الدرس الثانى: الدين ٣٧

تعريف الدين ٣٧

الدين فى القرآن الكريم ٣٧

المعنى الاصطلاحى للدين عند المتكلمين ٣٨

الدرس الثالث: الأبعاد المختلفه للدين ٤١

١. العقائد ٤١

٢. الأخلاق ٤١

٣. الأحكام ٤٢

تنبيه ٤٢

ص: ١٣

خلاصه البحث ٤٣

الدرس الرابع: ضروره الدراسه الدينيه ٤٥

تقرير البرهان ببيان آخر ٤٦

الدرس الخامس: ما ينتظره الانسان من الدين ٤٩

الدرس السادس: توقع الدين من البشر ٥٣

الدرس السابع: عوامل النزوع الدينى ٥٥

١. نظريه الخوف ٥٦

٢. نظريه الجهل ٥٦

نقد النظريتين ٥٧

ملاحظات ٥٩

الدرس الثامن: عوامل العزوف الدينى فى اوروبا ٦١

١. قصور مفاهيم الكنيسه ٦١

٢. العنف الكنسى ٦٢

٣. قصور المفاهيم الفلسفيه ٦٣

٤. عدم نضوج المفاهيم الاجتماعيه والسياسيه ٦٥

٥. إبداء النظر من قبل غير الإحصائيين ٦٦

٦. الفصل بين العباده وبين السعاده الدنيويه ٦٧

٧. الفساد الأخلاقى والعملى ٦٩

الفصل الثانى: مباحث التوحيد

الدرس الأول: أهميه معرفه الله ٧٥

من هو الله؟ ٧٦

الله عند سقراط ٧٧

الله عند أفلاطون ٧٧

الله عند أرسطو ٧٧

الله لدى الكنيسة في العصور الوسطى ٧٨

الله عند غاليليو ٧٩

الله عند نيوتن ٨٠

ص: ١٤

الدرس الثاني: الله في النظرية الإسلامية ٨٣

الله في القرآن الكريم ٨٣

الدرس الثالث: الجميع يعرفون الله ٨٩

بداهه وجود الله في القرآن الكريم ٨٩

بداهه وجود الله في سائر الكتب السماويه ٩٠

الله في العصر الجاهلى ٩١

الاعتقاد بوجود الله لدى قوم نوح وعاد وشمود ٩١

الدرس الرابع: الله والفضره ٩٥

المعنى اللغوى ٩٥

الفضره فى القرآن الكريم ٩٦

فضره الإنسان الإلهيه ٩٧

إطلاله على نظريه الفضره ٩٧

فضريه المعرفه الإلهيه ٩٩

الدرس الخامس: برهان النظم ١٠٣

تعريف النظم ١٠٤

المقدمه الأولى ١٠٤

المقدمه الثانيه ١٠٥

تنبيهات ١٠٥

الدرس السادس: صفات الله تعالى ١٠٩

صفات الذات وصفات الفعل ١٠٩

الصفات الثبوتيه والصفات الفعلية ١١٠

الدرس السابع: العلم ١١٣

الشواهد القرآنيه ١١٣

الدرس الثامن: القدره ١١٥

الشواهد القرآنيه ١١٥

تساؤل ١١٦

الجواب ١١٦

ص: ١٥

الدرس التاسع: الحياه ١١٩

الشواهد القرآنيه ١١٩

الدرس العاشر: الإراده ١٢١

الشواهد القرآنيه ١٢٢

الدرس الحادى عشر: الحكمه والعدل ١٢٣

العدل ١٢٤

الشواهد القرآنيه ١٢٥

الدرس الثانى عشر: التوحيد ١٢٧

مراتب التوحيد ١٢٨

١. التوحيد الذاتى ١٢٨

٢. التوحيد الصفاتى ١٢٩

٣. التوحيد الأفعالى ١٣٠

آثار التوحيد الأفعالى ١٣٠

الفصل الثالث: مبحث النبوه

الدرس الأول: تمهيد ١٣٥

النبى والوحى ١٣٥

ثانياً: ما المراد من الوحى؟ ١٣٦

تأثير الوحى على الأنبياء ١٣٩

الدرس الثانى: لزوم بعثه الأنبياء ١٤٣

البيان التفصيلى ١٤٣

مثال ١٤٥

الدرس الثالث: ثمار بعثه الانبياء ١٤٧

١. التعليم ١٤٨

٢. التزكيه ١٤٩

٣. التذكير ١٤٩

٤. التحرير من القيود والاعلال ١٥٠

٥. إقامه العدل ١٥١

٦. الأسوه والقدوه ١٥١

ص: ١٤

الهدف الأساسى لبعثه الأنبياء ١٥١

الدرس الرابع: عصمه الأنبياء ١٥٥

العصمه فى تلقى الوحى وحفظه وإبلاغه ١٥٥

العصمه من الذنوب ١٥٧

سر عصمه الأنبياء من الذنوب ١٥٨

الدرس الخامس: طرق إثبات النبوه ١٦١

١. جمع القرائن والشواهد ١٦١

٢. تنصيب النبى السابق على نبوه النبى اللاحق ١٦١

٣. المعجزه ١٦٢

تعريف المعجزه ١٦٢

الدرس السادس: نبى الإسلام ١٦٥

لمحه تاريخيه ١٦٥

طرق إثبات نبوه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ١٦٦

١. جمع القرائن ١٦٦

٢. تنصيب النبى السابق ١٦٧

٣. المعجزه ١٦٩

المعجزه القرآنيه ١٧٠

الدرس السابع: ختم النبوه ١٧٥

دين أم أديان ١٧٥

النبى الخاتم ١٧٦

السّرّ فى ختم النبوه ١٧٦

الفصل الرابع: مباحث الامامه

الدرس الأوّل: الإمامه فى الفكر الشيعى ١٨٣

نبذه تاريخيه ١٨٣

تصورات خاطئه لتفسير الاختلاف الشيعى السنّى ١٨٣

النظريه السنّيه فى الإمامه ١٨٤

النظريه الشيعيه فى الإمامه ١٨٤

المقارنه بين مقام الإمامه والنبوه ١٨٥

ص: ١٧

محاوّر الخلاّف الأساسيه فى مسأله الإمامه ١٨٦

الدرس الثانى: ضروره وجود الإمام ١٨٩

تمهيد ١٨٩

إثبات ضروره وجود الإمام ١٨٩

علم الإمام وعصمته ١٩٢

نصب الإمام من قبل الله ١٩٢

الدرس الثالث: إمامه الإمام على عليه السلام والأئمه الأحد عشر من ولده عليه السلام ١٩٥

إمامه الإمام على عليه السلام فى القرآن ١٩٥

آيه الولايه ١٩٦

إمامه الإمام على عليه السلام فى السنّه ١٩٩

حديث الغدير ١٩٩

دراسه سند الحديث ٢٠١

دلاله حديث الغدير ٢٠٣

إطلاله على روايات اخرى ٢٠٤

إمامه سائر الأئمه (عليهم السلام) ٢٠٥

الأئمه الاثنا عشر فى روايات أهل السنّه ٢٠٧

الدرس الرابع: الإمام الثانى عشر عليه السلام ٢١١

البشارات بظهوره (عج) فى الأحاديث النبويه ٢١٢

الإمام المهدي عند أهل السنّه ٢١٣

سرّ غيبه الإمام المهدي (عج) ٢١٤

فوائد وجود الإمام في عصر الغيبة ٢١٦

الفصل الخامس: مباحث المعاد

الدرس الأول: المعاد ومكانته في الفكر الإسلامي ٢٢١

الإيمان بالمعاد رديف الإيمان بالله ٢٢١

الدرس الثاني: ضروره المعاد ٢٢٣

أدلّه ضروره المعاد ٢٢٣

١. صيانته الخلقه من العبث ٢٢٣

٢. المعاد مقتضى العدل الإلهي ٢٢٣

ص: ١٨

٣. المعاد مقتضى الرحمه الإلهيه ٢٢٤

أهداف وشبهات منكرى المعاد ٢٢٤

الدرس الثالث: حقيقه الموت ٢٢٩

العلاقه بين الموت والنوم ٢٣٠

الدرس الرابع: البرزخ ٢٣٣

البرزخ فى الروايات ٢٣٦

السؤال والحساب بعد الموت ٢٣٧

الميت يزور أهله ٢٣٨

الدرس الخامس: القيامة فى القرآن الكريم ٢٤١

تزلزل الأرض، الجبال، البحار ٢٤١

انقلاب السماء والكواكب ٢٤٢

النفخه الأولى فى الصور ٢٤٣

النفخه الثانيه فى الصور ٢٤٣

ظهور حاكميه الله وانقطاع الأسباب والأنساب ٢٤٤

محكمه العدل الإلهى ٢٤٥

يساقون أمّا إلى الجنه أو النار ٢٤٧

الجنّه ٢٤٨

النار ٢٥٠

الدرس السادس: الشفاعه ٢٥٧

مفهوم الشفاعه ٢٥٨

نفي الشفاعة الباطله وإثبات الشفاعة الحقّه ٢٥٨

المصادر ٢٤١

ص: ١٩

تمثل عقائد أى دين من الأديان الأسس والركائز التى يقوم عليها ذلك الدين، وأن جميع أوامره و نواهيه والوصايا التى يعرضها تستند إلى تلك الأسس والركائز، فكلما كانت الأسس قويمه ومحكمه جعلت الإنسان المؤمن أكثر استعداداً للحركه نحو الكمال.

كذلك فساد العقيدة يوفر الأرضيه المناسبه لجميع أنواع الفساد، الأخلاقى، الاجتماعى، السياسى، والثقافى. من هنا يكون المنطلق فى رفع الفساد هو البدء فى إعادة النظر فى تلك العقائد وتصحيحها.

فإذا ما اقترنت المعرفة الصحيحه عن الإنسان، مبدأ العالم ومنتهاه، معرفه القاده والهداه الإلهيين، صفات الله، معرفه أسمائه تعالى، ومصير الإنسان فى عالم الآخره وغير ذلك من المعتقدات، بالإيمان الراسخ، حينئذ تعطى ثمارها المرجوه والمتمثله بالتسليم المحض أمام الأوامر والنواهي الإلهيه التى جاء بها السفراء المعصومون(عليهم السلام).

من هنا تظهر أهميه الخوض فى المباحث العقائديه وضروره الدروس الكلاميه للشباب المثقف والجيل الواعى بالإضافة إلى ضروره تدوين كتب تتصف بالاثقان والعمق، وأن تطرح بأسلوب معاصر ولغه يستسيغها القارئ.

يعدّ هذا الكتاب محاوله في هذا المجال استجابة لطلب جامعه المصطفى العالميه، لمرحلة البكالوريوس في العلوم الإسلاميه في أربع وحدات دراسيه، وسميناه دروس تمهيديه في العقيدة الإسلاميه.

نرى من الضروري هنا الإشاره إلى بعض التوصيات المساعده في تدريس ماده الكتاب بنحو أكمل:

١. بما أنّ الكتاب وضع لمرحلة المقدمات التي يكون الطالب فيها - عادة - من شريحة الشباب الذين لم يخوضوا - فعلاً - في غمار الأبحاث العقلية كالفلسفه والمنطق فيكون من الصعب عليه إدراك الاستدلالات المعقده، من هنا كان من المناسب الابتعاد عن الاصطلاحات والمفاهيم المعقده والاجتناب عن البراهين المعقده جداً والاستعاضه عنها بعبارات مستساغه ومفاهيم واضحه وبراهين سهله.

٢. تتمثل الخطوه الأولى في تدريس العقائد في البيان والوصف والتقريب، أمّا الخطوه الثانيه فهي مرحلة الاستدلال والبرهان وإقامه الدليل، بعدها تأتي مرحلة الرد على الشبهات ودفع الإشكالات. الملاحظ في هذا الكتاب أنه قد غلب عليه طابع المرحلة الأولى - مرحلة التوصيف وتنسيق العقائد الدينيه - وإن كنا قد ذكرنا بعض الأدله والبراهين الواضحه في كثير من أبحاث الكتاب.

٣. من الخصائص التي يتميز بها هذا الكتاب هي أننا حاولنا في مجال بيان المعتقدات الشيعيه الاستناد كثيراً إلى آيات المذكر الحكيم، ليستقى الطالب من أول الأمر امهات المسائل الدينيه من أهم مصادرها الرئيسيّه وأتقنها. فليدرك الأساتذه الكرام أنّ هدفنا هو جعل الطالب على معرفه ودرايه بمحتوى الآيات ودلالاتها لذلك نرى من المناسب أن يقوم الأساتذه الكرام بتدوين وكتابه الآيات التي تمّ الاستدلال بها على اللوحه وبيان مفرداتها وتوضيح دلالتها مع الإشاره أحياناً إلى بعض النكات التفسيريه لترسيخها في عقول الطلاب و أذهانهم ولخلق حاله من الأنس بآيات القرآن

الكريم عندهم، ولتحقيق تلك الغايه وجلب انتباه الطلاب إليها نرى من اللازم طرح بعض الآيات ضمن أسئله الامتحان ويطلب منهم بيان مفرداتها وتوضيح دلالتها.

٤. تعرّضنا في مباحث قسم المدخل إلى مجموعه من الأبحاث الضرورية التي لم تتعرّض لها الكتب الكلاميه المتعارفه، وبما أنّا قد توسّعنا إلى حد ما في تلك الأبحاث نترك للأستاذ الكريم تشخيص ضروره تدريسها أو بعضها إن لم يسعفه الوقت المقرر لتدريس المادة.

٥. حاولنا أن يكون الكتاب متوفراً على أحدث قواعد التأليف العلمى المعاصره تدويناً وتقويماً.

٦. ذكرنا الكثير من الهوامش ليستفيد منها الأساتذه الكرام ويترك لهم تشخيص صلاحيه الإشاره إليها أثناء الدرس.

٧. لتسهيل مراجعه الدرس وترسيخه في ذهن الطالب وضعنا في خاتمه كلّ فصل خلاصه الأبحاث المطروحه فيه، لكن هذا لا يعنى الاستغناء بها عن دراسه المتن ومطالعه.

في الختام أتقدم بأسمى آيات الشكر لكلّ الأخوه الذين غمرونى بفضلهم الوافر لإخراج الكتاب إلى حيز النور، منهم:

سماحه حجّه الإسلام والمسلمين رحيمان مسؤول قسم الأبحاث وتدوين المتون الذى غمرنى بثقته حينما رآنى أهلاً لمثل هذه المهمّه - تأليف الكتاب - ولم يبخل علىّ فى تقديم شتى أنواع المساعده فى هذا المجال، و حجّه الإسلام والمسلمين مستوفى الذى تكفل مشكوراً بمراجعته الكتاب بدقه فائقه مع إبداء الملاحظات المهمّه التى ساعدت فى تعميق البحوث وتكميلها، والأخ الفاضل السيّد بابائى حيث تكفل مهمّه تقويم النص وضبط العبارة، كما أتقدم بالشكر الجزيل للساده أعضاء الهيئه العلميه فى جامعه المصطفى التى أقرت الكتاب ضمن المتون الكلاميه لمنهج جامعه.

وفى الختام أعتذر للقراء الكرام عمّا فى الكتاب من نقص راجياً منهم مد يد العون للتغلب عليها و أّلا ينسونى من صالح دعائهم بالتوفيق فى خدمه العلم والثقافه الإسلاميه.

و أخيراً أتوسل إلى البارى تعالى بحرمة أوليائه الصالحين أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقنى كمال الإخلاص فى القول والعمل والاستقامه على صراط الهدى وطريق الصلاح، وأن يعصمنى من الزلل والخطل، كما أبتهل إليه تعالى أن يوفقنى لخدمه العلم والدين، وأن يتقبل منى هذا القليل بفضل منه وأن يجعله ذخراً لىّ و زاداً ليوم فاقتى، و ما توفيقى إّلا بالله العلى العظيم.

على الشيروانى

قم - الحوزه العلميه

ص: ٢٤

نتعرّض فى مباحث الكتاب إلى العقائد الإسلاميه انطلاقاً من رؤيه الشيعة الإماميه، و كما معلوم بأنّ العناصر الأساسيه لتلك العقائد - التى يجب على كلّ مسلم الإيمان بها - تسمى بأصول الدين، وعلم الكلام هو العلم المتكفّل ببيانها و الدفاع عنها. من هنا نرى من الضرورى قبل الدخول فى المباحث الأساسيه التعرض إلى بعض الأبحاث التى تتعلّق بالدين وعلم الكلام.

إشاره

لا- يعتبر علم الكلام من العلوم الخاصه بالدين الإسلامى الحنيف خاصه، بل من الممكن أن يكون لكلّ دين من الأديان علم كلام خاص به، وله أن يشير الكثير من المسائل الكلاميه التى يريد التعرّض لها، إلّا أنّ هذا الكتاب متمحّض للبحث عن الكلام الإسلامى، من هنا كلما جاءت الكلمه مطلقه يراد منها خصوص الكلام الإسلامى.

وظائف علم الكلام

يتكفّل علم الكلام بثلاث وظائف مهمّه :

أ) بيان عقائد الدين: من الواضح أنّ هناك حاجه ماسه لبيان العقائد الدينيه وعرضها بصوره منظمه وبنسق علمى وطرحها على شكل طبقات يترتب بعضها على البعض الآخر؛ والسبب فى ذلك أنّ مصادر التشريع الرئيسيه (القرآن الكريم وكلام المعصومين) لم تطرح - وفقاً لطبيعتها - تلك العقائد بطريقه منظمه وممنهجه.

فقد تعرّض القرآن الكريم للحديث عن كثير من المطالب والأبحاث فى حقول معرفيه مختلفه ومتنوعه منها الأبحاث السياسيه، التاريخيه، الاجتماعيه، الثقافيه، الفرديه، الحقوقيه، الفقهيّه، وغيرها إلى جانب المسائل والأبحاث العقائديه، من هنا

مست الحاجة إلى بذل الجهود العلميه لأجل استخراج و تنظيم جميع تلك الابحاث، ومن جملتها الأبحاث الكلاميه، وقد وقعت مسؤوليه هذه المهمه في المجال العقائدى على كاهل المتكلمين، أى: العلماء والمتخصصون فى علم الكلام.

ب) شرح العقائد الدينيه وتفسيرها: بعد أن ينتهى المتكلم من استخراج العقائد الدينيه وبيانها يشرع فى شرحها وتفسيرها، وبيان المراد منها، ثم تحليلها وإثباتها. فعلى سبيل المثال بعد أن يرجع المتكلم إلى المصادر الدينيه ويراهها تؤكد أن الله تعالى واحد حينئذ يسعى ومن خلال الأدله والبراهين العقلية لتثبيت هذا المعتقد، كذلك تقع على كاهل المتكلم مسؤوليه التنسيق بين المعتقدات الدينيه بعضها مع البعض الآخر وحل التعارض الذى قد يبدو بينها.

ج) الدفاع عن العقائد الدينيه ورد الشبهات المثاره: من المهام التى يتكفل المتكلم بها هى مهمه الدفاع عن حريم العقائد الدينيه فى مقابل الإشكالات المثاره والاعتراضات التى يطرحها خصوم الدين.

تعريف علم الكلام

يمكن تعريف علم الكلام - انطلاقاً من المهام التى يتكفل بها - بأنه: العلم المتكفل ببيان العقائد الدينيه، تحليلها وإثباتها، والدفاع عنها أمام الشبهات والاعتراضات المثاره. (١) وقد أخذ الشهيد المطهرى فى تعريفه لعلم الكلام الوظائف الثلاث المذكوره أيضاً، حيث عرف علم الكلام بما يقرب من التعريف الذى ذكرناه، فقال:

علم الكلام هو العلم الباحث عن العقائد الإسلاميه، (أى ما يجب الاعتقاد والإيمان به): ١. توضيحاً، ٢. استدلالاً، ٣. دفاعاً عنها. (٢)

ص: ٣٠

١- (١). انطلقنا فى التعريف من هدف علم الكلام والوظيفه التى تقع على عاتقه، من هنا أشبه هذا التعريف من هذه الجبهه تعريف علم المنطق الذى هو آله قانونيه تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى التفكير.

٢- (٢). آشنائى با علوم إسلامى: المطهرى، مرتضى: ٩/٢.

للكثير من العلوم موضوع واحد محدد، فموضوع علم الحساب العدد، بمعنى أنّ جميع مسائل هذا العلم وقضاياه تدور حول أحكام العدد، إلّا أنّ ذلك لا يعنى بالضرورة أن ينحصر موضوع كلّ علم بموضوع واحد، فقد يكون للعلم أكثر من موضوع ومن تلك العلوم علم الكلام، فتارة يبحث عن الله تعالى وصفاته، وأخرى يبحث عن قيامه، ثالثه يكون مصب بحثه النبوه بصوره عامه والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بصوره خاصه.

ثمّ إنّ موضوع علم الكلام لا يحدد مسأله، بل الذى يحددها هو الوظائف والأهداف التى يتكفّل بها علم الكلام.

وجه التسميه

هناك العديد من النظريات المطروحه فى بيان وجه تسميه علم العقائد الاسلاميه بعلم الكلام نشير إلى بعضها :

١. إنّما سمى هذا العلم بعلم الكلام؛ لأنه يمنح رواده وأصحابه القدره على الكلام وقوه الاستدلال والمواجهه.
 ٢. إنه سمى بذلك؛ لأنّ علماء الفنّ والمتكلمين الأوائل كانوا يشرعون فى كتبهم بكلمه الكلام فى الجبر، الكلام فى إثبات الصانع، وهكذا فى غير ذلك من القضايا العقائديه.
 ٣. الوجه الثالث للتسميه، أنّ مسأله خلق كلام الله تعالى وعدمه لما احتدم فيها البحث والنزاع بين المفكرين الإسلاميين شكلت نقطه عطف فى هذا العلم فسمى على أثرها بعلم الكلام.
- وبما أنّه لا طائل من وراء الخوض فى تفاصيل هذه القضيه نرى من الضرورى الاكتفاء بهذا القدر من الكلام.

من الصعب جداً على الباحثين والمفكرين تحديد الانطلاقة الأولى لهذا العلم وتحديد جذوره التاريخية بنحو محدد ودقيق جداً، إلّا أنه يمكن القول: بأنه قد أثرت في الأوساط الإسلامية في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري مجموعه من الأبحاث الكلامية من قبيل: الجبر، الاختيار، العدل. وأنّ أوّل مدرسه رسميه طرحت فيها تلك الابحاث هي مجلس دروس الحسن البصرى (ت: ١١٠هـ). وبمرور الزمان اتسعت رقعه البحث في المسائل الكلاميه وظهر الكثير من الفرق الكلاميه المختلفه، كالخوارج، القدرية، المعتزله، الجهميه، المرجئه... إلخ. وقد أشارت كتب الفرق والمذاهب أو الملل والنحل إلى عقائدهم بنحو مفصل فلا ضروره للخوض فيها هنا لخروجها عن موضوع البحث.

لكن يمكن القول من وجهه نظر اخرى: إذا كان المراد من علم الكلام هو طرح المسائل العقائديه والدينيه بصوره استدلاليه فحينئذٍ يكون منطلقه وجذره التاريخي الأوّل هو القرآن الكريم نفسه وكلام النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وخاصه كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي تعرض في مواضع كثيره لتلك الأبحاث العقائديه مع بيان دليلها العلمى وإقامه البرهان عليها.

كذلك يعتبر القرآن الكريم وكلام المعصومين (عليهم السلام) العامل الأساسى فى تطوير علم الكلام وانتشاره وتوسيع رقعه مباحته، وذلك من خلال الدعوه إلى التأمل والتدبر فى القضايا المطروحه والأفكار المعروضه والنهى عن التقليد والتبعيه العمياء. وهناك مجموعه اخرى من العوامل التى ساعدت فى تطوّر العلم وانتشاره، منها:

١. اعتناق الأقباط الأخرى وأصحاب الديانات المختلفه للدين الحنيف، فجاءت تلك الأقباط وهى تحمل جذورها ورواسبها الفكرية السابقه وطريقه تفكيرها الخاصّ فى معالجه القضايا العقائديه.

٢. وجود اليهود والنصارى وأتباع الديانات الأخرى إلى جانب المسلمين ممّا ساعد على تعرف بعضهم على عقائد البعض الآخر.

٣. ظهور الزنادقة الملحدين فى الوسط الإسلامى وإثارتهم للشبهات بين المسلمين والدخول معهم فى مناظرات ومناقشات فكرية وعقائديه فى شتى الميادين الفكرية.

هذه العوامل، بالإضافة إلى حث القرآن الكريم والمعصومين (عليهم السلام) على التفكير الحر والمستقل، هى التى ساعدت على أن يعى المسلمون ضرورة البحث الكلامى وأهميه التحقيق فى القضايا العقائديه. ومن هنا ظهر الكثير من المتكلمين البارزين فى كل من القرن الثانى والثالث والرابع الهجرى.

الكلام الجديد

راج وبشكل ملحوظ فى العقود الأخيره مصطلح «الكلام الجديد» فى مقابل «الكلام القديم»؛ وذلك بسبب ما أثاره بعض المفكرين - الغالب أنهم من الغربيين والملحدين - من إشكالات واعتراضات لم تكن مطروحه سابقاً ضد المعتقدات الدينيه، والتى تقتضى الإجابة عنها الاحاطه بالعلوم المعاصره والفلسفه الحديثه والاستفاده من معطياتها.

الأمر الذى اقتضى ضروره التحوّل فى علم الكلام. ومن الواضح أنّ التحوّل فى علم الكلام لا- يعنى التحوّل فى أصل العقائد الدينيه، بل المراد منه أنّ الشبهات المستحدثه تتطلب إجابة كلاميه معاصره، وبهذا حصل تطوّر كبير فى الأبحاث الكلاميه، بنحو ظهر كلام جديد ومتمايز عن الكلام القديم الذى كان فاقداً لتلك الأبحاث، من هنا صحّ إطلاق عنوان الكلام الجديد عليه.

الجدير بالذكر أنّ بعض المفكرين ذهب إلى أنّه من الأفضل إطلاق عنوان المسائل الكلاميه المستحدثه بدلاً عن التسميه بعلم الكلام الجديد.

فالتزاع إذاً لفظي، ولا حاجة للخوض فيه أكثر من ذلك لاتضاح المعنى المراد منه أولاً ولانعدام الثمره العمليه ثانياً.

خلاصه البحث

١. اصول الدين مصطلح يطلق ويراد منه العناصر الأصلية للعقائد الإسلاميه التي يجب على كل مسلم الاطلاع عليها والاعتقاد بها.
٢. لعلم الكلام ثلاث وظائف أساسيه: أ) بيان المعتقدات الدينيه، ب) تبيينها وشرحها، ج) الدفاع عنها ورد الشبهات المثاره حولها. فعلم الكلام هو العلم المتكفل ببيان العقائد الدينيه، تحليلها وإثباتها، والدفاع عنها أمام الشبهات والاعتراضات المثاره.
٣. ليس لعلم الكلام موضوع واحد، وأنّ الذي يحدد مسائل علم الكلام هو غايته و وظائفه لا موضوعه.
٤. الوجه في تسميته بعلم الكلام؛ لأنه يمنح رواده وأصحابه القدره على الكلام وقوه الاستدلال؛ أو لأنّ علماء الفنّ والمتكلمين الأوائل كانوا يشرعون في كتبهم بكلمه الكلام في كذا؛ أو لأنّ مسأله خلق كلام الله تعالى وعدمه هي من المسائل المهمه الأولى التي احتدم فيها البحث والنزاع في أوساط المفكرين الإسلاميين.
٥. ترجع الجذور التاريخيه الأولى لإثاره المسائل العقائديه في الأوساط الإسلاميه إلى القرآن الكريم وكلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام، لكن أول مدرسه رسميه طرحت فيها تلك الأبحاث هي مجلس دروس الحسن البصرى في النصف الثاني من القرن الأول.
٦. العوامل التي ساعدت في انتشار العلم وتطوّره: الآيات القرآنيه وكلمات المعصومين (عليهم السلام) إضافة إلى:

أ) اعتناق الأقوام الأخرى للدين الحنيف، ب) وجود أتباع الديانات الأخرى إلى جانب

المسلمين، ج) ظهور الزنادقة والملحدين وإثاره الشبهات في الوسط الإسلامى.

٧. حصل في العقود الأخيره تحوّل كبير في الأبحاث الكلاميه سببه الرئيسى طرح شبهات وإثاره إشكالات مستحدثه ضد العقائد الدينيه الأمر الذى أدّى إلى ضروره أن تكون الإجابة معاصره، ولقد كانت الشبهات بحد من الكثره والسعه حتّى اعتقد البعض حدوث علم جديد باسم علم الكلام الجديد، لكن هناك من يرفض ذلك ويرى أنه لم يحصل علم جديد، وإنما اثرت مسائل جديده وقضايا مستحدثه لا تستحقّ وضعها تحت عنوان علم جديد.

ص: ٣٥

تعريف الدين

الدين لغة: بمعنى الطاعة والجزاء. وقال صاحب مقاييس اللغة: هو الحساب والجزاء. وأى ذلك كان فهو أمرٌ يُتقَد له.

وعرفه الراغب الإصفهاني في المفردات بقوله:

الدِّينُ يقال: للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، ولكنه يقال اعتباراً: بالطاعة والانقياد للشريعة.

الدين في القرآن الكريم

استعملت كلمة الدين في القرآن الكريم في معانٍ مختلفة. فتارة جاءت بمعنى الجزاء والحساب، (١) وتارة أخرى بمعنى القانون والشريعة، (٢) وكذلك جاء مصطلح الدين بمفهوم الطاعة والعبودية. ٣ وقد حمل المصطلح في أحيان أخرى

ص: ٣٧

١- (١). راجع: الفاتحة: ٤: مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ؛ والصفات: ٥٣؛ الواقعة: ٨٧؛ الحجر: ٣٥؛ الذاريات: ٦.

٢- (٢). راجع: التوبة: ٣٣: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ....

معنى واسعاً، بحيث شمل عبوديه الأصنام أيضاً وهذا ما أشار إليه قوله تعالى لَكُمْ دِينُكُمْ. ١

المعنى الاصطلاحي للدين عند المتكلمين

إن بيان المعنى اللغوي والاستعمالات القرآنية لمصطلح الدين خارج عن إطار الهدف الأصلي لهذه الدراسة، والمهم هنا أن نسلط الضوء على المعنى الاصطلاحي لكلمه الدين « Religion » في علم الكلام.

اختلفت كلمه الباحثين والمفكرين الغربيين في الشأن الديني في هذا المجال وقد كتبوا الكثير من الأبحاث في هذا المجال اقترحوا خلالها مجموعه من التعاريف، نشير إلى بعض منها :

١. قال وليام جيمز: الدين عبارته عن المشاعر، الأعمال والحالات المعنوية التي يمارسها الأفراد بانفراد مقابل الإله.

٢. وعرفه بارسونز: بأنه مجموعه من العقائد، الأعمال، الرسوم والمؤسسات الدينية، (١) التي أوجدها الإنسان في المجتمع بأشكال مختلفه.

٣. أما هيربرت اسبنسر فقد عرفه بقوله: الدين هو الاعتراف بحقيقته مفادها أن جميع الموجودات هي تجليات لموجود أسمى من علمنا ومعرفتنا. (٢)

صحيح إن بعض المفكرين ذهب إلى أنه من الصعب تعريف الدين تعريفاً جامعاً مانعاً، وأن مثل هذا التعريف أصبح اليوم عزيز المنال، بل يعدّ من الأمور المستحيله، إلّا

ص: ٣٨

١- (٢) . ويقصد بها المؤسسات الاجتماعيه المتعلقة بالدين كالحوزات العلميه، المساجد وغير ذلك.

٢- (٣) . فلسفه الدين، جان هيك: ٢١ و ٢٦.

أنّ ذلك لا يمنع من عرض صورته عن المراد من الدين وأن يبين الباحث مراده من الدين، من هنا نقول: إنّ مرادنا من الدين في هذه الدراسة هو:

مجموعه العقائد و الدساتير العمليه التي يدعى أصحابها أنّها صادرة من خالق العالم.

ثمّ إنّ الدين الحقّ هو الدين الصادر من خالق الكون حقيقه. وحينئذٍ يكون مطابقاً للواقع ومؤمناً لسعاده الإنسان. من هنا نرى أنّ بعض المفكرين المسلمين يعرف الدين بأنّه:

مجموع ما أوحى به الله تعالى لأتبيائه من أجل هدايه البشريه و سعادتها.

ومن الواضح أنّ هذا التعريف لا يشمل إلّا الأديان الحقّه وبهذا تكون دائرته أضيق من دائره التعريف الأوّل.

وعلى كلّ حال، لا بدّ من الالتفات إلى أنّ قضيه الاعتقاد بوجود خالق الكون تعدّ ركناً أساسياً ودعامه رئيسه من دعائم الدين، وأنّ كلّ اتجاه ينكر ذلك - كالماركسيه - لا يمكن إطلاق مصطلح الدين عليه.

خلاصه البحث

١. الدين لغه: بمعنى الطاعه والجزاء، وقد استعمل مصطلح الدين في القرآن الكريم بمعنى الجزاء والحساب، القانون والشريعه، الطاعه والعبوديه.

٢. المراد من الدين في علم الكلام هو: مجموعه العقائد والدساتير العمليه التي يدعى أصحابها أنّها صادرة من خالق العالم.

٣. الاعتقاد بوجود خالق الكون يعدّ ركناً أساسياً ودعامه رئيسه من دعائم الدين، وأنّ كلّ اتجاه ينكر ذلك - كالماركسيه - لا يمكن إطلاق مصطلح الدين عليه.

ص: ٣٩

صنّف المفكّرون والعلماء المسلمون مجموعته التعاليم الدينيه ضمن ثلاث أقسام، هي:

١- العقائد

يشتمل هذا القسم على التعاليم التي تخلق لدى الإنسان معرفه صحيحه عن عالم الوجود، خالقه ومبدأ العالم ومصيره، بغض النظر عن كون ذلك الاعتقاد شرطاً للإسلام أم لا.

وعلى هذا الأساس يدخل في هذا القسم كلّ قضيه دينيه تتعرّض لوصف ظواهر العالم.

ومن هنا يظهر أنّ العقائد الدينيه أعم من اصول الدين؛ وذلك لأنّ اصول الدين تختصّ بتلك الأمور التي يكون الاعتقاد والإيمان بها شرطاً في الإسلام، كأصل التوحيد، النبوه والمعاد.

ومن الواضح أنّ علم الكلام يختصّ بهذا القسم من الدين، فمن هنا يطلق عليه عنوان «علم العقائد» أيضاً.

٢- الأخلاق

دائره هذا القسم تشمل تلك الطائفه من التعاليم الدينيه ذات الصله بخلق الإنسان وشمائله حسنه كانت أم سيئه، والصفات الإنسانيه الحميده وبيان سبل الوصول إليها

والتحلّى بها، من قبيل: التقوى، العدالة، الصدق والأمانه. ولقد أشار الشهيد المطهري إلى ذلك بقوله :

يراد من قسم الأخلاق القضايا والدساتير التي تبين للإنسان كيف يكون إنساناً من ناحيه الصفات الروحيه والخصال المعنويه. (١)

وعلم الأخلاق يتكفّل بيان وشرح هذا القسم من الدين.

٣- الأحكام

إشاره

هذا القسم من الدين يتعلّق بالجانب العملي، أى التعاليم الدينيه التي تحدد للإنسان ما هي الأعمال التي يجب القيام بها (الواجبات)، وأى الأعمال التي من الأفضل القيام بها (المستحبات)، وما هي الأعمال التي لا بدّ من اجتنابها (المحرمات)، والأعمال التي يفضل اجتنابها (المكروهات)، وكذلك بيان الأعمال المباحه. وتقع مسؤوليه بيان هذا القسم من الدين على عاتق علم الفقه.

تنبيه

ما مرّ يمثل رأى مشهور علماء المسلمين فى تحديد أبعاد الدين؛ إلّا أنّ المفكرين الغربيين لهم رؤيه اخرى فهم بالإضافة إلى التسليم بما مرّ من الأبعاد الثلاثة للدين أضافوا إليها أبعاداً اخرى.

ومن تلك الأبعاد التي أضافوها للدين هو البعد القصصى (الأسطورى). فقد ورد فى المتون المقدسه للأديان الإلهيه مجموعه من القصص ذات طابع مقدس، وفى الغالب يكون لها أثر معنوى، من قبيل: قصص الأنبياء الإلهيين. وقد تعرض القرآن للكثير من تلك القصص وأورد العديد من تلك الحكايات.

ص: ٤٢

١- (١). آشنایى با علوم اسلامى: ٩/٢ - ١٠.

لم ينحصر الغرض والمغزى الأساسى من سرد تلك الحكايات والقصص فى القرآن الكريم فى الجانب السردى الرامى إلى زياده المعلومات لدى الناس، بل الهدف الأساسى والغايه الأصلية من عرضها تكمن فى تعزيز البعد التربوى والوعظى والاستفاده منها كعبر يعتمدها الإنسان فى تصحيح مسيرته الحياتيه.

وبما أنّ المفكرين الغربيين والباحثين فى الشؤون الدينيه ينطلقون فى الغالب من نظرتهم للديانتين المسيحيه واليهوديه، التى قد تعرّضت متونها الدينيه للتحريف والوضع واستطاعت الأسطوره أن تشق طريقها إليها، حيث تجد فيها الكثير من القصص الخرافيه البعيده كلّ البعد عن المنطق العقلى، من هنا اضطروا للأدعان بأنّ القصص الدينيه الوارده فى المتون المقدسه يمكن أن تكون مجعوله؛ وذلك لأنّ الهدف الأصلى منها هو بعدها التربوى والتعليمى، إلّا أنّ ذلك لا يصدق بحال من الأحوال على القصص القرآنى ولا يمكن القبول به؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم حقّ محض لاسيلا للباطل إليه: لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. ١

نعم، نحن نعتقد بأنّ بعض قصص القرآن ذات جنبه تمثليه، (١) يراد منها بيان الحقائق المعقوله وغير المحسوسه بصوره محسوسه، ومن الواضح أنّ هناك فرقا كبيرا بين التمثيل و الجعل.

خلاصه البحث

١. تصنف مجموعه التعاليم الدينيه ضمن ثلاث أقسام: العقائد، الأخلاق، الأحكام.

٢. يشتمل قسم العقائد على التعاليم التى تخلق لدى الإنسان معرفه صحيحه عن عالم

ص: ٤٣

١- (٢). راجع على سبيل المثال: الحشر، ٢١؛ فصلت، ١١. و الجدير بالذكر أنّ حمل الآيه على التمثيل إنّما يصحّ فى حاله وجود القرائن والشواهد المؤيده للحمل على التمثيل.

الوجود، خالقه، ومبدأ العالم ومصيره، فيدخل في هذا القسم كل قضية دينية تتعرض لوصف ظواهر العالم، وأن العلم المختص بها الشأن هو علم الكلام الذي يطلق عليه أيضاً علم العقائد.

٣. أما قسم الأخلاق فيشمل تلك الطائفة من التعاليم الدينية ذات الصلة بخلق الإنسان وشمائله حسننها وسيئها، وبيان سبل الوصول إليها، وأن العلم المختص بهذا الشأن هو علم الأخلاق.

٤. قسم الأحكام من الدين يبحث في تشخيص الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات بالإضافة إلى المباحات، وأن العلم المتكفل بهذه المهمه هو علم الفقه.

٥. بالإضافة إلى الأبعاد المذكوره يوجد في المتون الدينية مجموعه من القصص والحكايات ذات البعد التربوي والوعظي التي لها تأثير أخلاقي غالباً، وقد أطلق الباحثون الغربيون عليها عنوان البعد القصصي (الأسطوري). وقالوا: بأنه من الممكن أن تكون القصص الدينية الوارده في المتون المقدسه مجعوله، إلا أن ذلك لا يصدق بحال من الأحوال على القصص القرآني.

اشاره

فى البدء لا بدّ من معرفه العامل أو العوامل التى تبين ضروره دراسه الأديان والتميز بين صحيحها وسقيمها والالتزام بالصحيح منها.

لاريب أنّ عقل كلّ إنسان حر التفكير يحكم بضروره تلك الدراسات ووجوبها وأنه لا يصح التخلف عنها بأى حال من الأحوال. فالعقل البشرى يحكم بأنه لا بدّ من البحث والتنقيب والتحقيق فيما يدعيه أدياء النبوه الإلهيه والرساله السماويه ليميز الكاذب منهم عن الصادق، ومن ثبت صدقه وجب الالتزام بأوامره ونواهيه، وذلك:

١. إنّ الإنسان باحث عن السعاده والكمال ذاتاً انطلاقاً من غريزه حبّ الذات التى تعدّ من أبرز عوامل الحركه لدى الإنسان.

٢. تتلخص دعوى أدياء النبوه بأنّ: من اعتقد بتعاليمها والتزم بها ساقته إلى الحياه السعيده الخالده، ومن تمرد عليها زلت به قدمه إلى الجحيم والعذاب الأليم.

٣. يمكن احتمال صحّه هذه الدعوى، بمعنى أنّ الإنسان لا يملك الدليل القاطع على بطلانها.

٤. بما أنّ المحتمل (السعاده والشقاء الابديين) مهمّ جداً بنحو لا ترقى أى قضيه إلى تلك الأهميه، من هنا يحكم العقل البشرى بأنه لا بدّ من التحقّق من صحّه ذلك

المدعى أو عدمه حتى مع فرض كون احتمال الصدق ضعيفاً، فكيف إذا كان الادعاء محفوفاً بالقرائن والشواهد المؤيِّده والداعمه له؟!

فلو أنّ ضريراً ما كان يسير في الطريق فأخبره رجل بأنّه إن سار بالاتجاه الشمالى فسوف يقع بعد خطوات في هوّه سحيقه لا يمكن النجاه منها، أمّا إذا سار صوب اليمين فسيصل إلى حديقه غناء يبقى منعماً فيها إلى الأبد، واحتمل الضرير صحّه ما يقوله ذلك الرجل، فلاريب هنا أنّ عقله يحكم بأنّه إن لم يجب الاعتماد على قول المخبر فعلى أقلّ تقدير أنّه يحكم بضروره الاحتياط وتغيير المسير نحو الجبهه التى يحتمل فيها السلامه.

من هنا حينما يعلم الإنسان بأنّه وعلى مرّ التاريخ جاءت سلسله من الرجال العظام بدعوى النبوه مدعين بأنهم مبعوثون من قبل البارى تعالى ليرسموا للإنسان طريق السعاده الأبدية، وقد بذلوا جهوداً جباره فى طريق إبلاغ الرساله واسترخصوا الغالى والنفيس فى هذا المجال متحملين أنواع العناء والآلام وعلى رأسها التضحية بالنفوس، فلا ريب أنّ العقلانيه تقتضى ألا يمر الإنسان على هذه الدعوى مرور الكرام، بل لا بدّ من التحقيق والبحث فى صحّه ذلك المدعى وترتيب الأثر عليه.

تقرير البرهان ببيان آخر

إنّ من مسلمات حكم العقل دفع الضرر المحتمل، وهذا الحكم متوقّف فى قوته وضعفه على قوّه وضعف الاحتمال والمحتمل، فكلما قوى احتمال الضرر أو كان المحتمل خطيراً، قوى حكم العقل بوجوب الامتناع وضروره التحرز منه.

ومن الواضح أنّ الضرر المحتمل والمترتب على الأعراض عن الدين هو الخلود فى العذاب الأليم، وبما أنّ هذا الضرر (المحتمل) خطير وعظيم جداً، من هنا تشتدّ قوه حكم العقل بوجوب دفع ذلك الضرر المحتمل حتى لو كان احتمال الصدق ضعيفاً.

وبالإضافة إلى غريزه حبّ الذات وجلب النفع ودفع الضرر، هناك ميل آخر يدفع الإنسان للتحقيق والبحث في شأن الدين، هو الميل الفطري نحو المعرفة وإدراك الحقائق والواقعات، فالإنسان ميالاً فطرياً للبحث عن الحقيقة، وأنّ ذلك الميل - غريزه حبّ الاستطلاع - معجون مع روحه وهو الذي يحركه نحو التفكير والتحقيق في صحّته وسقم القضايا الدينيه.

هل العالم مخلوق؟ من هو خالقه؟ ما هي صفاته؟ ما نوع العلاقة بين الإنسان وخالقه؟ هل للإنسان بعد آخر (روح) إضافه إلى بعده المادى؟ هل الموت يعنى فناء الإنسان أو هناك عالم وحياء اخرى؟ وما هي العلاقة بين الحياه الدنيا وتلك الحياه الأخرويه؟ هذه التساؤلات وغيرها لا تدع للإنسان الباحث عن الحقيقة مجالاً للاسترخاء واللامبالاه، بل تبقى تلاحقه حتّى يحصل على الإجابه المقنعه عنها.

ويمثل قسم العقائد من كلّ دين مجموعه الإجابات التي يوفرها الدين عن تلك الأسئلة.

خلاصه البحث

١. كلّ إنسان عاقل يحكم بضروره دراسه الأديان والتمييز بين صحيحها وسقيمها؛ وذلك: (أ) إنّ الانسان باحث عن السعاده والكمال ذاتاً. (ب) تتلخص دعوى أدعياء النبوه بأنّ الحياه السعيده الخالده والعذاب الأليم يتوقّفان على الالتزام بتعاليم الأنبياء وعدمه. (ج) احتمال صحّته هذه الدعوى. (د) قوّه المحتمل تجبر ضعف الاحتمال، انطلاقاً من هذه الأصول الأربعة يحكم العقل البشرى بأنّه لا بدّ من البحث والتنقيب لإحراز صحّته المدعى أو عدمه، لدفع ذلك الضرر العظيم (الشقاء الأبدى) وتحصيل النفع الكبير (السعاده الخالده).

٢. بالإضافة إلى غريزه حبّ الذات وجلب النفع ودفع الضرر، هناك ميل آخر يدفع الإنسان للتحقيق في شأن الدين لإثبات صحّته المدعى.

تحدّثنا فى البحث السابق عن ضروره الدراسه والتحقيق حول الأديان وتوصلنا إلى أنّ كلّ إنسان حرّ التفكير يجد ضروره ذلك عقلاً، وأنّ هناك الكثير من البواعث الحاثه على ذلك. وهنا يطرح السؤال التالى نفسه: ما حاجه الإنسان إلى الدين وما هى الفائده التى يجنيها منه؟ وبعباره اخرى: ماذا يتوقّع البشر من الدين؟

يمكن الإجابة عن السؤال المطروح على نحو الإجمال بأن نقول: إنّ الإنسان يتوقّع من الدين أن يأخذ بيده ويوصله إلى السعاده والكمال التامين على الصعيدين الدنيوى والأخروى. وهذا ليس بالأمر الهين، بل هو أمر عظيم جداً لا يمكن تحقّقه إلّا من خلال الدين، بل لا يوجد أى بديل يحلّ محلّ الدين فى هذا المجال.

وبطبيعته الحال هناك الكثير من الأمور الجزئيه التى ينتظرها الإنسان من الدين إلى جانب ذلك الهدف الكبير والأساسى.

فالإنسان ينتظر من الدين:

١. أن يكون قابلاً للإثبات والبرهنه عليه، بمعنى أن يكون مدعوماً بالمنطق العقلى. وبعباره اخرى: عدم بطلان اصوله عقلاً.

٢. أن يضيف على الحياه معنى جديداً ويمنحها طعماً خاصاً، بمعنى أنه يخرج الإنسان من حاله الخواء الروحي ويزيل عن ذهنه فكره عبثيه الحياه.

٣. التطلع إلى المستقبل، وبعث الشوق والأمل في النفوس.

٤. امتلاك القدره على إضفاء القداسه على الأهداف الإنسانيه والاجتماعيه.

٥. يخلق في الإنسان صفه الالتزام وتحمل المسؤوليه.

ويعدّ التوقعان الأول والثاني من أبرز تلك التوقعات.

فالتوقع الأول - معقوله اصول عقائد الدين ومنطقيتها - يوفر الأرضيه المناسبه للأذعان به والتسليم بما يطرحه من مفاهيم وقيم ويزيل عنه عوامل الإبهام والخفاء.

وإذا أردنا أن نبين التوقع الثاني بشكل أوضح فينبغي أن نقول: إنّ الحياه البشريه انطوت - دائماً - على المتاعب والآلام وتحمل المصاعب والمحن، بمعنى أنّ الإنسان يرى نفسه دائماً يخوض في دوامه من المشاكل ويعيش حاله غير مستقره. ومن الواضح أنّ بعض تلك الأمور يمكن السيطرة عليها ومعالجتها من خلال أعمال العقل والتدبر أو من خلال اعتماد التقنيه الحديثه، لكن هناك طائفه اخرى من تلك الأمور لا يمتلك الإنسان القدره على معالجتها اعتماداً على قواه وقدراته الذاتيه، منها:

(أ) بما أنّ الإنسان باحث عن الحقيقه ويعيش حاله تقصى الحقائق من هنا تكتنفه حاله من القلق الشديد خشيه الوقوع في الجهل والخطأ.

(ب) لما كان الإنسان يحب الخير ويريد أن يحيا حياه طاهره منزّهه من الخطايا، من هنا تقلقه الخشيه من الانحراف وزله القدم في مسيرته الحياتيه.

(ج) ميل الإنسان للخلود والحياه الأبدية يجعله يعيش حاله القلق، الخشيه من أن يكون الموت نهايه للحياه وانعداماً لها بنحو مطلق.

(د) ميل الإنسان للكمال المطلق يجعله يقلق من كلّ أنواع النقص والمحدوديه.

ه) عندما يقارن الإنسان بينه وبين الآخرين من نوعه يرى نفسه - انطلاقاً من الولاده وطى مراحل الحياه - لا يمتلك ما يمتلكه الآخرون من الذكاء المفرط أو القوى البدنيه الشديده ... إلخ. من هنا تزعجه هذه القضيه بشده وتخلق له حاله من عدم الاستقرار النفسى.

ومن الواضح أنّ المعالج الواقعى والفاعل لتلك الأمور هو الدين فهو الذى يضىفى على الحياه معنى خاصاً تجعل الإنسان قادراً على أن يعيش حاله الاستقرار الروحى والهدوء النفسى وتمنحه القدره على تحمّل أنواع المحن والشدائد بسهوله.

فإذا ما اعتقد الإنسان بوجود خالق للكون حكيم رحمان رحيم غنى لا يبخل على عباده، وأنه على مسافه واحده من جميع عباده لا تقربهم إليه إلاّ التقوى، وأنه عادل لا يظلم مثقال ذره، حينها تزول عنه كلّ أنواع القلق والخشيه وتنجلي عن قلبه كلّ الهواجس المخيفه وتبدل إلى حاله من الاستقرار والرضا، بل يعيش حلاوه وله العاشق لمعشوقه وانتظار ساعه اللقاء والوصال. وهذا بعينه ألم العارفين الذين لا يرتضون علاجه إلاّ بقاء الحبيب.

خلاصه البحث

١. إنّ التوقع الأساسى للإنسان من الدين هو أن يأخذ بيده ويوصله إلى السعاده والكمال التامين على الصعيدين الدنيوى والآخروى.

٢. هناك الكثير من الأمور الجزئيه التى يتوقعها الإنسان من الدين إلى جانب ذلك الهدف الكبير، منها: (١) أن يكون قابلاً للإثبات والبرهنه عليه. (٢) أن يضىفى على الحياه معنى جديداً ويمنحها طعماً خاصاً. (٣) التطلع إلى المستقبل، وبعث الشوق والأمل فى النفوس؛ (٤) إضفاء القداسه على الأهداف الإنسانيه والاجتماعيه. (٥) يخلق فى الإنسان صفه الالتزام وتحمل المسؤوليه.

٣. إنَّ الحياه البشريه تنطوى - دائماً - على المتاعب والآلام وتحَمُّلِ المصاعب والمحن؛ وأنَّ بعض تلك المصاعب لا يمتلك الإنسان القدره على معالجتها اعتماداً على قواه أو التطوُّر التقنى، من قبيل: (أ) القلق الشديد وخشيته الوقوع فى الجهل والخطأ فى المعتقد. (ب) الخشيته من الانحراف وزله القدم فى مسيرته الحياتيه. (ج) الخشيته من أن يكون الموت نهايه للحياه وانعداماً لها بنحو مطلق. (د) القلق من كلِّ أنواع النقص والمحدوديه. (هـ) المحروميه من بعض النعم والمواهب.

٤. إذا اعتقد الإنسان بوجود خالق للكون حكيم رحمان رحيم غنى لا يبخل على عباده، قريب من جميع عباده لا تقربهم إليه إلَّا التقوى، وأنه عادل لا يظلم أحداً مثقال ذره، حينها تزول عنه كلُّ أنواع القلق والخشيته وتنجلي عن قلبه كلُّ الهواجس المخيفه وتبدل إلى حاله من الاستقرار والرضا، وهذا معنى إضفاء الدين معنى جديداً للحياه.

لا معنى للبحث عن توقع الدين من البشر أو من غيرهم فيما إذا نظرنا إلى الدين بكونه مجموعه من العقائد والأحكام، بل المراد من توقع الدين من البشر هو توقع المشرع وصاحب الدين لا توقع الدين نفسه.

وبعبارة موجزة: انتظار المشرع من البشر وتوقعه منه بأن يسلم أمام الدين ويدعن للمعتقدات الدينيه ويؤمن بها إيماناً راسخاً ينطلق من العمق ولا- يتزعزع أبداً، كذلك يتوقع منه تطبيق الأحكام الإلهيه والعمل وفقاً للذساتير الربانيه، وأن تكون سيرته وسلوكه منسجمين مع ما يطلبه الدين وتريده الشريعته، وكذلك التنزه عن جميع أنواع المعاصي والذائل والموبقات والتحلّي بخصال الخير والفضيله والصفات الحميده.

ومن الواضح أن نفع ذلك كله يعود على الإنسان نفسه، فعندما نقول: إنّ الدين يتوقع أو ينتظر ذلك من البشر، لا يعنى ذلك أن يطلب من الإنسان أن يبذل جزءاً من ثروته ورأسماله الوجودى للدين وأن ينقص منه عضو أو شيء ليضاف ذلك إلى الدين، بل تحقّق تلك الأشياء يعود نفعه فى حقيقه الأمر إلى الإنسان نفسه.وبعبارة اخرى: انتظار الدين من البشر هو أن يرتقى الإنسان بنفسه إلى

الكمال والاستفاده القصوى من النعم والمواهب الإلهية: قُلْ مَا سَأَلْتَكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ. ١

خلاصه البحث

١. المراد من توقّع الدين من البشر، هو توقّع المشرع وصاحب الدين لاتوقّع الدين والشريعة نفسيهما.
٢. انتظار المشرع بمعنى أن يسلم أمام المعتقدات الدينيه والإيمان بها وتطبيق الاحكام الإلهيه والعمل وفقاً للدساتير الربانيه، بالإضافة إلى التحلّي والتزين بالصفات الحميده، والتنزه عن الرذائل والموبقات.
٣. حقيقه الأمر أنّ صاحب الشريعة يريد من الإنسان بأن يصل إلى الكمال من خلال الالتزام الديني والاستفاده من المواهب الإلهيه على أكمل وجه ممكن.

ص: ٥٤

تمتد جذور الميل والنزوع الدينى إلى أعماق التاريخ البشرى وهذه حقيقه أذعن بها الملحدون وخصوم الدين أيضاً فضلاً عن المتدينين. فقضية الاعتقاد بوجود الله وعبادته - باعتباره مبدءاً للوجود - تستوعب التاريخ البشرى طويلاً وتتوزع على جميع أصقاع المعموره وبقاعها عرضاً، وقد تجلى ذلك فى صور وأنحاء مختلفه بالرغم من اختلاف الثقافات وتعددتها.

وهذه حقيقه لايمكن إنكارها حتى من قبل المنكرين لأصالة الدين وحقانيته ومن الذين قالوا ببطلان العقائد الدينيه وخرافيتها، فإنهم بالرغم من ذلك حاولوا تفسير كل هذا الميل البشرى والنزوع الإنسانى على مَرّ التاريخ نحو الدين والتدين وراحوا يبحثون عن علله وأسبابه التى دعت إليه. فمن لا يؤمن بوجود الله تعالى وخالقيته للكون يرى أنّ ظاهره التدين وميل الإنسان نحو الدين بهذه السعه كماً وكيفاً والعبوديه لله والعمل وفقاً لشرائعه، تعدّ أمراً خطيراً وقضيه مرعبه لا بدّ من البحث عن أسبابها وعللها وتوجيهها بأى نحو من الأنحاء.

وقد طرحت فى هذا المجال مجموعه من النظريات بعضها كانت بمستوى من الهبوط الفكرى بنحو يثير الدهشه لدى الباحثين. نشير هنا إلى بعضها:

١- نظريه الخوف

ذهب فرويد (١) فى بعض نظرياته إلى أنّ عامل الخوف هو السبب فى ميل الإنسان ونزوعته نحو التدين، والجدير بالذكر أنّ هذه النظرية لم تكن من ابتكارات فرويد. (٢)

خلاصه النظرية: إنّ الخشيّه من العوامل الطبيعه كالسيول والأعاصير والزلازل والأمراض والموت، جعلت الإنسان يعتقد - جهلاً منه بأسبابها الحقيقيه - بأنّ تلك الظواهر المخيفه تعود إلى منشأ واحد وتنطلق من سبب مشترك اطلق عليه اسم الله. من هنا يذهب فرويد إلى أنّ الإله صنيع الذهن البشرى لا أنّه خالق له. وفى الحقيقه أنّ عامل نشوء الاعتقاد الدينى فى الذهن البشرى هو الأمل فى السلامه من البلايا والكوارث الطبيعه، وقراراً من الخوف والخشيّه من العوامل المؤلمه والمضرّه، راح يعتقد الإنسان الأوّل رويداً رويداً بوجود ذى قدره فائقه وهيمنه عاليه على عوامل الطبيعه لكى يتسنى له الخلاص من الشرور والأخطار والمخاوف التى تحيط به من خلال كسب وده ونيل رضاه عن طريق تقديم القرابين والخضوع له وعبادته والتوسّل إليه.

٢- نظريه الجهل

اشاره

ذهب بعض الباحثين منهم «ويل دورانت و برتراند راسل» إلى القول بأنّ منشأ النزوع الدينى والاعتقاد بوجود الله يعود سببه إلى جهل الإنسان. فالإنسان الأوّل حينما واجه مجموعه من الظواهر الطبيعه كالخسوف والكسوف والرياح العاتيه والأعاصير

ص: ٥٦

١- (١). زيغوموند فرويد عالم النفس النمساوى (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) صاحب المؤلّفات الكثيره منها: الأحلام، نظريات فى الغريزه الجنسيه، الطوطم والتابو. و لمزيد الأطلاع على نظرياته العلميه راجع: فرويد، آنتونى أستور، ترجمه: حسن مرندى، الطبعه الأوّل، ١٣٧٥ هـ - ش، طهران، نشر طرح نو.

٢- (٢). لعلّ أوّل من أثارها الشاعر الرومانى، تيتوس لوكريتوس المتوفى عام ٩٩ م، حيث أشار فى بعض أشعاره إلى أنّ الخوف هو السبب فى الميل نحو التدين، وأنّه هو الذى خلق الإله.

والأمطار وعجز عن اكتشاف أسبابها وعللها الطبيعيه وتفسيرها تفسيراً علمياً، من هنا ذهب إلى الاعتقاد بأنّ هناك موجوداً خارج حدود الطبيعه هو الذى يقف وراء كلّ ذلك أطلق عليه اسم الله مسنداً إليه جميع تلك الحوادث الطبيعيه، ومن أجل نيل رضاه وكسب وده وتجنّب سخطه قام الإنسان بالتذلل والخضوع إليه.

نقد النظريتين

يمكن أن نسجل بعض الملاحظات على هاتين النظريتين:

(أ) إنّهما لا تتجاوزان حدّ الفرضيه والاحتمال ولا تستندان إلى دليل محكم وبرهان رصين.

(ب) لو سلمنا بأنّ البشريه كلّها أو بعضها نزعت نحو التوجّه الدينى بسبب عاملى الخوف أو الجهل واعتقدوا بوجود الله تعالى وعبدوه للسببين المذكورين! فهل يوجد تلازم منطقى بين ذلك وبين إنكار وجود الله تعالى وبطلان الدين واعتباره أمراً خرافياً؟! أنّ أقصى ما تثبته تلك النظريات - على فرض صحتها - أنّ الهدف والغايه من التدين والاعتقاد بوجود الله لم تكن بالأمر الصحيح، وهذا شيء وإنكار وجود الله وحقانيه الدين شيء آخر.

فعلى سبيل المثال هناك - على مرّ التاريخ - الكثير من الاكتشافات والاختراعات العلميه كانت تنطلق من حبّ الشهرة أو كسب المال والمناصب الاجتماعيه، ومن الواضح أنّ تلك الغايات غير أخلاقيه، لكن بطلان الغايه لا يعنى بحال من الأحوال بطلان أصل الاكتشافات أو الاختراعات.

و بعبارة موجزه: إنّ تلك النظريات خلطت بين الدواعى (ما يسوق الإنسان ويحركه نحو الشيء) وبين الأهداف (ما يسعى الإنسان إليه) واعتبرت بطلان أحدهما دليلاً على بطلان الآخر.

(ج) ينقض على تلك النظريات بكثير من النقوض، أمّا النظرية الأولى فينقض عليها بما يلى:

أولاً: من الثابت تاريخياً أنّ الرسل ودعاه الدين كانوا من أشجع الناس وأشدّهم ثباتاً على المبادئ وكانوا صلبين جدّاً في مقابل المحن والامتحانات العسيره التي واجهتهم.

ثانياً: هناك الكثير من الناس الجبناء والخائزين، ولكنهم في الوقت نفسه ملحدون لا يعتقدون بالله ولا يعملون بأى شريعته إلهيه.

ثالثاً: لو صحّ أن السبب وراء الاعتقاد بالله تعالى هو الخشيّة من البلياء والحوادث الطبيعيه في العصور القديمه التي كان فيها الإنسان يجهل علل الظواهر وأسبابها، فكيف يوجه الميل الديني لدى الإنسان المعاصر بعد اكتشافه للأسباب والعلل الطبيعيه التي تقف وراء حدوث تلك الظواهر المخيفه؟ فمن المفروض - طبقاً لمنطق النظريتين - ألا يوجد إنسان متدين بعد التطور العلمي الهائل الذي حصل اليوم أو على أقلّ تقدير ضعف الميل الديني، والحال أن نرى العكس هو المتحقّق، حيث نشاهد ميلاً كبيراً نحو الدين والتدين بصوره أشمل وأوسع!

ويكفي في نقض نظريه الجهل ما نراه من انتشار التوجه الديني ورسوخ الاعتقاد والإيمان بالله تعالى في أوساط المفكرين والعلماء في الفروع العلميّه كافه كأمثال أنشتاين ونيوتن و غاليليو والآلاف غيرهم ممّا يصعب حصره هنا.

(د) نعتقد أنّ التوجه الديني وليد عاملين:

أولاً: إن الإنسان يدرك بأنّ كلّ ظاهره تحتاج إلى علّه وموجد هذا من جهه، ومن جهه اخرى يدرك أنّ اجتماع النقيضين محال (كون الشيء موجوداً ومعدوماً في آن واحد)، بمعنى أنّه يدرك استحاله كون الظاهره هي التي أوجدت نفسها؛ لأنّ هذا يعنى كونها موجوده ومعدومه في آن واحد.

ثانياً: يوجد لدى جميع أفراد البشر شعور قوى بوجود الله وميل نحو العباده، فالإنسان كما يمتلك غريزه البحث عن الحقيقه وحبّ الجمال فطرياً بلا حاجه إلى

الكسب والتعلم، كذلك يمتلك غريزه التدين والتوجه نحو معرفه الله تعالى، وهذه الفطره هى التى تسوقه نحو الاعتقاد بالله تعالى.

وهناك نظريات اخرى فى تفسير الميل والشعور الدينى أعرضنا عنها روماً للاختصار.

ملاحظات

١. اتضح لنا من خلال عرضنا للنظريات التى ذكرت لتفسير التوجه الدينى، مدى التعصب الذى أبداه أصحاب تلك النظريات المنكره لحقيقه الدين الناصعه، ومما لاريب فيه أن التعصب الأعمى ينأى بصاحبه عن الموضوعيه ويبعده عن اكتشاف الحقيقه؛ لأنّ الحبّ والكراهه المفرطين يطغيان على نور العقل وبصيرته.

٢. إن أصحاب تلك النظريات افترضوا من أول الأمر أنّ التوجه الدينى يفتقد إلى أى ركيزه عقليه ومنطقيه، الأمر الذى أوقعهم فى التخطئ فسعوا جاهدين لتفسير تلك الظاهره بأنّها وليده عوامل نفسيه كالإنسان الأولى الذى حينما جهل علل الظواهر وأسبابها فسّرها بالسحر والشعبده، ومع قيام الدليل على كون التوجه الدينى يقوم على ركائز علميه ومنطقيه رصينه حينها تفقد تلك التفسيرات قيمتها واعتبارها وتصبح مجرد فرضيات لا تقوم على دليل محكم.

خلاصه البحث

١. تمتد جذور التوجه الدينى فى أعماق التاريخ البشرى.

٢. حاول الملحدون تفسير الميل الدينى لدى الإنسان بنحو ينسجم مع ما يذهبون إليه من إنكار وجود الخالق.

٣. يرى أصحاب نظريه الخوف: إنّ الخشيّه من الظواهر الطبيعه، جعلت الإنسان يعتقد - جهلاً منه بأسبابها الحقيقه - بأنّ تلك الظواهر المخيفه تعود إلى منشأ واحد وتنطلق

من سبب مشترك أطلق عليه اسم الله، فسبب الميل الدينى الأمل فى السلامه والحفظ من من البلايا والعوامل الطبيعىه.

٤. يعتقد أصحاب نظريه الجهل بأن منشأ النزوع الدينى والاعتقاد بوجود الله يعود سببه إلى جهل الإنسان، فحينما عجز عن اكتشاف أسباب الظواهر الطبيعىه وعللها، ذهب إلى الاعتقاد بأن هناك موجوداً خارج حدود الطبيعىه هو الذى يقف وراء كل ذلك أطلق عليه اسم الله.

٥. إن النظريتين المذكورتين لاتستندان إلى الدليل العلمى ولا تخرجان عن كونهما مجرد فرضيتين.

٦. غايه ما يثبته هذا القبيل من الأفكار على فرض صحتها بيان الهدف من التوجه الدينى والاعتقاد بالله، ولكن لا تلازم بين بطلان تلك الأسباب ونفس وجود الله تعالى؛ وذلك لأن صحه أو سقم الغايه شىء، وصحه وسقم العمل والمعتقد شىء آخر (ضروره التفكيك بين الغايه والمغيب).

٧. نظريه الخوف باطله للأمور التاليه: أ) لأن الرسل ودعاه الدين كانوا من أشجع الناس وأشدهم ثباتاً على المبادئ. ب) هناك الكثير من الناس الجبناء، ولكنهم فى الوقت نفسه ملحدون لا- يعتقدون بالله. ج) لقد انتفى اليوم - إلى حد ما - الخوف من الظواهر الطبيعىه، ومع ذلك نجد ظاهره التدين تزداد رسوخاً وشمولاً.

٨. مما يثبت بطلان نظريه الجهل اعتقاد كبار العلماء والمفكرين فى العالم بوجود الله وميلهم نحو الدين والتدين.

٩. الحقيقه أن التوجه الدينى لدى الإنسان وليد عاملين: ١. حكم العقل بأن كل معلول يحتاج إلى علّه. ٢. الفطره التى تسوق الإنسان نحو التدين والاعتقاد بوجود الله تعالى.

عمّت القاره الأوروبيه فى القرن الثامن عشر الميلادى موجه من الإلحاد والعزوف الدينى، وكان وراء هذه الظاهره مجموعته من العوامل نشير إلى أهمّها :

١ - قصور مفاهيم الكنيسه

إنّ الصوره التى عرضها رجال الدين المسيحى فى القاره الأوروبيه وعلى رأسهم الكنيسه للمفاهيم الدينيه كانت بمستوى من الهبوط واللاعقلانيه، الأمر الذى أدى - و بصوره طبيعيه - إلى العزوف عن الدين، باعتبار أنّ العقل البشرى لايسمح بأن تفرض عليه قيماً ومفاهيم لايسطيع هضمها، فمثل تلك الأفكار الهابطه ليست لا تقنع الأذكياء والواعين فحسب، بل تنفرهم وتحولهم إلى أعداء الداء للمدرسه الإلهيه؛ وذلك لأنّ الشرط الأساسى فى نجاح الأفكار معقوليتها وعدم تعارضها مع العقل السليم.

فعلى سبيل المثال أعطت الكنيسه صوره بشريه لله وعرضته للآخرين فى قالب بشرى له يد ورجل وعين وأذن شأنه شأن سائر الناس إلّا أنّه ضخم جداً.

وإذا ما تلقى الأفراد صوره الله فى قالبها البشرى فى مرحله الطفوله وتأثروا بها تحت

النفوذ الدينى للكنيسة، لكنهم بعد النضج العلمى يدركون مدى هبوط تلك الأفكار وهشاشتها، ويدركون أنّ تلك الصورة لا تتفق مع الموازين العلميه والعقليه الصحيحه، ولما كانوا لا يمتلكون القدره العلميه على نقد مفاهيم الكنيسه وإبطالها وإثبات أنّ الكنيسه هى المخطئه فى هذا المجال، أنكروا الأمر من أساسه وقالوا بعدم وجود الله.

يقول فلاديمير في كتابه الله فى الطبيعه:

إنّ الكنيسه عرضت الله على أساس أنّ المسافه بين عينه اليمنى وعينه اليسرى تعادل ٦٠٠٠ فرسخ!

٢- العنف الكنسى

كان للكنيسه دور آخر فى مجال دفع الناس للعزوف عن الدين فقد اعتمدت اسلوب العنف واستعملت أنواع القسوه والشده فى تحميل العقائد والأفكار الدينيه، بحيث لم يسلم من هذا العنف حتى أصحاب النظريات العلميه الصرفيه لأنها تخالف الدين، بل لأنّ الكنيسه لم ترتضها بالرغم من كونها خارج دائره القضايا الدينيه من قبيل: القول بحركه الأرض ودورانها حول الشمس (حيث كانت الكنيسيه تعتقد خلاف ذلك) فلم يسلم العلماء من العنف الكنسى، وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب، بحيث وصلت عقوبه الكثير منهم إلى حد الحكم بالموت.

وقد أنشأت الكنيسه فى القرون الوسطى محاكم تسمى ب- «الانكيزيسيون» أو محاكم «تفتيش العقائد» تتبع عقائد الناس وتحلل ما فى ضمائرهم وتسعى لإثبات التهمه بأدنى مناسبه على المفكر.

يقول ويل ديورانت عن تلك المحاكم وقوانينها :

كانت وسائل التعذيب تختلف باختلاف الأمكنه والأزمنه فتاره كانوا يشدون يدي المتهم إلى الخلف، ثم يعلقونه بهما، كما أنّ من الممكن أن يوثقوه وثاقاً

محكما، بحيث لا يقدر على الحركة، ثم يسخون الماء في بلعومه حتى يخنق، كما كان من الممكن أن يشدوا الحبال في يديه ورجليه بقوه هائله، بحيث تخترق الحبال اللحم فتصل إلى العظم. (١)

و في موضع آخر يقول:

إن عدد الضحايا من عام ١٤٨٠ - ١٤٨٨ أى خلال ٨ سنوات يقدر ب- «٨٨٠٠» محروق و «٩٦٤٩٤» محكوماً بالأشغال الشاقه والعقوبات الأخرى، وفي عام ١٤٨٠ إلى ١٨٠٨ احرق: «٣١٩١٢» شخصاً وحكم «٢٩١٤٥٠» شخصاً بالأشغال الشاقه وباقي العقوبات الشديده. (٢)

ومن البديهي جداً تكون ردود الفعل لدى الناس بنفس الشده، فلا- يمكن أن تكون سوى رفض الدين من أساسه ورفض ما يشكل حجر الأساس فيه وهو الاعتقاد بالله.

٣- قصور المفاهيم الفلسفيه

يحتاج بيان هذا العامل إلى طرح سلسله من الأبحاث الفلسفيه المعمقه التي لا يستوعبها مستوى الأبحاث المطروحه في هذا الكتاب. من هنا نكتفي بالقول: بأن المدرسه الغربيه واجهت الكثير من المشاكل في مجال الإلهيات والكلام، بحيث لم تستطع حلها كما عجزت عن حل مسائل التوحيد وسائر العقائد بشكل دقيق ينسجم مع العقل والمنطق.

ولتوضيح ذلك وبيان مدى قصور الفكر الفلسفي الغربى وخاصه في البعد الكلامى نرى من المناسب أن نقل كلاماً ل- «راسل» (٣) لنعرف تصوره الفلسفي عن العله الأولى.

ص: ٦٣

١- (١) . قصه الحضاره، ويل دورانت، ٣٥٠/١٨ من الترجمة الفارسيه، والجزء ١٦ من الترجمة العربيه.

٢- (٢) . المصدر: ٣٦٠.

٣- (٣) . يعتبر برتراند راسل من أشهر فلاسفه القرن العشرين، وقد ترجمت مؤلفاته إلى الكثير من اللغات الحيه. وهو من الناحيه الفكرية يشكك بوجود الله، لكنّه لاديني من الناحيه العمليه.

يقول فى كتاب لماذا لم أكن مسيحياً؟:

إنّ أساس هذا البرهان - برهان العلّة الأولى - عبارة عن أنّ كل ما نراه فى هذا الكون له علّة، وإذا تتبعنا سلسله العلل فسوف نصل بالنهاية إلى علّة أولى وهذه العلّة نسميها علّة العلل أو الله.

و من ثمّ يبدأ راسل بنقده كما يلى:

"لم أكن أبان شبابى لأفكر فى هذه المسائل بعمق، وكنت أقبل برهان علّة العلل إلى مدّة من الزمن مديده، إلى أن طالعتنى جملة من كتاب كنت أتصفحه - وأنا فى الثامنة عشره - وهو كتاب الإتيويوغرافيه لجان ستيورات ميل... وكانت هذه الجملة تقول: كان أبى يقول: إنّ سؤال: من الذى خلقنى؟ لاجواب له؛ لأنه ينطرح سؤال آخر بعده مباشره و هو: من الذى خلق الله؟

و هكذا وضحت لى هذه الجملة - على بساطتها - كذب برهان علّة العلل وما زلت أراه كاذباً فإذا كانت العلّة ضروريه لكلّ شىء فهى ضروريه لله أيضاً. وإذا أمكن لشىء أن يوجد بلا علّة فإنّ هذا الشىء يمكن أن يكون هو الله أو العالم. وسخف هذا البرهان إنّما هو لهذه الجبهه بالخصوص. (1)

إنّ من له أدنى معرفه بالفلسفه الإسلاميه يدرك بوضوح مدى هشاشه هذا الاستدلال لأنّ راسل تصوّر أنّ المراد من قانون العليه: أنّ كلّ شىء موجود يحتاج إلى علّه، والحال أنّ المراد من القانون: هو أنّ كلّ ممكن يحتاج إلى علّه، وعليه فالعلّة الأولى خارجه من تحت القانون تخصّصاً، كما فى قولنا: «كلّ فاسق كاذب» التى لاتشمل الإنسان العادل ابتداءً.

وبيان فداحه الخطأ وعمق الزله التى وقع فيها رسل يحتاج إلى الخوض فى مباحث فلسفيه معمقه لا يسع المجال هنا للخوض فيها.

ص: ٦٤

١- (١). الدوافع نحو الماديه، الشهيد المطهرى: ٥٩ و ٦٠.

شاع فى أوساط المجتمع الغربى أنهم إن قبلوا الله كان عليهم أن يقبلوا استبداد القدرات المطلقه أيضاً، وأن الفرد لا حق له قبالة الحاكم مطلقاً، وأن الحاكم غير مسؤول أيضاً بأى وجه أمام الفرد، بل هو مسؤول أمام الله فقط. فقبول الله فى ظنهم يعنى قبول حاله خنق الحريه فى حين أنهم إن أرادوا التحرر كان عليهم أن ينكروا الله، وبالتالي فقد رجحوا الحريه على الإيمان بوجود الله.

على أننا إذا استعرضنا وجهه نظر الفيلسفه الاجتماعيه فى الإسلام - الدين الذى لم تمتد إليه يد التحريف - فسوف نجد أن الاعتقاد بالله لا يعث مطلقاً نحو قبول الحكم الاستبدادى المطلق وعدم مسؤوليه الحاكم أمام الشعب، بل نرى أئمه الدين وقادته يؤكّدون على حقّ المراقبه والنقد وأنّ الحاكم مسؤول قبال الشعب، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول فى هذا المجال :

أما بعد فقد جعل الله سبحانه لىّ عليكم حقّاً بولايه أمركم ولكم علىّ من الحقّ مثل الذى لىّ عليكم... ولا يجرى لأحد إلّا جرى عليه ولا- يجرى على أحد إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجرى له ولا- يجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه. (١)

ولقد تكفّل القانون الأساسى للجمهوريه الإسلاميه - انطلاقاً من الكتاب والسّنّه - بتأمين هذا الحقّ بشكل واضح حيث منح الأفراد حريه نقد الحكومه فأعطى للشعب حقّ اختيار الحاكم وانتخابه وكذلك حقّ عزله، لكن ليس بطريقه عشوائيه، بل عن طريق ممثلى الشعب فى مجلس خبراء القياده. فقد جاء فى الأصل السادس من القانون الأساسى:

ص: ٦٥

يجب أن تدار شؤون البلاد في جمهوريه إيران الإسلاميه بالاعتماد على رأى الأُمه الذى يتجلى بانتخاب رئيس الجمهوريه، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامى وأعضاء سائر مجالس الشورى ونظائرها، أو عن طريق الاستفتاء العام فى الحالات التى نصّ عليها الدستور.

كذلك جاء فى الأصلين التاسع عشر والعشرين:

يتمتع أفراد الشعب الإيرانى - من أيه قوميه أو قبيله كانوا - بالمساواه فى الحقوق ولا يعتبر اللون أو العنصر أو اللغه أو ما شابه ذلك سبباً للتفاضل.

و أنّ حمايه القانون تشمل جميع أفراد الشعب - نساء ورجالاً - بصورة متساويه وهم يتمتعون بجميع الحقوق الإنسانيه والسياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه ضمن الموازين الإسلاميه.

٥- إبداء النظر من قبل غير الإخصائين

صحيح إنّ أساس المعرفه الإلهيه الذى يجب معرفته والإيمان به، أمر فطرى بسيط واضح، إلّا أنّنا إذا تقدّمنا فى البحث خطوه اخرى فأنا سنواجه بحث الصفات والأسماء والأفعال الإلهيه والقضاء والقدر ويتعدّد الأمر حينذاك حتّى ليعبر أمير المؤمنين عليه السلام عنه بأنّه «بحر عميق...».

لكن ولشديد الأسف نرى فى العالمين الشرقى والغربى من يمنح نفسه الحقّ فى إبداء النظر والتدخل فى مختلف الأمور، ممّا يؤدّى إلى أن يتلقى الناس مجموعه من المطالب والآراء الخاطئه والمعالجات السقيمه التى لا تقوم على دليل رصين، ولم تنحصر القضيه فى الأمور الطبيعيه، بل تعدت ذلك إلى التدخل فى المسائل الدينيه وبالخصوص المسائل الإلهيه والتوحيد التى تعتبر من أعقد المسائل العلميه، ممّا خلق رده فعل معاكسه كانت نتيجتها الشكّ والريبه فى أصل الدين لدى الناس. يشير الشهيد المطهرى إلى نماذج من ذلك الفضول فى كتاب الدوافع نحو الماديه، قائلاً:

يقال إنَّ شخصاً عنون هذا السؤال: لماذا أعطى الله تعالى الطيور أجنحه و حرم الإبل منها؟ ثمَّ أجاب: إنَّ الحكمة في ذلك أنَّه سوف لا تبقى لنا حياه إذا امتلكت الإبل أجنحه! إذ سيطير الجمل ليحط على بيوتنا الطينيه فيسلمها للخراب.

و قد سئل آخر عن الدليل على وجود الله تعالى فأجاب: ما لم يكن هناك شيء، لم يقل الناس فيه أشياء.

ولكن ممّا لا يريب له أنَّ ضعف الحجج والأدله لا- يعنى بحال من الأحوال بطلان أصل المدعى. نعم، من الناحيه النفسيه (السايكولوجيه) يكون لضعف الدليل الأثر في زعزه الثقه في صحه أصل المدعى، بل قد يؤدّي أحياناً إلى الاطمئنان ببطلانه.

وهكذا يكون لضعف الحجج التي يسوقها الجاهلون الأثر في عزوف الناس عن الدين والميل نحو اللادينيّه.

٦- الفصل بين العباده وبين السعاده الدنيويه

شاءت الحكمة الإلهيه أن يزود الإنسان بمجموعه من الغرائز والميول التي تؤمن له استمراريه الحياه وتسوقه نحو هدفه الذي خلق من أجله، كالغريزه الجنسيه وحبّ المال والميل للأولاد والتناسل وكسب المعرفه وغريزه حبّ الجمال.

صحيح إنّه ليس للإنسان أن يتبع الغرائز وينقاد لها انقياداً أعمى وبشكل تامّ، لكن في نفس الوقت ليس له التنصل منها وإهمالها أو معارضتها والصراع معها دائماً، بل لا بدّ من ترشيدها وتهذيبها وقيادتها في الاتجاه الصحيح.

فإذا عارضنا هذه الغرائز باسم الدين واعتبرنا التجرد والانعزال والرهبنه أمراً مقدساً، والزواج أمراً قبيحاً، وبنفس العنوان اعتبرنا الجهل موجباً لخلاص الإنسان والعلم سبباً للضلال، وهكذا نظرنا إلى الثروه والقدرة على أنّهما السّرّ الأساسى للشقاء في حين أنّ الفقر والضعف والعجز أساس السعاده، إذا كانت نظراتنا على هذا النمط فما الذى يتوقّع أن يحدث بعد ذلك؟! لا شكّ أنّه سيحدث عين ما حدث في الغرب من العزوف

عن الدين والميل نحو اللادينية والإلحاد، فإن المجتمعات التي حوربت فيها الغرائز تحت اسم الدين وجعلت السعادة الدنيوية فيها والعبادة أمرين متضادين لا يمكن الجمع بينهما، نجدتها تتجه نحو الماديه وتروج فيها المدارس الإلحاديه اللادينية بعد أن تنهزم أمامها تلك التعاليم، ولشديد الأسف نجد أن هذه الأفكار المنحرفه تروج في أوساط المسلمين من قبل بعض الجهال.

يقول راسل:

إنّ تعليمات الكنيسه تجعل البشر بين احد شقاءين وحرمانين، فأما شقاء الدنيا والحرمان فيها من النعم، وأما شقاء الآخره والحرمان من حورها وقصورها.

وهكذا يصوّر لنا راسل هذه التعليمات الكنسيه التي تلزم الإنسان بتحمّل أحد الشقاءين، أما شقاء الدنيا والحرمان والانزواء في قبال نعم الآخره، وأما شقاء الآخره إذا لم يشأ الإنسان الحرمان من نعم الدنيا. (١)

ولا شكّ في فساد هذه الفكره فإنّ الدين الصحيح هو الذى يؤمن السعادتين الدنيويه والآخريه؛ وذلك لأنّ أوّل تساؤل يواجهه هولاء هو من ناحيه نفس عقيدته التوحيد والمعرفه الإلهيه إذ يقال لهم :

لماذا يلزم الله الإنسانيه بتحمّل أحد الشقاءين؟ ولماذا كان الجمع بين السعادتين مستحيلاً؟ وهل الله بخيل - و العياذ به -؟ وهل تنقص خزائنه؟ و ما المانع من أن يريد لنا خير الدنيا والآخره؟

من هنا يخلص الشهيد المطهرى إلى النتيجة التاليه :

إنّ بعض التوجيهات غير الواقعيه لبعض المبلغين أوجبت أن يفر الناس من الدين ويجعلوا الله والدين سبباً من أسباب شقائهم. (٢)

ص: ٦٨

١- (١) . نقلاً عن كتاب الدوافع نحو الماديه: ٩٥، ترجمه: الشيخ محمّد على التسخيرى.

٢- (٢) . المصدر: ٩٧

مِمَّا لا ريب فيه أنّ القبول بالدين والتسليم له يستلزم بعض المحذورات السلوكية. من هنا نرى الغارقين في الشهوات المادية الذين ينظرون إلى الدين كعقبة أمام حريتهم تمنعهم من وصولهم لما يشتهون، يحاولون شق الطريق إلى الحرية المطلقة من خلال إنكار الدين وإزاحته من الحياة.

يشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وهي أنّ الذين يشكّون في تحقّق المعاد لا- يقوم شكّهم على مستند علمي رصين، بل تسوقهم إلى ذلك الشهوة العملية في قوله تعالى: **بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. ١** ومن جهة أخرى، أنّ الذنوب والفساد الأخلاقي والعملی تمنع من قبول الحقّ والتسليم له، فبذره التوحيد لا تنمو إلّا في الأرض الطيبة؛ لأنّ طبيعه الأرض الفاسده مفسده للبدور قطعاً، فإذا كان الإنسان مادياً شهوياً في عمله، غارقاً في عباده المادة والشهوات، فإنّه بصورة تدريجية ستسجم آراؤه وأفكاره مع البيئه الروحيه والأخلاقية هذه. (١)

ولهذا نجد القرآن يتحدث كثيراً عن القابليه والطهاره والاستعداد فيقول: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. ٣** وأنّه منذر لمن كان حياً: **إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ٤.**

فالانحطاط الأخلاقي والاجتماعي الكبير الذي عمّ القاره الأوروبيه في القرون الأخيره وفّر الأرضيه المناسبه لاضمحلال القيم المعنويه والعزوف عن الدين والاندفاع

ص: ٦٩

نحو الماديه: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۝١.

وأكبر مثل تاريخي على هذا الأمر قصه سقوط أسبانيا المسلمه، فإن الكنيسه لم تستطع رغم كل جهودها أن تنتزع أسبانيا من المسلمين فوضعت خطه دقيقه جداً سلبت المسلمين فيها التعالي الروحي وعودتهم على أتباع الشهوات وسلبتهم غيره والشرف، ومن ثم سلبتهم سيادتهم واستقلالهم وأخيراً قضت على دينهم وعقيدتهم.

خلاصه البحث

تتمثل أهم عوامل الاندفاع نحو الماديه والعزوف عن الدين في البلاد الغريبه بالأمر التاليه:

١. قصور مفاهيم الكنيسه: فقد عرضت الكنيسه صورته بشريه لله وصورته للآخرين في قالب بشري، إلا أنه كبير جداً، ومثل تلك الأفكار الهابطه لا تقنع الأذكياء والواعين، بل تنفرهم من الدين.

٢. العنف الكنسي: اعتمدت الكنيسه اسلوب العنف واستعملت مع مخالفيها أنواع القسوه والشده في تحميل العقائد والأفكار التي تؤمن بها، فعرضتهم لشتى أنواع التعذيب، بحيث وصلت عقوبه الكثير منهم إلى حدّ الحكم بالموت. وكانت رده الفعل بمستوى الفعل، حيث تمثلت في إنكار الدين، بل إنكار أصله المتمثل بالله تعالى.

٣. قصور المفاهيم الفلسفيه: فإن المدرسه الغريبه واجهت الكثير من المشاكل في مجال الإلهيات والكلام وعجزت عن حلّ مسائل التوحيد وسائر العقائد بشكل دقيق ينسجم مع العقل والمنطق.

٤. عدم نضوج المفاهيم الاجتماعيه والسياسيه: شاع في أوساط المجتمع الغريبي أنهم

إن قبلوا الله كان عليهم أن يقبلوا استبداد القدرات المطلقة أيضاً، فقبول الله في ظنهم يعنى قبول حاله خنق الحرية في حين أنهم إن أرادوا التحرر كان عليهم أن ينكروا الله، وبالتالي فقد رجحوا الحرية على الإيمان بوجود الله.

٥. إبداء النظر من قبل غير الإخصائيين: نرى في العالمين الشرقي والغربي من يمنح نفسه الحق في إبداء النظر في مختلف المسائل الدينية وبالخصوص المسائل الإلهية والتوحيد مِمَّا خلق رده فعل معاكسه كانت نتيجتها الشك والريبه في أصل الدين لدى الناس.

٦. الفصل بين العباده وبين السعاده الدنيويه: شاعت في الأوساط الغربيه أنّ السعاده الدنيويه والعباده أمران متضادان لا يمكن الجمع بينهما، وأنّ التجرد والانعزال والرهينه أمر مقدّس، والزواج أمر قبيح، وأنّ الجهل موجب لخلاص الإنسان والعلم سبب للضلال، وهكذا النظر إلى الثروه والقدره على أنّهما السر الأساسى للشقاء في حين أنّ الفقر والضعف والعجز أساس السعاده! والحال أنّ الدين الصحيح هو الذى يؤمن السعادتين الدنيويه والأخرويه ويمنح الإنسان الأمل في الحياتين.

٧. الفساد الأخلاقى والعملى: إنّ القبول بالدين يستلزم بعض المحدوديات أو المحظورات السلوكيه. من هنا نرى الغارقين في الشهوات الماديه الذين ينظرون إلى الدين كعقبه أمام حريتهم تمنعهم من وصولهم لما يشتهون، يحاولون شقّ الطريق إلى الحرية المطلقه من خلال إنكار الدين وإزاحته من الحياه. فالانحطاط الأخلاقى والاجتماعى الذى عم القاره الأوروبيه في القرون الأخيره وفّر الأرضيه المناسبه لاضمحلال القيم المعنويه والعزوف عن الدين والاندفاع نحوالماديه.

الفصل الثاني - مباحث التوحيد

اشاره

ص: ٧٣

إشاره

تحظى قضيه معرفه الله تعالى وصفاته العليا - بقطع النظر عن آثارها العمليه على المستويين الفردي والاجتماعي - بأهميه كبرى ولها دورها الفاعل في السعاده البشريه، بحيث إن الكمال البشري مقرون بمعرفه الله معرفه صحيحه. فالإنسان الذي لم يعرف الله كما يليق به حتى لو بذل قصارى جهده في القيام بالأعمال الصالحه والحسنه لا- يمكنه أن يصل إلى مرتبه الكمال الإنساني المتناهي.

إن معرفه الصحيحه تمثل أعلى درجات الكمال النفساني وتسوق الإنسان نحو الحقيقه ونحو الله تعالى:

...إِلَيْهِ يَضَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ.... ٢

يقول الشهيد المطهرى:

إنَّ إنسانيه الإنسان مرهونه بمعرفه الله تعالى؛ وذلك لأنَّ معرفه الإنسان غير منفصله عنه، بل هى الأصل الأصيل والركن الأساسى فى شخصيته، وهى أكرم صفه وخصيصه فيه، فكلما ازداد الإنسان معرفه بالوجود ومبدأ الكون فحينئذٍ تتحقّق إنسانيته التى نصف جوهرتها العلم والمعرفه.

فالنظره الإسلاميه وخاصّه الشيعيه منها تذهب - ومن دون أدنى شكّ - إلى أنّ المعارف الإلهيه تمثل هدفاً وغايه إنسانيه مع قطع النظر عن آثارها العمليه والاجتماعيه المترتبه عليها. (١)

من هو الله ؟

ما هو الموجود الذى يطلق عليه فى اللغه العربيه كلمه «الله» وفى الإنجليزيه كلمه «GOD» وفى الفارسيه «خدا»... إلخ؟ وما هى صفاته؟ وما العلاقه بيننا وبينه؟ وما السبيل للاتصال به؟

نظره عابره على تاريخ الفكر البشرى تظهر لنا شيوع وانتشار مسأله الاعتقاد بالله تعالى فى أوساط المجتمعات البشريه، وأنّ جذورها تضرب فى أعماق التاريخ البشرى، وبعباره اخرى: إنّ تاريخ الاعتقاد بالله بدأ مع تاريخ وجود الإنسان، ولا يعنى ذلك أنّ الاعتقاد بوجود الله كان على مستوى واحد لدى جميع الشعوب، وأنّ نظرتهم إليه تعالى نظره مشتركه من جميع الأبعاد.

إنّ اختلاف الرؤى كبير جداً، خاصّه لدى الشعوب التى اتكلت على نتاجها الفكرى ولم تستند إلى تعاليم الأنبياء الإلهيين فى معرفه الله تعالى. وقبل الشروع فى بيان صفاته تعالى وفقاً للنظريه الإسلاميه نرى من المناسب جداً - ليتّضح الفارق الكبير

ص: ٧٦

١- (١). مجموعه آثار المجموعه الكامله، الشهيد المطهرى: ١٠٥/٢.

بين الفكر الإسلامي التوحيدى وسائر الأفكار والاتجاهات الأخرى - أن نلقى نظره سريعه على بعض النظريات التى طرحها كبار المفكرين فى هذا المجال:

الله عند سقراط

يعتقد سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) شأنه شأن سائر اليونانيين المعاصرين له بوجود الله. إلّا أنّه - كما يظهر من تاريخ الفلسفه - لا يرى سعادته البشريه متوقفه على الاعتقاد بوجود الله وهدايتته، فإنّه بالرغم من كونه يعتقد بأنّ الكمال البشرى يتوقف على التمسك بالقيم الأخلاقيه، إلّا أنّه لم يتطرق إلى العلاقه بين الإنسان وبين الله تعالى ولم يبين كذلك مكانته تعالى فى مسير البشريه.

الله عند أفلاطون

يطلق أفلاطون (٤٢٨/٧ - ٣٤٨/٧ ق.م) كلمه الله على موجودين: أحدهما الخير المطلق والآخر الصانع. وقد اعتبر الخير المطلق هو الإله الأصلى وعبر عنه بالأب، وأمّا الصانع فأطلق عليه كلمه الابن، كذلك يذهب أفلاطون إلى أنّ معرفه الخير المطلق تعدّ أمراً شائكاً، بل يعتبرها من أعقد المعارف البشريه، وأنّها لا تحصل إلّا بعد حصول سائر المعارف الأخرى، كذلك يرى أفلاطون أنّ هذه الثنويه لا يدركها إلّا الفلاسفه لما تميزوا به من خصائص روحيه وفكريه وقوه جسميه خاصه، بل حتّى الفلاسفه لا يصلون إلى هذه الحقيقه (إدراك حقيقه الخير المطلق) إلّا فى سنّ الخمسين وبعد طى مجموعه من المراحل الفكرية، وأمّا سائر الناس - الأكثرية الغالبه - فلا يدركون تلك الحقيقه فهم محرومون من ذلك.

الله عند أرسطو

يذهب أرسطو (٣٨٤/٣ - ٣٢٢/١ ق.م) إلى أزلية العالم وأنّه لم يخلقه خالق. من هنا يرى أرسطو أنّ الله لم يخلق العالم، بل إنّهُ محرك له فقط من دون أن يكون هو

متحرراً؛ لذلك تعد ابرز صفه فى إله أرسطو أنه محرك غير متحرك. والمهم فى المذهب الأرسطى

إنه يذهب إلى استحاله عباده الله وحبّه والاستعانه به، وأنه تعالى لا يستطيع أن يلبى حاجات الإنسان ويستجيب للحبّ الذى بيديه البشر؛ وذلك لأنه فاقد للإراداه من جهه، وأنه مشغول فى التفكير بذاته فقط. (١)

الله لدى الكنيسه فى العصور الوسطى

أشرنا فى بحث عوامل العزوف عن الدين فى الغرب، وباختصار إلى أنّ الكنيسه أعطت صورته إنسانيه لله وعرضته للآخرين فى قالب بشرى. وهنا نرى من الضرورى أن نشير إلى قضيه اخرى وهى: إنّ الفكره الغالبه فى القرون الوسطى تتمثل فى اعتبار الله تعالى عاملاً إلى جانب سائر العوامل المؤثره فى العالم، فعندما كان الإلهيون يعجزون عن تفسير الظواهر الطبيعیه كالزله والكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر الطبيعیه تفسيراً علمياً ولا يكتشفون عللها الطبيعیه ينسبون ذلك بصورة مباشره إلى الله، فعندما كانوا يسألون عن علل تلك الظواهر يقولون: إنّ الله هو الذى أوجدها.

من هنا كانت النتيجة الحتميه أن يكون الله ضمن قائمه المجهولات التى يبحث الإنسان عنها، ومن الطبيعى حينئذ أن يتراجع الإيمان بالله وتضيق دائره حركته كلما تطوّر العلم، فكلما تقدّم العلم خطوه يتأخر الله تعالى خطوه بالاتجاه المعاكس، فإذا ما فرضنا أنّ الإنسان استطاع أن يحلّ اللغز البشرى وتمكن من اكتشاف علل جميع الظواهر الطبيعیه فحينئذ لا يبقى لله شىء يقوم به.

ص: ٧٨

١- (١). راجع: مباني خدائناسى در فلسفه يونان واديان الهى؟، رضا برنجكار: ٨١ - ١٠٣؛ ولمزيد الاطلاع على نظريات الفلاسفه الثلاثه راجع: شرف الدين خراسانى، نخستين فيلسوفان يونان، وفرديك كابلستون، تاريخ فلسفه، المجلد الأول، ترجمه إلى الفارسيه الدكتور مجتبوى.

فعلى أساس هذه الفكرة تنحصر دائره الله فى الأشياء التى ما زالت عللها طبيعه مجهوله. من هنا وانطلاقاً من هذه الفكرة التى تحدد العلاقة بين الله والعالم نرى أوغست كونت يقول:

لقد عزل العلم أبا طبيعه عن عمله وساقه نحو الانعزال. (١)

ويقصد بذلك أنّ كلّ حادثه كانت تحدث فى الماضى كانت تعلق بالاستناد إلى الله فعندما تصيب شخص الحمى يثور هذا السؤال: لماذا أصابته الحمى؟ ومن الذى أوجدها؟ والجواب حينذاك هو أنّ الله هو الذى أوجد الحمى ولم يكن هذا الجواب يعنى أنّ الله هو الذى يدبّر الكائنات ويحركها، بل يعنى أنّ الله - مثله مثل الموجود الخيالى المهول أو الساحر الذى يسحر من عالم الغيب - صمم فجأه وبدون أية مقدمات على أن يخلق الحمى فخلقها! فى حين جاء العلم بعد ذلك فاكشف أنّ المرض لم يأت به الله وإنّما أوجده نوع خاص من الميكروبات، وهنا تراجع الله خطوه إلى الوراء. وهكذا كلّما اكتشف العلم العله تلو العله يتراجع الله خطوه بالمقدار الذى اتسعت فيه العلوم.

والحقيقه أنّ هذا النمط من التفكير يجعل من الله جزءاً من أجزاء العالم، وأنّه عامل إلى جانب سائر العوامل الكونيه. (٢)

الله عند غاليليو

بعد انتهاء فتره العصور الوسطى وحصول التطور العلمى الهائل فى مجال العلوم

ص: ٧٩

١- (١). نقلاً عن كتاب الدوافع نحو الماديه: ٢٩.

٢- (٢). المصدر: ٢٩-٣٠. يقول الشهيد المطهرى معلقاً على هذا الكلام: وهنا يقع الإنسان فى دهشه كبرى عندما يواجه هذا المنطق! فما أعظم هذا الغلط والضلال فى هذا المجال! وما أكبر الجهل الذى يعبر عنه فى مجال معرفه الله - سبحانه - فيلجأ للقرآن ويردد معه وما قدروا الله حقّ قدره.

التجريبه، ذهب بعض العلماء من أمثال غاليليو (١٥٦٤م - ١٦٤٢م) إلى عرض صورته جديده لله تعالى:

يذهب غاليليو إلى أنّ العالم يتألف من مجموعه من الذرات وأنّ جميع الظواهر التي تحدث فيه هي نتيجة لحركه تلك الذرات وتشكلها بأشكال مختلف، وتنحصر مهمه الله في خلق تلك الذرات فقط. وبعد أن خلقها انتفت الحاجه إليه؛ لأنّ الطبيعه حينئذٍ تعمل بصوره مستقله ومن دون حاجه إليه تعالى. (١)

الله عند نيوتن

يرى نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) أنّ العلاقه بين الله والكون تشبه علاقه الساعه بصانعها، فكما أنّ الساعه تستمرّ في عملها بصوره مستقلّه بعد انفصالها عن صانعها، فهكذا العالم بعد خلقه، إلّا أنّ الذي يميز نظريه نيوتن عن غيره مثل غاليليو هو أنّه يعتقد أنّ الله يتدخل بين فتره وأخرى ليعيد النظام إلى حركه الأفلاك والمجرات، إضافة إلى دوره في منع حدوث الاصطدام بين الكواكب والسيارات.

تعتبر هذه النظرية - إلى حد ما - امتداداً لما كان مطروحاً في القرون الوسطى التي تجعل مجال صلاحيات الله تعالى في الأمور التي لم تكتشف عللها بعد، ولما أدرك الإنسان أنّ حركه السيارات وعدم اصطدامها خاضعه لقانون خاصّ من دون حاجه إلى تدخل الله تعالى بصوره مباشره في ذلك، وأنّ القضيّه قابله للتفسير العلمى، فحينئذٍ تضيقت دائره حركته تعالى بصوره أكثر. (٢)

ص: ٨٠

١- (١). راجع: علم ودين، ايان باربور: ٢٧.

٢- (٢). المصدر: ٤٩ - ٥٣. فالله هنا موجود خيالى ادخر لتفسير الأمور مجهوله العله والسبب وكلّما تطوّر العلم واكتشفت الأسباب انحصرت دائره صلاحيته وتضييق دوره إلى أن يأتي اليوم الذي يتقاعد فيه ذلك المعمار عن عمله بصوره تامّه أو تحل عباده الطبيعه محلّه: ٥٢.

وقد تبني نظريه غاليليو الكثير من علماء القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث يرى أنّ مهمّة الله تنحصر في خلق العالم ابتداءً، ثمّ تفويض الأمر إليه ليواصل مسيرته بنفسه من دون حاجه إلى خالق ومدبّر، مثله مثل علاقة العماره بمهندسها. (1)

خلاصه البحث

1. إنسانيه الإنسان رهينه بمقدار معرفته بالله تعالى، وهذه المعرفه تمثّل الركن الأساسى في وجوده وهى غايته وهدفه الأصلي.
2. يعتقد سقراط (470 - 399 ق.م) بوجود آلهه، إلّا أنّه لا يرى سعادته البشريه متوقّفه على الاعتقاد بوجود الله وهدايتته، ولم يتطرّق إلى العلاقه بين الإنسان وبين الله تعالى ولم يبين كذلك مكانته تعالى في مسير البشريه.
3. يعتقد أفلاطون (428/7 - 348/7 ق.م) بوجود إلهين. كذلك يرى أفلاطون أنّ هذه الثنويه لا يدركها إلّا الفلاسفه لما تميزوا به من خصائص روحيه وفكريه وقوه جسميه خاصّه، بل إنهم لا يصلون إلى ذلك إلّا في سنّ الخمسين بعد طى مجموعه من المراحل الفكرية، ويبقى سائر الناس محرومين من ذلك.
4. يذهب أرسطو (384/3 - 322/1 ق.م) إلى أزليه العالم وأنّه لم يخلقه أحد. ويرى أنّ الله لم يخلق العالم، بل إنّّه محرك له فقط من دون أن يكون هو متحركاً، والمهمّ في المذهب الأرسطى أنّه يذهب إلى استحاله عباده الله وحبّه والاستعانه به؛ لأنّه تعالى لا يستطيع أن يلبي حاجات الإنسان ولا يستطيع أن يستجيب لها.
5. إنّ الكنيسه في العصور الوسطى منحت الله صورته إنسانيه وعرضته للآخرين في قالب بشري. واعتبرت الله تعالى عاملاً إلى جانب سائر العوامل المؤثّره في العالم،

ص: ٨١

فعندما كانوا يعجزون عن تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً علمياً ولا يكتشفون عللها الطبيعية حينئذٍ ينسبون ذلك بصورة مباشرة إلى الله.

٦. يذهب غاليليو إلى أنّ مهمّة الله تعالى تنحصر في خلق الذرات فقط. وبعد أن خلقها انتفت الحاجة إليه؛ لأنّ الطبيعة حينئذٍ تعمل بصورة مستقلة ومن دون حاجة إليه تعالى ولا- يؤثر وجوده أو عدمه في ذلك، وقد تبني نظريه غاليليو الكثير من علماء القرنين السابع عشر والثامن عشر.

٧. يرى نيوتن أنّ العلاقة بين الله والكون تشبه علاقة الساعه بصانعها، إلّا أنّه يعتقد أن الله يتدخل بين فتره وأخرى ليعيد النظام إلى حركة الأفلاك والمجرات، إضافة إلى دوره في منع حدوث الاصطدام بين الكواكب والسيارات.

ص: ٨٢

يمكن القول: بأن السبب الأساسي في انتشار وثبات الدين الإسلامي هو تمكنه من التعريف بالله تعالى وصفاته تعريفاً جيداً يليق بشأنه تعالى وبذاته المقدسه. (١) إذ لم يستطع أى دين من الأديان أو مذهب من المذاهب - حتى الديانات الإلهية - وصف الله تعالى بالصورة التي وصفه بها الدين الإسلامي. فالملاحظ من آيات الذكر الحكيم أنّها سعت - وبما يناسب لغه القوم - أن تعرف الله تعالى للإنسان على أكمل وجه وأجلى صورة.

فالله حسب الرؤيه القرآنيه، واسع، عليم، (٢) أسرع الحاسبين، ٣ حى، قيوم، ٤ على، كبير، حق، ٥

ص: ٨٣

١- (١). راجع: جوان مسلمان و دنيای متجدد، السيد حسين نصر: ٣٦.

٢- (٢). البقره: ١١٥: إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

ذو الجلال والإكرام، ١ صمد ٢ (غنى عن الكلّ والكلّ محتاج إليه).

هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ٣

المتعال، ٤ أى المتعالى عن الأوهام الذى تعجز العقول والأفكار عن إدراك حقيقته ومعرفة صفاته الجمالية والجلالية كما يليق بشأنه. ٥

المنزه عن الرؤيا وإحاطه الأبصار به وهو يدرك الأبصار. ٦

ومن صفاته الأخرى التى وصفه القرآن الكريم بها أنه أحد، ٧ واحد ٨ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٩ له الأسماء الحسنى. ١٠

وهو تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

١١

وأنه تعالى: ...وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى... ١٢

وقد أشارت الآيات الكريمة إلى الكثير من صفاته وأسمائه المقدسه بما فيه الكفايه نشير هنا الى بعضها:

ص: ٨٤

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ... ١.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ٢

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ٣

وأنه تعالى فى عين كونه فى غايه العظمه، غير متناه ولا مثيل له ولا شريك، إلا أنه فى الوقت نفسه أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد، وأنه يعلم ما توسوس به نفسه: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. ٤

الله ملئ بالرحمانيه والرحيمي، وقد تجلت هاتان الصفتان فيه تعالى بدرجه من الكثره والعمق، بحيث إن سور القرآن تبدأ بقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥، فبالإضافه إلى هذا كله نجده تعالى قد كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. ٦

وأنه تعالى فى الوقت الذى يتّصف بكونه غفور وغبور وغفار وعاقر الذنب، نراه هو القوى (١)، القاهر ٨، القهار ٩، قابل التوب ١٠،

ص: ٨٥

١- (٧). الأنفال: ٨: إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ.

الوهاب (١)، الودود ٢، الرؤوف ٣، ذو الطول ٤، ذو الرحمه ٥، التواب ٦، ذو الفضل العظيم ٧.

ومن صفاته تعالى أنه مجيب الدعاء ٨ يدها مبسوطتان في العطاء والرحمه: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... ٩ وأنه تعالى: هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... ١٠ وهو... فاطرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ١١ وفوق كلِّ ذلك خالق كلِّ شيء ١٢. فكلَّ ما في الكون هي مخلوقات محتاجه إليه وتابعه له تعالى.

وأنه تعالى لا يخلو منه مكان في الأرض ولا في السماء: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ... ١٣.

ومن صفاته تعالى أنه مع خلقه أينما كانوا وحيثما حلوا وهو العالم بكلِّ حركاتهم

ص: ٨٦

١- (١). آل عمران: ٨: إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

وسكناتهم: ... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. ١ وأنه تعالى هو المدبر لجميع شؤون الكون: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ. ٢

وأنه تعالى لا شريك له فى الخلق والسلطنة، ٣ ولا- فى المدبريه والربوبيه، ٤ وكذلك لا شريك له فى الحكم ٥ والشفاعه ٦
وكذلك لا شريك له فى سائر الكمالات الاخرى، وأن كل من اتصف بشيء منها فإنما هو بفضل وهبه منه تعالى ٧.

يعدّ القرآن الكريم كتاب معرفه الله، وقد كانت الآيات القرآنيه عميقه ودقيقه جداً فى هذا المجال، بنحو عجز كبار المفكرين
والعلماء عن إدراك كنهها. فالتعريف الذى يعرضه القرآن الكريم لله تعالى يعدّ من أهمّ التعريفات جامعيه ودقّه وعمقاً. من هنا
نرى الإمام الخميني (رحمه الله) ذلك العارف الكبير والمفسّر العميق يشير إلى هذه الحقيقه بقوله:

لولا القرآن الكريم لانسد باب معرفه الله تعالى إلى الأبد... وهذا المقدار الذى ورد فى القرآن الكريم لا تجد له نظيراً فى أى
كتاب آخر حتّى فى كتب العرفان الإسلامى.... أضف إلى ذلك أنّ التعابير التى استخدمها القرآن تختلف عمّا ذكرت فى سواه
من الكتب، ففى القرآن الكريم اسلوب منفرد لطائف دقيقه جداً. ٨

ص: ٨٧

١. لم يعرف الله تعالى ولم يوصف في كتاب، كما عرف ووصف في القرآن الكريم.
٢. إِنَّ الله يتحلَّى بكلِّ صفات الكمال وأنَّ له الأسماء الحسنَى.
٣. واحد أحد لا مثيل ولا نظير له.
٤. إِنَّه تعالى في عين كونه في غاية العظمه، إلَّا أنه في نفس الوقت أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد، وهو معه أينما كان.
٥. هو الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه.
٦. يده مبسوطتان، مجيب الدعاء، رؤوف بعباده.
٧. هو خالق كلِّ شيء والمدبر لشؤون الكون.
٨. لولا القرآن الكريم لانسد باب معرفه الله تعالى إلى الأبد. (الإمام الخمينى)

(١)

من المتعارف فى الكتب الفلسفيه والكلاميه البدء بالبحث فى إثبات وجود الله، حيث تبذل فيها قصارى الجهود - استناداً للكثير من البراهين - لإثبات أمرين هما: إنَّ للكون خالقاً، وإنَّ هذا الخالق غير مخلوق.

إلّا أنّ الكتب السماويه ومنها القرآن الكريم سلكت مسلكاً آخر فى هذا المجال قضيه الله. فمن النادر العثور فيها على عبارته تتعرض بصوره مباشره إلى إثبات أصل وجود الله، وكأنَّ أصل وجود الله يعدّ من الأمور المسلمه والواضحه التى لا مجال لإنكارها ولا حاجه لإثباتها.

وقد صرح المفسّر الكبير العلامه الطباطبائى بهذه القضيه، حيث قال:

القرآن الشريف يعدّ أصل وجوده تبارك وتعالى بديهياً لا يتوقّف فى

ص: ٨٩

١- (١). الجدير بالذكر ان المراد من البداهه هنا معناها العام الشامل للبديهيات الثانويه (الفطريات). وهى القضايا التى يحتاج التصديق بها إلى استدلال وتمسك بالحد الوسط. ويكفى أدنى التفات لخطر ذلك الاستدلال فى الذهن.

التصديق العقلي به، وإنما يعنى عنايته بإثبات الصفات، كالوحدته، والفاطريه، والعلم، والقدرة، وغير ذلك (١).

وكذلك يعتقد ذلك المفسر الكبير: إن قوله: «لَمَّا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ»، مسوقه لنفى غير الله من الآلهه الموهومه المتخيله لا لنفى غير الله وإثبات وجود الله سبحانه، كما توهمه كثيرون، ويشهد بذلك أن المقام إنما يحتاج إلى النفي فقط، ليكون تثبيتاً لوحدته فى الألوهيه لا الإثبات والنفي معاً (٢).

إن منطق القرآن الكريم فى خصوص أصل وجود الله هو: ...أَفِي اللَّهِ شَكٌّ... ٣

بداهه وجود الله فى سائر الكتب السماويه

كما أشرنا سابقاً أن الكتب السماويه الأخرى قد سلكت نفس الطريق فى تعريف الله تعالى، يقول آربرى (A.J.Arberry) فى كتاب العقل والوحى فى الإسلام:

كانت اليونان فى عصر أفلاطون منبعاً للروايات التى يتوصل بها إلى إثبات وجود الله مع الاستعانه بالدليل والبرهان. أما فى الغرب فهى المره الأولى التى يبحث فيها البشر فى معرفه الخالق. فلم يتعرض أى كاتب من كتاب العهد القديم للسؤال أو التردد فى قضيه وجود الله؛ وذلك لأن روحيه الجنس السامى تجد الله فى الوحى. وما قلناه حول العهد القديم يصدق بنحو ما بالنسبه إلى العهد الجديد (٣).

إن من يطالع الاوستا يجد أن قضيه التسليم ببداهه وجود الله لا تنحصر فى الجنس السامى وكتبهم الدينيه، بل أن الكتب الآريه هى الأخرى تسلم ببداهه وجود الله واستغنائه عن الدليل والبرهان.

ص: ٩٠

١- (١). الميزان فى تفسير القرآن: ٣٩٥/١.

٢- (٢). المصدر.

٣- (٤). عقل ووحى در اسلام: ٩، نقلاً عن آيه الله السيد محمد حسين البهشتى، خدا از ديگاه قرآن: ٣٣.

نعم، يشاهد بين الآونه والأخرى فى الأوبانشيادات - الذى يعدّ من الكتب الهندية المقدسه - بعض العبارات التى فيها إشارات وتساؤلات حول وجود الله تعالى والعلة الأولى (1)، إلّا أنّ هذه العبارات لا تتعدى كونها ناظره إلى ما هى العلة الأولى ومبدأ الخلق؟ وما هى صفاته؟ لا الشك والريبه فى أصل وجوده.

الله فى العصر الجاهلى

يستفاد من الآيات القرآنيه الكريمه أنّ قضيه التسليم بوجود الله تعدّ من الأمور المسلمه فى أوساط المجتمع الجاهلى فى عصر البعته الشريفه ونزول الوحى، وأنّ عبده الأصنام كانوا يعتقدون بوجود الله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۚ .2

وقوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ .3

وقوله تعالى أيضاً: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۚ .4

الاعتقاد بوجود الله لدى قوم نوح وعاد وثمود

كذلك يستفيد من الآيات القرآنيه الكريمه أنّ قضيه التسليم بوجود الله لا تنحصر

ص: ٩١

١- (١). من قبيل: ما هى العلة؟ من هو البراهما؟ من أين جننا؟ كيف نعيش وعلى أى شىء نستقر؟ لإرداه من نخضع فى اللذه والألم؟ هل نحن الذين نعيش فى مراحل مختلفه؟ راجع: الأوبانشيادات، ترجمه الدكتور رضا زاده شفق، طهران، بنكاه ترجمه ونشر كتاب ١٣٤٥ هـ - ش، نقلاً عن خدا از ديکاه قرآن: ٣٦.

فى الأقوم المعاصره للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله ، بل القضيّه تمتد إلى عمق التاريخ، حيث تشمل كلاً من قوم نوح، عاد، ثمود وأقوم اخرى جاءت بعدهم، فلم يكن محور النزاع بين تلك الأقوم وبين أنبيائها قضيّه أصل وجود الله، بل كان النزاع فى التوحيد والنبوه والمعاد. فقد كان الوثنيون يذعنون بوجود الله وكونه هو الخالق ويصدقون به، وإنما ينظرون إلى الأصنام كتجليات محسوسه له سبحانه. وأنهم إنما يعبدون تلك الأصنام ويتقربون إليها باعتبار كونهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى؛ يقول تعالى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ* قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ* وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَ لَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ١.

يؤكد العلامة الطباطبائي فى تفسيره الآيه العاشره من سوره إبراهيم، على هذه الحقيقه بقوله:

إنَّ الفطر لو كان بمعنى الخلق لكان البرهان الذى اشير إليه بقوله: فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مسوقاً لإثبات وجود الخالق فكان أجنبيّاً عن المقام؛ لأنَّ الوثنيه لا تنكر وجود خالق للعالم، وأنَّه هو الله عزَّ اسمه لا غير، وإنما ينكرون توحيد الربوبيه والعباده وهو أن يكون الله سبحانه هو الربَّ المعبود لا غير وينكرون الرساله والمعاد وأنَّ قوله

تعالى: ...فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... بصدد إقامة البرهان على التوحيد لا على أصل وجود الله تعالى. (١)

وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من الطبرسى فى مجمع البيان وسيد قطب فى ظلال القرآن، وغيرهم من المفسرين معتقدين أن المحور الذى يدور عليه إنكار الوثنيين وعباد الأصنام هو التوحيد لا أصل وجود الله تعالى.

خلاصه البحث

١. إن الكتب السماويه ومنها القرآن الكريم اعتبرت أصل وجود الله من الأمور المسلمه التى لامجال لإنكارها ولا حاجه لإقامه الدليل عليها.

٢. ذكر بعض المؤلفين الغربيين أنه لا يوجد فى أوساط كتاب العهدين القديم والجديد من يرى أن قضيه وجود الله أمراً مبهماً يحتاج إلى إقامة الدليل عليه. وهذا الرأي أيضاً يشاهد فى الاوستا وغيرها من الكتب الدينيه.

٣. يستفيد من الآيات القرآنيه الكريمه أن قضيه التسليم بوجود الله تعدّ من الأمور المسلمه فى أوساط المجتمع الجاهلى فى عصر البعته الشريفه، وأن عبده الأصنام كانوا يعتقدون بوجود الله أيضاً.

٤. كذلك يستفاد من الآيات القرآنيه الكريمه أن قضيه التسليم بوجود الله تشمل كلاً من قوم نوح، عاد، ثمود وأقوام اخرى جاءت بعدهم، ولم يكن النزاع بينهم وبين أنبيائهم فى أصل وجود الله، بل كان النزاع فى التوحيد والنبوه والمعاد.

ص: ٩٣

إشاره

يستفيد من آيات الذكر الحكيم بوضوح تام أنّ هناك مجموعه من الأمور ذات الصله بالله تعالى تعدّ من الأمور الفطريه التى عجت خلقه الإنسان بها، منها:

١. الاعتقاد بوجود الله.

٢. التوجّه والميل إليه سبحانه.

٣. الميل نحو عبادته تعالى.

وقبل أن نشير إلى الآيات القرآنيه التى بينت تلك الحقيقه نرى من الضرورى الإشارة إلى بعض الأمور المهمّه.

المعنى اللغوى

أصل الفَطْر: الشَّقُّ طَوْلًا، ثُمَّ استعملت فى مطلق الشق، وبما أنّ الخلق والإيجاد بمثابة الشق لظلمات العدم كان إحدى معانى الفطره هو الخلق والإيجاد، كذلك يفهم منها معنى الإبداع والاختراع.

أمّا الفطره على وزن فعلة الدالّ على النوع فتعنى نوعاً خاصاً من الخلق، وفطره الإنسان جبلته وطبيعته الخاصّه. (١)

ص: ٩٥

١- (١). قال ابن منظور فى لسان العرب: وأصل الفَطْر: الشق، ومنه قوله تعالى: إذا السماء انفَطَرَتْ، أى انشقت... وفَطَرَ الله الخلق يَفْطُرُهُمْ: خلقهم وبدأهم. والفِطْرَةُ: الابتداء والاختراع... والفِطْرَةُ، بالكسر: الخِلقه... والفطره: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفه به... وقال أبو الهيثم: الفطره الخلقه التى يخلق الله عليه المولود فى بطن امه. وقوله تعالى: الذى فطرنى فإنّه سيهدىنى: أى خلقنى... وقول النبى: كلّ مولود يولد على الفطره: يعنى الخلقه التى فطر عليها فى الرحم من سعادته أو شقاوه. لسان العرب: ٥٥/٥ - ٥٦، مادّه فطر.

والظاهر أنّ أوّل من استعمل هذه الكلمه فى خصوص الإنسان هو القرآن الكريم ولم تكن من قبل مستعمله فى هذا المجال. (١)

الفطره فى القرآن الكريم

جاءت كلمه الفطره بمشتقاتها فى أكثر من آيه من آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ...فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ٢ ... الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... (٢) ... فَطَرْنَا ... (٣) ... فَطَرَنِي ... (٤)، و فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٦. والمراد من الكلمه فى جميع هذه الآيات الذى أبدعنا وأوجدنا. وأمّا كلمه فطور الوارده فى قوله تعالى: ...فَارْجِعِ الْبَصِيرَةَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ٧. فمعناها: أدر أيها الإنسان فى الخلق واستقص فى النظر مرّه بعد اخرى: هَيْلٌ تَرَى مِنْ فُطُورٍ هَلْ تَنْظُرُ فِيهَا مِنْ شَقُوقٍ أَوْ خَلَلٍ؟ وأمّا المراد من قوله تعالى: السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ... ٨. أى منشق.

ص: ٩٦

١- (١) . راجع: الفطره، مرتضى المطهرى: ١٤.

٢- (٣) . الإسراء: ٥١.

٣- (٤) . طه: ٧٢.

٤- (٥) . هود: ٥١؛ يس: ٢٢؛ الزخرف: ٢٧.

أما كلمه فطره فقد وردت فى القرآن الكريم مرّه واحده مضافه إلى الله فِطَرَتَ اللّهِ وكذلك فى خصوص الإنسان جاءت مضافه إليه مرّه واحده أيضاً... فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.... ١

ثمّ إنّ هذه الآيه المباركه صارت السبب فى نشوء مصطلح الفطره فى مصادر الثقافه الإسلاميه، ومنها استلهم المفكّرون والفلاسفه والعرفاء الإسلاميون مباحثهم فى مجال معرفه الله تعالى ومعرفه الإنسان.

فطره الإنسان الإلهيه

يجب على كلّ مدرسه أو مذهب فكرى يدعى هدايه الإنسان وسوقه نحو الكمال والسعاده الأبديه أن يطرح تعريفاً ورؤيه خاصّيه للإنسان، وانطلاقاً من هذا التعريف ترسم للإنسان طريق سعاده الأبديه.

ومن الواضح أنّ المدرسه الإسلاميه عالجت قضيه الإنسان من زوايا مختلفه وبحثها من أبعاد متعدده، سواء على مستوى القرآن الكريم أو السنّه المطهره، ولقد كانت تلك الأبحاث والمطالب بمستوى من الشمول والاستيعاب، بحيث تحتاج إلى أن يفرد لها مؤلّف ضخماً. (١)

وأنّ أفضل كلمه تبين نظره الإسلام للإنسان هى مصطلح «الفطره». من هنا يمكن إطلاق مصطلح نظريه الفطره على تعريف الإسلام للإنسان.

إطلاله على نظريه الفطره

يمكن القول - بصوره إجماليه - أنّ نظريه الفطره تعنى:

١. للإنسان طبيعه خاصّه تنطلق من سجيته وفطرته الأولى، وأنّه مزود بمعارف

ص: ٩٧

١- (٢). راجع: درآمدى بر خدا شناسى فطرى، على شيروانى.

وميول خاصه لم تفرض عليه من الخارج، بل هي معجونه في أعماق وجوده.

بعبارة اخرى: لا يمثل الإنسان صحيفه بيضاء تتقبل كل ما يدون فيها ويملى عليها، بل هو مزود في أعماقه بضمير وميول ومعارف خاصه.

٢. زود الإنسان بمجموعه من الميول والغرائز بعضها تتعلّق ببعده الحيوانى والبعض الآخر منها يتعلّق بالجانب الإنسانى منه. والفطره الإلهيه ناظره إلى الميول ذات البعد الإنسانى فقط وغير ناظره إلى الغرائز المشتركه بينه وبين الحيوان كالغريزه الجنسيه.

٣. إنّ هذه الميول والوعى هي التي تميز الإنسان عن سائر الحيوانات، وأنّ نقطه الافتراق بينه وبين الحيوان تتمثّل في تلك الأمور فمن فقدّها ينتزل حينئذٍ إلى درجه الحيوانيه وأنّ كان يحمل صورته الإنسان ظاهراً.

٤. بما أنّ تلك الميول تتعلّق بنوع الإنسان فهي موجوده عند جميع أفرادها لا تختصّ بقوم دون قوم أو بزمان دون زمان، فلم تكن من نصيب مجتمع خاصّ أو جنس خاصّ، بل إنّ جميع أفراد النوع الإنسانى يتحلون بها على مرّ العصور والأزمان وفي جميع الأماكن والبلدان.

٥. توجد هذه الميول في الإنسان بنحو القوه والاستعداد؛ بمعنى أنّ أرضيتها كامنه فيه، إلّا أنّ نموها وازدهارها وظهورها يتوقّف على سعى الإنسان ومثابرتة.

٦. لو قدر للإنسان تنميه تلك الأمور الفطريه في نفسه وإخصابها وازهارها، فحينئذٍ تسمو مرتبته حتّى يصل إلى درجه من التعالى يسمو فيها على الملائكته، بل يصل إلى قمه الكمال والعروج الروحى، ولكن لو خمدت تلك الشعلة واستبدلت فطرته الإلهيه بالميول والغرائز الحيوانيه فحينئذٍ يتسافل إلى أدنى الدرجات حتّى يصل إلى مرتبه يكون فيها أخس من الحيوانات ويهوى في أسفل دركات الجحيم.

٧. كما أشرنا سابقاً أنّ الفطريات الإنسانيه منها ما يعدّ من مقوله المعرفه والإدراك وبعضها الآخر من مقوله الميول والغرائز.

والمذكور في مباحث المنطق ضمن البديهيات الأوليه هو المعارف الفطريه، وهناك امور اخرى تعتبر من الأمور الفطريه أيضاً من قبيل حب الاستطلاع، البحث عن الحقيقه، حب الفضيله والجمال. (١)

فطريه المعرفه الإلهيه

يستفيد من آيات الذكر الحكيم أنّ المعرفه الإلهيه معرفه فطريه وكذلك النزوع والميل نحوه تعالى. وقد مرّ في مبحث أنّ القرآن الكريم يرى أنّ الإذعان بوجود الله تعالى يعدّ من الأمور المتسالم بها بين البشر، وأنّ هذه القضيه لا تعدّ من القضايا المجهوله التي تحتاج إلى الدليل والبرهان، كذلك يظهر من مباحث ذلك الفصل أنّ معرفه الله من الأمور الفطريه.

ومن تلك الآيات التي تدلّ على فطريه المعرفه الإلهيه الآيه الثلاثون من سوره الروم المعروفه بآيه الفطره، وهي قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. ٢

فالآيه الكريمه تدلّ بصراحه تامه على أنّ الدين أمر فطري. وللمفسّرين في بيان المراد من الدين الوارد في الآيه المباركه نظريتان:

أ) إنّ المراد من الدين هو مجموع المعارف والأحكام المشرعه وخاصّه معارف وأحكام الإسلام الأساسيه، بناء على هذه النظرية، تكون كليات الدين - التي من أهمّها معرفه الله وعبادته - قد عبئت في فطره الإنسان. وقد تبنى العلّامه الطباطبائي هذه الرأى. (٢)

ص: ٩٩

١- (١). لمزيد الاطلاع راجع المؤلف، درآمدى بر خدا شناسى فطرى.

٢- (٣). راجع: الميزان فى تفسير القرآن: ١٨٠/٥.

ب) المراد من الدين الموافق للفطره، حاله الإسلام والتسليم المحض لله تعالى؛ وذلك لأن لب الدين وجوهه يكمن في الانقياد والخضوع والإذعان التام لأوامره تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. ١

وطبقاً لهذه النظرية يكون المراد من فطره الدين أنه قد أودع في خلق الإنسان غريزه الميل نحو الله تعالى وعبادته. ومن الواضح أنه إذا كانت العبادة أمراً فطرياً فلا بد أن تكون المعرفه أيضاً قضيه فطريه، إذ كيف يجتمع الميل الفطرى للعباده مع الجهل بالمعبود؟

خلاصه البحث

١. يستفيد من آيات الذكر الحكيم أن من الأمور الفطريه قضيه الاعتقاد بالله والميل إليه وإلى العباده.
٢. إحدى معانى كلمه الفطره هو الخلقه، والفطره لغه: تعنى نوعاً خاصاً من الخلق، وفطره الإنسان تعنى جبلته وطبيعته الخاصه.
٣. وردت كلمه الفطره فى القرآن الكريم مره واحده مضافه إلى الله فطرت الله وكذلك فى خصوص الإنسان جاءت مضافه إليه مره واحده أيضاً فطر الناس عليها.
٤. يمكن إطلاق مصطلح نظريه الفطره على تعريف الإسلام للإنسان.

٥. إن نظريه الفطره تعنى: ١. للإنسان طبيعه خاصه تنطلق من سجيته وفطرته الأولى، وأنه مزود بمعارف وميول خاصه. ٢. الفطره الإلهيه ناظره إلى الميول ذات البعد الإنسانى فقط وغير ناظره إلى الغرائز المشتركه بينه وبين الحيوان كالغريزه الجنسيه. ٣. إن هذه الميول الفطريه هى التى تميز الإنسان عن سائر الحيوانات. ٤. تلك الميول موجوده عند جميع أفراد الإنسان. ٥. توجد هذا الميول فى الإنسان

بنحو القوه والاستعداد، إلّا أنّ نموها وازدهارها وظهورها يتوقّف على سعي الإنسان ومثابرتة. ٦. لو قدر للإنسان تنميه تلك الأمور الفطريه في نفسه، فحينئذٍ يسمو على الملائكه، وألما يتسافل إلى درجه أدنى من الحيوانات. ٧. البديهيّات الأوليه من المعارف الفطريه، وهناك امور اخرى تعتبر من الأمور الفطريه أيضاً من قبيل حبّ الاستطلاع، البحث عن الحقيقه، حبّ الفضيله والجمال.

٦. يستفيد من آيات الذكر الحكيم أنّ المعرفة الإلهيه والنزوع والميل نحوه تعالى امور فطريه.

٧. المراد من الدين في الآيه الثلاثين من سوره الروم، مجموع المعارف والأحكام المشرعه، خاصّه معارف وأحكام الإسلام الأساسيه، أوحاله الإسلام والتسليم المحض لله تعالى. وعلى كلّ تقدير المستفاد من الآيه كون المعرفة والعباده اموراً فطريه.

ص: ١٠١

أسلفنا أنّ وجود الله تعالى أمر جلي، وأنّ الإيمان بوجوده سبحانه راسخ في فطره الإنسان، بمعنى أنّ كلّ إنسان يؤمن بفطرته بوجود الله تعالى، إلّا أنّ هذا لا يعنى انعدام الأدلّه والبراهين على وجوده سبحانه، (1) بل هناك الكثير من الأدلّه والبرهين التي أقامها الإلهيون لإثبات وجوده تعالى.

من أبسط تلك البراهين وأيسرها برهان النظم الذي يتألف من مقدّمتين:

(أ) إنّ في عالم الطبيعیه مجموعات منظمه.

(ب) كلّ مجموعه منظمه تحتاج إلى ناظم.

النتيجه: إذاً للمجموعات المنظمه في العالم يوجد ناظم.

إنّ فهم هذا البرهان ليس بالأمر المعقد، بل إدراك محتواه وفهم مضمونه متيسر حتّى للأميين من الناس، فإنّهم بمجرد الالتفات إلى آثار النظم في هذا العالم يدركون

ص: ١٠٣

١- (١). تقسم البديهيات إلى طائفتين: (أ) البديهيات التي لا يمكن إقامة الدليل والبرهان عليها، بل يكفي في صدقها بدايتها فقط، مثل: قضيه استحاله اجتماع النقيضين. (ب) القضايا التي مع كونها بديهيه يمكن إقامة الدليل عليها، وتحمل تلك الأدلّه في الواقع جنبه تنبيهيه، مثل: قضيه استحاله إعاده المعدوم.

وجود الناظم (الله تعالى). نعم البيان الفنى والتفسير العلمى للبرهان يتوقف على تعريف النظم أولاً وتوضيح كل من المقدمتين السابقتين ثانياً.

تعريف النظم

يمكن تعريف النظم بالنحو التالى: النظم عبارته عن اخضاع مجموعه من الأجزاء المتفاوتة - كماً وكيفاً - لنوع من الضبط والتوازن، بحيث تؤدى جميعها إلى تحقيق غايه معينه.

فالساعة - مثلاً - موجود منظم؛ وذلك لأن أجزاءها - مع اختلافها كماً وكيفاً، حيث لكل جزء منها مادته وهيئته الخاصه - قد وضعت بعضها إلى جانب البعض الآخر وأخضعت لنوع من الضبط والتوازن بنحو تؤدى حركتها المتجانسه والمتناسقه إلى حركه عقربها بصوره دقيقه وتحديد الزمن بنحو صحيح.

المقدمه الأولى

لا- يمكن الشكّ والريبه فى خضوع المجاميع الكونيه لنوع دقيق من النظم، وهذا أمر لا- يرتاب فيه حتى الملحدون فضلاً عن الإلهيين، فالكلّ يسلمون بوجود هذا النظم، بل إنّ الأساس فى العلوم التجريبيه هو اكتشاف هذا النظم والتناسق فى العالم، وكلما تطوّرت العلوم اكتشفت الكثير من النظم العجيب الذى تخضع له الطبيعه. من هنا لو سألنا أى عالم - إلهياً كان أم مادياً - عن النظم فى الكون لأجاب: بأنّ عالم الكون خاضع لنظام عجيب ومحير من الذره إلى المجره، فالنظام يحكم عالم الإنسان - مثلاً - ابتداءً بأبسط الخلايا مروراً بأعقد الأجزاء كالقلب والدماغ والشبكه العصبية و...، وهكذا الأمر فى سائر الموجودات الأرضيه والسماويه، فالكلّ يعيش حاله من التناسق والتوازن الدقيق جدّاً والباهر للعيون.

إنّ فى برهان النظم أمر بديهيّ يسلم به الجميع وفى الحقيقه إنّنا نعتمده فى كلّ يوم.

فحينما نشاهد عماره مكونه من مجموعه من الطوابق قد صممت بشكل رائع لا بد أن ندعّن - من أعماقنا - بأنّ هذه العماره هى من صنع مهندس قد رسم خارطتها ومعمار حاذق قام ببنائها.

فعندما نطالع نهج البلاغه أو الصحيفه السجاديّه نكتشف بأنّ صاحب هذه الكلمات إنسان متمكن من أعلى مستويات البلاغه و الفصاحه و الحكمه و العلم والمعرفه.

وهكذا حينما يقع نظرنا على ساعه صغيره تعمل باتقان نكتشف أنّ صانعها ذو معرفه عاليه بأصول صناعتها.

فهل يمكن أنّ يتطرّق إلى الذهن فى هذه الأمثله - والآلاف غيرها - احتمال كونها وليده الصدفة، وأنّها من صنع موجود لا يملك أدنى اصول العلم والمعرفه؟

فهل من المعقول عندما نشاهد ورقه على آله الطباعه قد دوت فيها أدقّ المباحث العلميه ورسفت حروفها بشكل دقيق جدّاً، أن نقول: بأنّ هذه الورقه هى نتاج طفل صغير لا يجيد سو الضغط بأصابعه على الأزرار، وأنّه ضرب بإصبعه - صدفة - على آله الطباعه فخرجت تلك الورقه بهذا الشكل من الدقه والاتقان العلمى؟!!

إذا الكلّ يدعّن بأنّ وراء كلّ نظم ناظماً.

تنبيهات

١. العلاقه بين دقه النظم وحكمه الناظم وبراعته علاقته طريده فكلماء، كان النظم دقيقاً ومعقداً كشف عن مدى براعه الناظم وقدرته وحكمته العاليه.

٢. لا يتوقّف برهان النظم على إثبات وجود النظم فى جميع أجزاء العالم، بمعنى

أنه ليس من اللازم إثبات وجود النظام في كل العالم، بل يكفي لصحة البرهان وجود النظم الدقيق والمعقد في بعض الموجودات الكونية.

بعبارة أخرى: يكفي وجود بعض المجاميع المنظمة التي نعرفها في إثبات وجود ناظم حكيم مقتدر متمكن، سواء خضع الجانب المجهول من العالم للنظم أيضاً أم لا.

بعبارة ثالثة: ما ندركه من النظم في العالم يحتاج إلى ناظم سواء انحصرت الأمور المنظمة في العالم فيه أم لا.

٣. برهان النظم يردع الذين يدعون أن العالم وليد الطبيعه الصماء، وأنه نتاج الحركة العبثيه للذرات وتأثر بعضها ببعض الآخر.

٤. كلما تطوّرت العلوم التجريبيه اكتشفت نظماً جديده في عالم الطبيعه الأمر الذي يؤدّي إلى استحكام برهان النظم وثباته بنحو أكثر؛ وذلك لأنّ كل اكتشاف جديد عن أسرار الطبيعه يضع بين أيدي الباحثين والعلماء آيه جديده لإثبات وجود الله تعالى. وقد أشار إلى هذه الحقيقه الفلكي المعروف هارشل، حيث قال:

كلما توسعت دائره العلم زادت الأدله المحكمه والقويه لإثبات وجود الله الأزلي الأبدى. (١)

٥. صحيح إنّ القرآن الكريم لم يقم برهاناً صريحاً على أصل وجود الله سبحانه؛ لأنّ وجوده تعالى من البديهيات، لكنّه اعتمد كثيراً على برهان النظم والانطلاق من النظام العجيب في الكون لإثبات وحدانيه الله ونفى الشريك عنه في خلق العالم وتسيير شؤونه، فقد دعا القرآن الكريم الناس في أكثر من آيه للتأمل والتدبر في الظواهر الكونيه، واعتبار كلّ واحده منها آيه وعلامه على وجوده سبحانه. من هذه الآيات:

ص: ١٠٦

قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ. ١

وقوله تعالى: وَفَى خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبْثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. ٢

وقوله عزّ من قائل: إِنَّ فَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتى تَجْرى فى الْبَحْرِ بما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَضْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. ٣

وقوله تعالى: وَ فَى أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ* وَ فَى السَّمَاءِ رِزْقِكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ. ٤

خلاصه البحث

١. تقرير برهان النظم: ١. فى العالم مجموعات منظمه. ٢. كل مجموعه منظمه تحتاج إلى ناظم، إذا المجموعات المنظمه لها ناظم.

٢. النظم عبارته عن: إخضاع مجموعه من الأجزاء المتفاوته - كما وكيفاً - لنوع من الضبط والتوازن، بحيث تؤدى جميعها إلى تحقيق غايه معينه.

٣. إن وجود المجاميع المنظمه فى العالم من الأمور المسلمه التى لا يختلف فيها اثنان.

٤. إن الجميع يسلم بالمقدمه الثانيه فهى حاضرته فى حياه الجميع يومياً بصوره لاشعوريه.

٥. كلما كان النظم دقيقاً ومعقداً كشف عن مدى براعه الناظم وقدرته وحكمته العالیه.

٦. لا يتوقّف برهان النظم على إثبات وجود النظم فى جميع أجزاء العالم.

٧. برهان النظم ىرد على الذين يدعون أنّ العالم وليد الطبيعة الصماء.

٨. يزداد برهان النظم استحكاماً كلما تطوّرت العلوم التجريبيه وكشفت نظاماً جديداً.

٩. أشار القرآن الكريم إلى نظام المخلوقات لإثبات وحدانيه الله ومدبريته للكون.

ص: ١٠٨

صفات الذات وصفات الفعل

قسمت صفاته تعالى بتقسيمات متعدده من أهمها تقسيمها إلى الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

الصفات الذاتية: هي ما يكفى فى وصف الذات بها، فرض نفس الذات فحسب. بعباره اخرى: لكى نصف الله تعالى بها يكفى فرض وجود ذاته سبحانه ولا- نحتاج إلى فرض شىء آخر خارج عن الذات، كالحياه والقدرة، فلولم يكن فى الوجود إلّا ذاته تعالى لوصفت بالحياه والقدرة.

الصفات الفعلية: وهى ما يتوقف وصف الذات بها على فرض شىء آخر وراء الذات. فعلى هذا الأساس الصفات الفعلية هى الصفات المنتزعه من مقام الفعل، أى أنّ الذات توصف بهذه الصفات عند ملاحظه صدور الفعل من الله تعالى ولا يكفى فى الاتصاف بها مجرد فرض وجود الذات، بل لا بدّ من فرض وجود شىء أولاً، ثم بيان العلاقه بينه وبين الذات.

فعلى سبيل المثال لولم يكن هناك شىء مخلوق لا- يوصف تعالى بالخالقيه، كذلك لا- يوصف بالشارع لولم يكن هناك مخلوق مكلف بالتكاليف الإلهيه ولم

يصدر من الله تعالى أى شريعته أو تكليفه فى ذمّه العباد، وكذلك لا يوصف بالغفور لو لم يعصه أحد ويغفر له.

أتضح من خلال ذلك أنّ كلاً من صفة الخالق والشارع والغفور من الصفات الفعلية.

ثمّ إنّ أهمّ الفوارق بين الصفات الذاتية والفعلية عبارته عن:

١. الصفات الفعلية هى الصفات التى تتصف بها الذات بعد صدور الفعل أولاً، ثمّ المقارنه بينه وبين الذات. بعباره اخرى: هى الصفات المنتزعه من مقام الفعل خلافاً للصفات الذاتية، حيث تنتزع من مقام الذات فقط.

٢. صفات الفعل قابله للنفى والإثبات، بمعنى أنّه يمكن سلبها عن الله تعالى فى شروط خاصّه وإثباتها له سبحانه فى شروط اخرى. وبعبارة اخرى: إنّ كلاً من نفيها وإثباتها ممكن بالنسبه إليه سبحانه، فالله تعالى قبل خلق الأرض لم يوصف بأنّه خالق الأرض، ولكنّه يوصف بذلك بعد خلقها، حيث يصحّ حينئذٍ القول: بأنّ الله خالق الأرض.

كذلك الله تعالى لم يوصف قبل بعثه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بأنّه منزّل القرآن، ولكنّه يوصف بذلك بعد بعثه الشريفه.

أمّا الصفات الذاتية فهى ملازمه للذات الإلهيه المقدسه وثابته لها دائماً ويستحيل سلبها وانفكاكها عنها، وأنّه تعالى واجد له أزلاً وأبداً.

الصفات الثبوتيه والصفات الفعلية

الصفات الثبوتيه: تلك الطائفة من الصفات التى تبين جمالاً وكمالاً من كمالات الذات الإلهيه، بمعنى إذا كانت الصفه مثبتة لجمال فى الموصوف ومشيرته إلى واقعيه فى ذاته سمّيت ثبوتيه ذاتيه أو جماليه.

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّه لا مجال لأى نقص أو شائبه نقص فى الصفات الثبوتيه الإلهيه فإذا ما عثرنا على مفهوم من المفاهيم مع كونه يدلّ على الكمال إلّا أنّه يستلزم

نوعاً من النقص أو العيب في الذات الإلهية فلا يمكن عدّه من صفاته الثبوتية سبحانه، كصفه الشجاعه بمعنى عدم الخشيه من العدو الذي يتوقّع منه الضرر. فهذه الصفه وإن كانت تعدّ كمالاً من جهه ما؛ لأنّ الموجود الشجاع أكمل من الجبان، إلّا أنّه في نفس الوقت تعنى تأثر الشخص الشجاع أو تعرّضه لنوع من الخطر، وبما أنّه سبحانه أسمى من أن يناله خطر أو يؤثّر فيه شيء مهما كان ذلك الشيء، فلا يمكن وصفه سبحانه ب-، وعليه يسلب عنه سبحانه وصفاً الشجاعه والجبن معاً.

الخلاصه: إنّ الصفات الثبوتيه هي التي تدلّ على كمال وتنزه عن النقص.

الصفات السلبيه: هي الصفات التي تنزه الله سبحانه عن النقص والحاجه كنفى الجسميه والعجز وتنزيهه عن المكان والزمان. (1)

وأما الصفات الثبوتيه هي الصفات التي تهدف لإثبات كماله تعالى.

ثمّ إنّ الصفات الثبوتيه هي نفس الصفات الجماليه، وأما الصفات السلبيه فهي الصفات الجلاليه.

خلاصه البحث

١. تقسم الصفات الإلهيه إلى قسمين الصفات الذاتيه والصفات الفعليه.

٢. الصفات الذاتيه: هي ما يكفي في وصف الذات بها، فرض نفس الذات فحسب كالحياه والقدرة .

٣. الصفات الفعليه: هي الصفات التي يتوقّف وصف الذات بها على فرض شيء آخر وراء الذات كالخالق والغفور.

ص: ١١١

١- (١) . يعلم بقليل من الإمعان أنّ الصفات السلبيه تعود إلى الثبوتيه؛ وذلك لأنّ ما يسلب منه تعالى من الصفات السلبيه هو النقص والنقص أمر عدمي، ومن الواضح أنّ سلب السلب إثبات، فعندما نقول: الله ليس بعاجز يعني ذلك إنّنا قلنا: إنّ الله ليس بفاقد القدرة، والمنزه عن العجز، قادر.

٤. من الفوارق بين صفات الذات وصفات الفعل هي: ١. الصفات الفعلية هي الصفات المنتزعه من مقام الفعل خلافاً للصفات الذاتية، حيث تنتزع من مقام الذات فقط. ٢. صفات الفعل قابله للنفي والإثبات، أما الصفات الذاتية فملازمه للذات الإلهية المقدسه وثابته لها دائماً.

٥. تقسم الصفات الإلهية بحيثيه اخرى إلى الصفات الثبوتيه والسلبيه.

٦. الصفات الثبوتيه تلك الطائفه من الصفات التي تبين جمالاً وكمالاً من كمالات الذات الإلهيه كالعلم والقدرة.

٧. الصفات السلبيه هي الصفات التي تنزه الله سبحانه عن النقص والحاجه كنفى كونه جسماً وسلب العجز عنه سبحانه.

٨. صفات الله الثبوتيه هي الصفات التي تثبت الكمال له شريطه ألاً يلازمها نقص أو عيب، وأما الصفات السلبيه فهي الصفات التي تشير إلى تنزهه سبحانه من النقص.

ص: ١١٢

إشارة

يحيط علمه تعالى بجميع الأشياء فلم يعزب عن علمه جل شأنه شيء مهمما دق، كما أنه تعالى يعلم بما مضى وما سوف يأتي من الذره إلى المجره، فالكلّ معلوم لله تعالى. وهل يمكن أن نتصوّر بأنّ الله الذى منح الأشياء الوجود وأخرجها من كتم العدم إلى نور الوجود يجهل بمخلوقات؟!

الشواهد القرآنيه

بالإضافه إلى البراهين العقليه التى تؤكد علمه تعالى اللامحدود هناك الكثير من آيات الذكر الحكيم التى تشير وتؤكد هذه الحقيقه، منها الآيات التاليه:

...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ٢

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. ٣

وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ. ٤

...وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.... ١

ومنها قول تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. ٢

خلاصه البحث

تعتبر صفة العلم من جملة صفات الله الذاتيه الثبوتيه، وأنه الله تعالى عالم بكل شيء مهما دق، ولقد أشارت الآيات المباركه إلى هذه الحقيقه، كما في قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ؛ ٣ و أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، ٤ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ، ٥ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا. ٦

ص: ١١٤

إشاره

من الصفات الذاتيه الثبوتيه الأخرى لله تعالى صفه القدره، والقدره: هى كون الفاعل بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

وعلى هذا الأساس القادر هو الذى ينتخب باختياره فعل الشىء أو تركه، فالمجبور على الوقوف ليس قادراً على الوقوف، وكذلك المجبور على الجلوس، وإنما القادر عليهما هو من إذا اختار القيام قام، وإذا اختار الجلوس جلس. فأتضح من خلال هذا البيان أن صفه القادر تطلق على الفاعل بالإراداه والاختيار.

فالله تعالى قادر مطلقاً، بمعنى أنه إذا أراد إيجاد شىء وجد، وهذا المعنى يفيد بأنه تعالى حاكم وقاهر وله السلطه المطلقه على جميع الأشياء.

الشواهد القرآنيه

هناك الكثير من الآيات القرآنيه التى تدلّ على القدره المطلقه لله تعالى، منها:

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ١

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ٢

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. ١

تساؤل

إذا كان الله تعالى قادراً على كل شيء فهل يستطيع أن يجعل حاصل $2+2=5$ مثلاً؟ وهل يستطيع أن يخلق شيئاً كله أبيض وأسود في آن واحد؟ وهل يستطيع أن يخلق شيئاً لا يقدر على افئائه؟ أو هل يستطيع أن يخلق حجراً ثقيلاً لا يستطيع حمله؟ فإن خلق مثل هكذا حجر فهو مناف للقدرة المطلقة، إذ المفروض أنه لا يستطيع حمله، وإن عجز عن خلقه كان ذلك منافياً للقدرة، فعلى كلا الفرضين لا يمكن إثبات القدرة المطلقة لله تعالى.

الجواب

للإجابة عن الأسئلة المثاره لا بدّ من الالتفات إلى قضيه مهمه، وهي أنّ عدم تحقّق الشيء المفروض - مهما كان - تاره يعود لضعف الفاعل وعجزه، وأخرى يعود لنقصان في نفس الشيء، يعني كونه بنحو لا يقبل التحقّق ذاتاً.

وإذا تأملنا في الأمثله التي ذكرت في الأسئلة نراها من النوع الثانيممتنع التحقّق لا- أنّ الله تعالى عاجز عن تحقيقها وإيجادها، والفرق بين الأمرين واضح جدّاً.

فعندما نقول: إنّ الله قادر على كل شيء، يعني أنّ الله تعالى قادر على إيجاد أي شيء ممكن الوجود بذاته، وأمّا الأمور المستحيله التحقّق بذاتها فخارجة عن الموضوع من أول الأمر.

وعليه الصحيح أن نقول: لا يمكن أن يكون حاصل $2+2=5$ لا أنّ الله تعالى لا

يقدر أن يجعلها خمسه، وكذلك لا يمكن للجسم أن يكون أبيض وأسود في آن واحد، وهكذا الكلام في سائر الأمثله.

الحاصل أنّ عدم تحقّق الأمور المذكوره لا لعجز المولى تعالى وضعفه، بل بسبب كونها فاقده لقابليه التحقّق ذاتاً أى ممتنعه ذاتاً.

خلاصه البحث

١. القدره من صفات الله الذاتيه الثبوتيه.

٢. القدره تعنى: كون الفاعل، بحيث ان شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

٣. إنّ الله قادر مطلق، بمعنى أنّه إذا أراد إيجاد شيء وجد، وأنّه تعالى هو الحاكم والفاهر.

٤. وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (آل عمران ١٨٩؛ الملك ١؛ الطلاق ١٢).

٥. للإجابة عن الأسئلة من قبيل: هل يستطيع الله أن يجعل حاصل ٥+٢؟ لا بدّ من الالتفات إلى نكته مهمّه وهى أنّ عدم تحقّق الشيء يعود تاره لضعف الفاعل، وأخرى لنقص وعدم استعداد للتحقّق فى نفس الشيء، والأمثله المذكوره من النوع الثانى.

٦. عدم تحقّق الأمور المستحيله والممتنعه لا لضعف الله وعجزه سبحانه، بل لعدم قابليتها للتحقّق ذاتاً.

اشاره

اتفق الإلهيون على أنّ من صفاته، وأنّ من أسمائه سبحانه، إلّا أنّ إطلاقها عليه سبحانه يحتاج إلى فهم المراد منها؛ لأنّ مصطلح الحياه يراد به معنيان:

١. الموجود الحى هو الذى يتغذى وينمو ويتوالد ويتكاثر. وهذا المعنى من الحياه يطلق على الحيوانات والنباتات أيضاً، وهو يستلزم النقص والحاجه؛ لأنّ لانزم النمو والرشد هو أنّ يكون الشىء النامى فاقداً لكمال ما، ثمّ يحصل عليه بسبب العوامل الطبيعيه والتغيرات الخارجيه التى تحصل فيه ممّا يجعله ينتقل تدريجياً من حاله النقص إلى الكمال.

٢. الكائن الحى هو الذى يمتلك خصيصه العلم والفعل الإرادى. هذا المعنى للحياه يعدّ مفهوماً كمالياً، وأنّه من صفات الله الذاتيه الثبوتيه.

وعليه فإطلاق الحياه عليه سبحانه يعنى كونه عالماً مدركاً فاعلاً بالاختيار.

الشواهد القرآنيه

هناك الكثير من آيات الذكر الحكيم التى تصفه الله تعالى بالحى، منها قوله تعالى:

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ١

وقوله تعالى: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا. ٢

خلاصه البحث

١. لمفهوم الحياه استعمالان: ١. الموجود الحى هو الذى يتغذى وينمو ويتوالد ويتكاثر. ٢. الكائن الحى هو الذى يمتلك خصيصه العلم والفعل الإرادى.

٢. الحياه بالمعنى الأول تستلزم النقص ويعدّ من صفات الله السلبيه، وأمّا المعنى الثانى فيعدّ مفهوماً كمالياً، وأنه من صفات الله الذاتيه الثبوتيه.

٣. إنّ الله هو الحى الذى لا يموت (راجع: الفرقان: ٥٨) وأنّ حياته تعالى تعنى كونه عالماً مدركاً فاعلاً بالاختيار.

ص: ١٢٠

تعدّ الإرادة من جملة صفاته تعالى، وقد اختلف العلماء والباحثون في تفسير الإرادة مع التسليم والقطع بكون المرید من أسمائه تعالى. فذهب البعض منهم إلى أنّ الإرادة من صفاته الذاتية وفسرها بعلمه تعالى بالنظام الأصلح والأكمل. وهناك من ذهب إلى كونها أمراً حادثاً، نظير ما يحصل للإنسان قبل الإقدام على فعل ما.

وبما أنّ المجال في هذا الكتاب لا يسمح باستعراض جميع الآراء المطروحة في المسألة، لذلك نكتفي بالقول: بأنّ الله تعالى ليس مجبراً في أفعاله ولا يضطره أحد على القيام بفعله، وأنّ كلّ ما يفعله يصدر عنه بعلمه واختياره، ويمكن حمل إرادته تعالى على هذا المعنى. فكونه مریداً يعنى كونه فاعلاً مختاراً وأنّ أفعاله منوطه بمشيئته.

وعلى هذا تكون الإرادة من صفاته الذاتية الثبوتية، وإن ذهب بعض الباحثين إلى كونها من صفات الفعل. (١)

ص: ١٢١

١- (١). الجدير بالذكر أنّ الظاهر من آيات الذكر الحكيم كون الإرادة من الصفات الفعلية لا الذاتية. فإذا كانت كذلك يكون معناها أنّ الله تعالى يخلق الأشياء للخير والمصلحة الموجودة فيها. فوجودها متعلّق - في زمان ومكان خاصّين - بعلمه وحبّه ويخلقها بإرادته لا أنّه مجبر على ذلك. وقد عقد المرحوم الكليني في اصول الكافي ١/١٠٩ باباً تحت عنوان باب الإرادة وأنها صفة الفعل، ذكر فيه مجموعه من الروايات النافية لكون الإرادة صفة ذاته.

أطلقت آيات الذكر الحكيم في أكثر من موضع صفة الإرادة عليه سبحانه وإن لم يطلق عليه اسم المرید في القرآن الكريم، فمن تلك الآيات الكريمه: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. ١

وقوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. ٢

خلاصه البحث

١. لاختلاف في كونه تعالى مریداً، وإنما وقع الاختلاف بين العلماء في تفسير الإرادة.
٢. ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار الإرادة من الصفات الذاتية وفسيروها بعلمه بالنظام الأصلح. وذهب البعض الآخر إلى كونها أمراً حادثاً نظير إرادته الإنسان.
٣. القدر المتيقن أن الله فاعل مختار غير مجبر على فعله وليس بمضطر إليه، ويمكن تفسير إرادته تعالى بهذا المعنى.
٤. أشارت الآيات إلى إرادته تعالى بأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون. (راجع: يس: ٨٢؛ النحل: ٤٠).

الحكمه من صفاته تعالى وأن جميع أفعاله حكيمه. ولا بد من الالتفات إلى أن الحكمه تطلق على معنيين كلاهما يدخلان ضمن الصفات الثبوتيه لله تعالى، هما:

١. كون الفعل فى غايه الإحكام والاتقان، وغايه الإتمام والكمال.

٢. كون الفاعل لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب. (١)

الحكمه بالمعنى الأول: فيما أنه تعالى يمتلك جميع الكمالات، وأن علمه وقدرته غير متناهيين، عالم بالأشياء جميعاً ومقتدر عليها كذلك، غنى عن أى شىء، من هنا يفعل الأشياء على أكمل الوجوه وأحكمها، فهو تعالى أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. ٢

الحكمه بالمعنى الثانى: اتصافه تعالى بالحكمه بمعناها الثانى قائم على التسليم

ص: ١٢٣

١- (١). قال الفخر الرازى: فى الحكيم وجوه: الأول: إنه فعيل بمعنى مفعول، كأليم بمعنى مؤلم. ومعنى الإحكام فى حق الله تعالى فى خلق الأشياء هو إتقان التدبير فيها وحسن التقدير لها.... الثانى: إنه عباره عن كونه مقدساً عن فعل ما لا ينبغى. (شرح الأسماء الحسنى: ٢٧٩ - ٢٨٠؛ راجع: الإلهيات على هدى القرآن والسنة والعقل، جعفر السبحانى: ٢٢٥/١).

بحقيقه كون بعض الأفعال حسنه بذاتها أو قبيحه كذلك - بقطع النظر عن الحسن والقبح الشرعيين - بمعنى أن العقل يدرك حسن الفعل أو قبحه كحكمه بحسن الصدق وأداء الأمانه ومساعدته المحتاجين وقبح الكذب والخيانه فى أداء الأمانه والظلم.

وهذا الأصل معروف بالتحسين والتقيح العقليين. (١)

وبعد التسليم بتلك الحقيقه نقول: إن الله تعالى غنى مطلق وغير محتاج إلى الغير، بالإضافة إلى كونه عالماً وقادراً كذلك. فهو يعلم بالحسن وقادر عليه ويعلم بالقبيح وقادر على تركه. ومن الواضح أن هكذا موجود يستحيل صدور القبيح منه وترك الحسن.

العدل

يعتبر العدل من صفات الله الثبوتيه وعدم الظلم من صفاته تعالى السليبه.

والمراد من العدل وضع كل شىء فى موضعه، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

العدل يضع الأمور مواضعها. (٢)

وقد يفسر العدل بأنه إعطاء كل ذى حقّ حقه إلا أن هذا المعنى أخص من الأول ومن مصاديقه، أى أن إعطاء كل ذى حقّ حقه يعدّ من مصاديق وضع الشىء فى موضعه.

أتضح أن الله تعالى عادل؛ لأنّ الظلم قبيح وممّا يجب التنزه عنه، ولا يصدر القبيح من الحكيم، والعدل حسن وممّا ينبغى الاتصاف به، فيكون الاتصاف بالعدل من شؤون كونه حكيماً منزهاً عما لا ينبغى.

ص: ١٢٤

١- (١). أنكر هذا الأصل جمع غفير من علماء ومتكلمى أهل السنّه (الأشاعره) ومن هنا ذهبوا إلى عدم إمكان وصفه تعالى بالحكمه عقلاً. وفى المقابل هناك طائفه اخرى من علماء أهل السنه (المعتزله) بالإضافة إلى متكلمى الشيعه، ذهبوا إلى القول بالحسن والقبيح العقليين وأنّ الله تعالى يقوم بكلّ عمل حسن ومنه العدل ويمتنع عن كلّ قبيح ومنه الظلم، من هنا اطلق على هذه الطائفه عنوان العدل.

٢- (٢). نهج البلاغه: الحكمه ٤٣٧.

هناك الكثير من آيات الذكر الحكيم التي تصفه تعالى بالحكيم، منها: ...فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١

كذلك يصفه القرآن الكريم بأنه: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ... ٢

وإنه تعالى لا تفاوت ولا خلل في نظام خلقه: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ٣

وإنه لم يخلق الأشياء عبثاً أو لهواً أو باطلاً:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا... ٤

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا... ٥

كذلك يصفه القرآن الكريم بأنه تعالى لا يظلم أحداً، وأن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم: ...وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. ٦

وإنه تعالى: ...لَيْسَ بِظِلَامٍ لِلْعَبِيدِ. ٧

بل إنه تعالى ليس منزهاً عن ظلم الإنسان فحسب، بل هو منزه عن كل مخلوق: ...وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ. ٨

١. للحكمه معنيان: أ) كون الفعل في غايه الإحكام والاتقان. ب) كون الفاعل لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب.
٢. الله حكيم بالمعنى الأول لعدم النقص في علمه وقدرته.
٣. الله حكيم بالمعنى الثاني؛ لأنه يعلم بالحسن والقبيح من جهه وقادر على فعل الحسن وغنى عن فعل القبيح من جهه ثانيه، والغنى المطلق غير محتاج لفعل القبيح.
٤. العدل يعنى وضع كل شىء في موضعه.
٥. ثبت أن الله تعالى حكيم يفعل الحسن ويتجنب القبيح، وبما أن العدل حسن فهو مما ينبغى أن يفعله الله، فينتج أن الله تعالى عادل.
٦. ثبت أن الظلم قبيح، وأن الله تعالى حكيم لا يفعل القبيح، إذاً الله تعالى منزه عن الظلم.
٧. ورد في القرآن الكريم بأن الله تعالى: هو الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ السَّجْدَه: ٧، وليس فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ. الملك ٣، وأنه تعالى لم يخلق "السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا باطلاً". ص: ٢٧، وأنه تعالى وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ .

إشاره

التوحيد اصطلاحاً: يعنى أنّ الله تعالى واحد لا ثانى له وبسيط لاجزاء له، وأنّه مبدأ الوجود. والدين الإسلامى هو دين التوحيد، أى الاعتقاد بإله واحد أحد لا- مثيل له، والاعتقاد بأنّه لا معبود سواه يستحقّ العباده. وإذا أردنا أن نجمل الإسلام فى جملة طبيه واحده فهذه الكلمه الطيبه هى: ، حيث تمثل عصاره القرآن الكريم وتتلخص فيها جميع المعارف الإسلاميه. من هنا نرى القرآن الكريم كرر هذا الشعار الإلهى وبعبارات مختلفه أكثر من ستين مرّه، منها :

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ١

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. ٢

لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. ٣

لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا. ٤

ص: ١٢٧

ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ. ١

ما كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ. ٢

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ. ٣

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. ٤

ولقد كان هذا الشعار بمستوى من الأهميه حتى إننا نراه يتكرر مرتين في آيه قصيره، هي قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ٥

الجدير بالذكر أن هذا الشعار لا يختص بالدين الإسلامى بل إن جميع الديانات السماويه هي ديانات توحيديه، وأن جميع الأنبياء هم دعاه توحيد، وقد أشارت الذكر الحكيم إلى هذه الحقيقه بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. ٦

مراتب التوحيد

اشاره

للتوحيد مراتب ودرجات، كما أن للشرك الذى هو مقابل التوحيد أيضاً مراتب ودرجات. ومراتب التوحيد، هي:

١- التوحيد الذاتى

التوحيد الذاتى: يعنى الاعتقاد بأن مبدأ العالم موجود واحد، أى أن موجوداً واحداً

هو الخالق لكل الموجودات مباشرة أو بالواسطة، وهو غير مخلوق. (١)

بعبارة أخرى: التوحيد الذاتى يعنى الاعتقاد بأن جميع الموجودات مخلوقة لمخالق واحد، وأنّ عالم الوجود مع سعته وتكثره يعود إلى مبدأ ومنشأ واحد: ...قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ٢

بطبيعته الحال أنّ هذا لا يعنى أنّ المبدأ المباشر للأشياء واحد، وأنّه خلق الأشياء بلا واسطه، بل من الممكن أن يوجد الشئ بتوسيط مجموعه من الوسائط المخلوقة أيضاً، كما لو خلق الله تعالى، و الذى هو مخلوق خلق وهو بدوره خلق. ف- خلق بلا واسطه، و ما خلق بواسطه واحده و خلق بواسطتين. وهذا لا يتنافى بحال من الأحوال مع التوحيد الذاتى. (٢)

(٣)

٢- التوحيد الصفاتى

التوحيد الصفاتى: يعنى الاعتقاد بأنّ صفات الله الذاتيه كالعلم والحياء والقدرة هى عين ذاته، أى أنّ صفاته الذاتيه متعدده مفهوماً متحدته مصداقاً، بعضها عين البعض، وهى عين الذات الإلهيه لا تزيد عليها.

وفى الحقيقه أنّ التوحيد الصفاتى يعنى الاعتقاد بأمرين:

١. إنّ صفاته تعالى كالعلم والقدرة غير زائده على الذات.

٢. إنّ تلك الصفات لا توجد تكثراً أو تركيباً فى الذات الإلهيه.

وعينيه الصفات مع الذات تفيد المعنيين المذكورين. (٤)

ص: ١٢٩

١- (١). يعبر عن هذه الحقيقه لدى الفلاسفه بالعلّه الأولى.

٢- (٣). كما قيل: معلول الشئ معلول لعله ذلك الشئ، وعله الشئ عله لمعلوله.

٣- (٤). إذا كان التوحيد الذاتى بمعنى نفى التعدد فحينئذٍ يدخل تحت الصفات السلبيه، وإذا كان بمعنى اللامحدوديه واللانهايه للذات الإلهيه فحينئذٍ يكون من الصفات الثبويه.

٤- (٥). يرى الشهيد المطهرى: إنّ التوحيد الصفاتى يستبطن الاعتقاد بنفى كلّ أنواع التركيب عن الذات الإلهيه أيضاً. (مجموعه

آثار الشهيد المطهرى: ١٠١/٢) لكن الأستاذ مصباح اليزدى يذهب إلى أنّ التوحيد الصفاتى عند المتكلمين يعنى نفى الصفات

الزائده عن الذات (معارف القرآن: ٧٩). المراد من التوحيد الصفاتى فى اصطلاح الفلاسفه والمتكلمين هو أنّ ما ننسبه إلى الله

من الصفات لا تعنى إلّا نفس الذات الإلهيه. أمّا الأستاذ جعفر السبحانى فقد ذهب إلى أنّ التوحيد الذاتى يطلق على الله ويراد به

معنيان: الأول: أنّ الله تعالى واحد لا ثانى له، والآخر: أنّه بسيط لاجزاء له. ولأجل التفريق بين هذين التوحيدين الذاتيين يعبرون

عن الأوّل بالتوحيد الواحدى وعن الثانى بالتوحيد الأحدى. (الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ٣٥٥/١) ونحن فى هذا

البحث اعتمدنا رأى الشهيد المطهرى.

ثُمَّ إِنَّ ذَاتَ اللَّهِ تَعَالَى بَسِيطُهُ لَا مَجَالَ لِلتَّرْكِيبِ فِيهَا أَبَدًا وَلَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فَرَضَ الْجُزْءَ لَهَا. (١)

٣- التوحيد الأفعالي

التوحيد الأفعالي: يعنى الاعتقاد بأنّ موجودات العالم، كما أنّ ذواتها مخلوقه لله تعالى وتابعه له وغير مستقلة ذاتاً عنه، كذلك فعلها والأثر الصادر عنها إنّما يصدر بحول وقوه من الله تعالى، بمعنى أنّها غير مستقلة فعلاً، كما أنّها غير مستقلة ذاتاً.

بعبارة اخرى: إنّ توحيد الله فى الذات يعنى أنّه لا مثل له ذاتاً، وتوحيده الأفعالي يعنى أنّه تعالى واحد فى التأثير والفاعليه. بطبيعته الحال أنّ هذا لا يعنى بحال من الأحوال نفى التأثير والأثر عن المخلوقات، بل المراد منه أنّ ما يصدر عنها إنّما يصدر بالاستعانه بحوله وقوته تعالى، وقوله تعالى يشير إلى التوحيد الأفعالي قطعاً.

آثار التوحيد الأفعالي

إنّ الاعتقاد بالتوحيد الأفعالي وأنّ الفاعل المستقل منحصر بالله تعالى وحده وكلّ

ص: ١٣٠

١- (١). يرى بعض الفلاسفه أنّ عنوان الواحد يشير إلى التوحيد الذاتى، بمعنى نفى الثانى عن الله تعالى، وأنّ عنوان الأحد يشير إلى التوحيد الصفاتى ونفى كلّ أنحاء التركب عن الذات الإلهيه المقدسه.

ما يصدر عما سواه فإنما يصدر بالاستعانه به والاستمداد منه، يستلزم أمرين:

الأول: ينبغي للإنسان ألما يجعل لأى مخلوق مهما عظم حق العباده وأنها منحصره بالله وحده: (١)...إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ.... ٢

الثانى: على الإنسان الاتكاء والتوكل فى جميع أفعاله على الله تعالى، والاستعانه به وحده، ولا يخشى إلا الله ولا يثق إلا به، بل لا يئس عندما تسير الأمور بأسبابها وشروطها على خلاف ما يروم؛ لأن الله تعالى قادر على أن يغير الأسباب دفعه واحده لصالحه: ...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. ٣

خلاصه البحث

١. التوحيد: يعنى الاعتقاد بوحده مبدأ الوجود. وأن التوحيد هو الركن الأساسى فى العقيدة الإسلاميه، ويمكن القول: بأن الكلمه الطيبه تمثل عصاره المعارف الإسلاميه.

٢. تكرر شعار فى القرآن الكريم أكثر من ستين مره وذكر مرتين شعار لا إله إلا هو فى آيه واحده.

٣. للتوحيد مراتب: ١. التوحيد الذاتى. ٢. التوحيد الصفاتى. ٣. التوحيد الأفعالى.

٤. التوحيد الذاتى: يعنى الاعتقاد بأن مبدأ العالم واحد هو الله، وأنه خالق كل شىء إلا أن ذلك لا يعنى الخلق المباشر للأشياء دائماً ونفى الوساطه فى الخلق.

٥. التوحيد الصفاتى: يعنى الاعتقاد بأن صفات الله عين ذاته، وبناء على التوحيد

ص: ١٣١

١- (١). وهذا ما يعبر عنه أحياناً بالتوحيد فى العباده. (مجموعه الآثار، الشهيد المطهرى: ١٠٤/٢ - ١٠٥)

الصفاتى: ١. إن صفاته تعالى غير زائده على ذاته. ٢. إن تلك الصفات لا توجد تكثراً أو تركيباً فى الذات الإلهية.

٦. التوحيد الأفعالى يعنى الاعتقاد بأن موجودات العالم، كما أنّ ذواتها مخلوقه لله تعالى كذلك فعلها والأثر الصادر عنها إنّما يصدر بحول وقوه من الله تعالى.

٧. إنّ الاعتقاد بالتوحيد يستلزم أمرين: الأوّل: ينبغى للإنسان ألا يجعل لأى مخلوق مهما عظم حق العباده، و أنّها منحصره بالله وحده. الثانى: على الإنسان الاتكاء والتوكل فى جميع أفعاله على الله تعالى، والاستعانه به وحده.

ص: ١٣٢

الفصل الثالث-مبحث النبوه

اشاره

ص: ١٣٣

هل الإنسان محتاج إلى هداية الأنبياء؟

لو لم يبعث الله الأنبياء على طول التاريخ البشرى فما هو الخلل والنقص الذى يتركه ذلك فى حياة الإنسان؟

ثم لو سلمنا بأن الإنسان القديم كان بحاجة إلى تعاليم الأنبياء وإرشاداتهم، فهل ما زالت تلك الحاجة ماسه إليها فى هذا العصر الذى توصل فيه الإنسان إلى درجة عالية من الرقى العلمى والتطور العقلى؟

لماذا بعث الأنبياء وما هى الغاية من وراء ذلك؟ ما طبيعته رسالتهم؟ وما قيمه ما جاؤوا به من تعاليم؟ وما هى الآثار والثمرات التى ترتبت عليها على مر التاريخ؟

هذه مجموعه من التساؤلات التى اثرت فى مبحث «النبوه» والتى أجاب عنها الباحثون والمتكلمون بصوره مفصله. ونحن هنا وإن كنا لا نستطيع بسط الكلام والتوسع فى كل ما يثار فى مجال الوحي والنبوه، إلا أننا سنسلط الضوء على أهمها بعباره موجزه وأسلوب سلس إن شاء الله تعالى.

النبى والوحي

أولاً - ما المراد بالنبى؟

ص: ١٣٥

للنبي لغه معنيان:

١. صاحب الخبر المهم، وعلى هذا تكون الكلمه مشتقه من الأصل لأنّ النبأ يعنى الخبر المهم.

٢. صاحب المقام السامى، فتكون الكلمه مشتقه من لأنّ يعنى الارتفاع والعلو.

أما النبى فى اصطلاح المتكلمين فهو الشخص الذى يوحى إليه من قبل الله تعالى ويبعث لهدايه البشريه ونيل السعاده الأبدية. (١)
يظهر من التعريف المذكور أنّ معرفه النبى غير متسيره ما لم يعرف الوحى.

ثانياً – ما المراد من الوحى؟

استعمل الوحى لغه فى أكثر من معنى منها: الإشاره والكتابه والرّساله والإلهام والكلام الخفى وكلّ ما ألقته إلى غيرك. (٢)

أما الوحى فى القرآن فقد استعمل فى أربعة معان، هى:

١. الإشاره الخفيه، كقوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا. ٣

٢. الهدايه الغريزيه: يعنى الهدايه المودعه فى جميع الموجودات النباتات،

ص: ١٣٦

١- (١). عرف الأستاذ جعفر السبحانى النبوه فى كتابه الإلهيات: ٢٠/٢ بأنّها: سفاره بين الله وبين ذوى العقول من عباده لإزاله علتهم فى أمر معادهم ومعاشهم. وعرف كثير من الباحثين النبى بأنّه: الإنسان المخبر عن الله بغير واسطه أحد من البشر (نهج المسترشدين فى أصول الدين: ٥٨. إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٢٥٩. النافع يوم الحشر فى شرح الباب الحادى عشر: ٣٤ مفتاح الباب: ١٦٩).

٢- (٢). راجع: لسان العرب: ٣٨٠/١٥.

الحيوانات، الإنسان، بل الجمادات أيضاً والتي تمنحها البقاء واستمراره الحياه، كقوله تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كَلَّمِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَأَسْمِيكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. ١

٣. الإلهام: يلقي الله تعالى - أحياناً - بعض الأمور الغيبية وما وراء الطبيعة في روع المؤمنين وقلوبهم، خاصه حينما تشتد الأزمات وفي مواضع الحرج والاضطرار وعندما يصلون إلى طريق مسدود حينئذٍ تتدخل الإرادة الإلهية لتلهمهم المعرفه المناسبه التي تساعدهم في تجاوز الأزمه ويحدث ذلك كالنور الخاطف، حيث تسطع ومضه من النور في قلوبهم فتتير لهم ظلام الطريق: وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. ٢

وقد أشار الأستاذ معرفه إلى هذه الحقيقه بقوله:

حينما أبصر موسى عليه السلام النور قلقت امه واضطربت. وفجأه لمع بارق في ذهنها بأن توكلى على الله وأرضعيه، وإذا ما شعرت بالخطر عليه فضعيه في صندوق من الخشب واتركيه على سطح الماء، وكذلك الهمها ربها أن الطفل عائد إليها وعليها أن تدع القلق والحزن جانباً؛ لأنها توكلت واعتمدت على الله وأودعت الطفل عنده وبين يديه. هذه خواطر مرّت على فكر ام موسى وألقت في قلبها المضطرب بارقه من الأمل؛ لأنها لم تفكر إلّما بالله ولم تستند إلّا إليه. وهذا النوع من الخواطر يضيئ الطريق وينجى من الغم والخشيه، وهى إلهامات رحمانيه وعنايات ربانيه تمدّ يد العون لبعض الصالحين في مواقع الضروره. (١)

ص: ١٣٧

نعم، قد عبر القرآن الكريم - أحياناً - عن وساوس الشيطان بالوحي، كقوله تعالى: ...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ. ١

٤. الوحي الرسالي: معنى رابع استعمله القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، الوحي وهو الوحي الخاص بالأنبياء ومقام النبوه، منها قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا.... ٢

فالوحي الرسالي نوع من الهدايه الإلهيه يضعها الله تعالى بين يدي أوليائه المنتجبين، ليسعدوا به وليأخذوا بيد البشرية إلى ساحل النجاه والهدايه.

إنَّ الأنبياء بمنزله الجهاز اللاقط الموضوع في وسط المجتمع البشري ليلتقط الرساله الإلهيه من مصدرها الأساسي ويلقيها على مسامع وقلوب سائر البشر. فالأنبياء نماذج بشريه متكامله استطاعت أن تصل إلى مرحله من السمو، بحيث تكون جديره بتلقى هذا النوع من المعرفه (الوحي) وهذه الجداره والصلاحيه لا يعلمها إلَّا الله تعالى: ...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.... ٣

ولقد أشار النبي الأكرم صلى الله عليه و آله إلى هذه الحقيقه بقوله:

وَلَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا حَتَّىٰ يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ. (١)

وروى عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال :

إِنَّ اللَّهَ وَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ الْقُلُوبِ وَأَوْعَاها فَاخْتَارَهُ لِلنَّبِوهِ. (٢)

ص: ١٣٨

١- (٤) . الكافي: ١٣/١.

٢- (٥) . بحار الانوار: ٢٠٥/١٨، ح ٣٦.

الوحي الرسالي، كالإلهام (الوحي بالمعنى الثالث) كلاهما نعمه غيبية وهداياه إلهية، مع فارق بينهما هو أن منشأ الإلهام خفى على المتلقى (الملهم بصيغته اسم المفعول)، خلافاً لمنشأ الوحي، فإنه معلوم للموحي إليه (الأنبياء)، من هنا لا تترى للتوهم والشك والريبه سبيلاً في نفوس الأنبياء عند تلقي رسالته السماوية.

عن زُراره قَمال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما يُنزَغُ به الشيطان؟ قال: فقال: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا اتَّخَذَ عَبْدًا رَسُولًا أَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ فَكَانَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ الَّذِي يَرَاهُ بَعِينِهِ. (١)

تأثير الوحي على الأنبياء

صحيح إن عمليه الوحي ليست من الأمور الحسيه ولا- يمكن إدراكها بأي حاسه من الحواس الظاهريه، لكن هذا لا يعنى عدم إدراكها مطلقاً، بل يمكن إدراكها من خلال الآثار التي تخلفها، شأنها شأن الشجاعه والتقوى وسائر الملكات النفسانيه التي لا

ص: ١٣٩

١- (١). تفسير العياشى: ٢٠١/٢، ح ١٠٦؛ بحار الأنوار: ٢٦٢/١٨، ح ١٦؛ راجع: التمهيد في علوم القرآن: ٢/١ - ٤٥؛ تاريخ القرآن: ٧ - ١٤. يرى بعض الباحثين أن استعمال الوحي في المعاني الأربعة المذكوره هو من قبيل الاشتراك المعنوي لا اللفظي، أى أن للوحي معنى واحداً يتسع ليشمل دائره واسعه. يبدأ بأضعف مصاديقه الذي هو الإيحاء إلى النحل وغيره، ثم يرتقى ليشمل الإلهام الخاص بالأنبياء. يقول الشهيد المطهرى في هذا الخصوص: استعملت كلمه الوحي في القرآن أكثر من مره حيث يظهر من خلال تعدد الاستعمال وشكله أن القرآن الكريم لا يرى الكلمه منحصره بالإنسان فقط، بل استعملت في جميع الأشياء أو على أقل تقدير أنها جاريه في الأشياء الحيه. من هنا نراها تسمى ما يلقي إلى النحل وحيماً. نعم، درجات الوحي ومراتب الهداياه متفاوتة بما يناسب درجات تكامل الموجودات، حيث يقف في قمه الهرم منها الوحي إلى الأنبياء والذي يتناسب مع حاجه النوع الإنسانى للهداياه الإلهيه. (مجموعه الآثار: ١٥٦/٢).

يمكن مشاهدتها أولمستها أو شمها، لكن يتمّ الاذعان بوجودها لدى بعض الأفراد من خلال ما تعكسه من الآثار عليهم.

إنّ للوحي الإلهي تأثيراً كبيراً على شخصيه النبي، حيث إنّ البعثه تحدث تحوّلاً عظيماً فيه، بحيث يعبى جميع طاقاته وملكاته في سبيل هدايه البشريه. (١)

خلاصه البحث

١. كلمه نبي إن كانت مشتقّه من الأصل فتعنى صاحب الخبر المهمّ وإن كانت مشتقّه من فتعنى صاحب المقام السامى.

٢. النبي فى اصطلاح المتكلمين هو الشخص الذى يوحى إليه من قبل الله تعالى ويبعث لهدايه البشريه ونيل السعاده الأبدية.

٣. استعمل الوحيّ فى أكثر من معنى منها: الإشاره والكتابه والرّساله والإلهام والكلام الخفّى.

ص: ١٤٠

١- (١). عرّف الوحي فى الكتب الكلاميه بتعاريف متعدده، منها: الوحي سماع الكلام سواء فى اليقظه أم المنام، وسواء اقترن برؤيه الملك أم لا (گوهر مراد: ٢٩٨). الوحي كلام الله بلا واسطه سواء كان مع الانبياء أم مع غيرهم. (البراهين فى علم الكلام: ٢٠٠/١) الوحي أن تكون فيه (الرجل) قوه إلهيه موهوبه من البارى الخالق - جل وتعالى - وتلك القوه هى الوحي الذى يوجب لصاحبه اسم النبوه. (أعلام النبوه: ٢٩٢) الوحي الذى يختصّ بالأنبياء ادراك خاصّ متميز عن سائر الإدراكات، فإنّه ليس نتاج الحس ولا العقل ولا الغريزه وإنّما هو شعور خاصّ يوجدّه الله سبحانه فى الأنبياء وهو شعور يغيّر الشعور الفكرى المشترك بين أفراد الانسان عامه، لا- يغلط معه النبي فى إدراكه... من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر أو التماس دليل أو إقامه حجّه... وعلى هذا فالوحي حصيله الاتصال بعالم الغيب ولا يصحّ تحليله بأدوات المعرفه ولا بالأصول التى تجهز بها العلم الحديث. (محاضرات فى الالهيات: ٣٩٤ - ٣٩٥)

٤. استعمل الوحي في القرآن في أربع معان: ١. الاشارة الخفيه. ٢. الهدايه الغريزيه. ٣. الإلهام. ٤. الوحي الرسالي (الشورى: ٧).
٥. الوحي الرسالي، كالإلهام كلاهما نغمه غيبية وهدايه الهية، مع فارق بينهما هو أنّ منشأ الإلهام خفي على الملهم، خلافاً لمنشأ الوحي، فإنه معلوم للموحي إليه (الأنبياء).

إشاره

الحقيقه أنّ الإنسان بحاجه ماسه للهدايه الإلهيه الخاصه لكي يحظى بالسعاده والكمال، تلك الهدايه التي وضعت تحت متناول الأنبياء عن طريق الوحي الإلهي وبواسطتهم انتقلت إلى سائر الناس، فإذا ما عرفنا أنّ الله تعالى حكيم لا يفعل القبيح ولا يصدر منه فعل عبثي أبداً، بل كلّ فعل حسن لا بدّ أن يصدر منه سبحانه، فمن المسلم والضروري حينئذٍ أنّه سبحانه لا يحرم البشريه من نعمه الوحي التي هي حاجه حياتيه ملحه. هذه خلاصه الدليل الذي يقام لإثبات ضروره الوحي والنبوه انطلاقاً من حاجه الإنسان إليها.

البيان التفصيلي

يمكن تفصيل الدليل المذكور من خلال مجموعه من المقدمات:

أ) الهدف الإلهي من وراء خلق الإنسان ووصوله إلى أسمى درجات الكمال وجداره الانتفاع بالنعم والرحمه الخاصه بالإنسان الكامل.

ب) أنّما يصل الإنسان إلى تكامله النهائي إذا كان فعله وتركه يصدران منه باختيار حر وإرادته مستقلة. وبعبارة اخرى: ينحصر وصول الإنسان إلى تكامله فيما

إذا شخص - فى مسيره حياته - الطريق الخاصّ وسار على الصراط المستقيم.

(ج) السير على الصراط المستقيم الموصل إلى الهدايه والسعاده الواقعيه منوط بمعرفته والالمام به.

(د) ما يملكه الإنسان من معرفه مستقاه من الحس والعقل لا يكفى لمعرفة الطريق معرفه تامه.

فالإنسان لا يزال يجهل نفسه ولم يطلع بالكامل على أبعاده الوجوديه ويعبر عن نفسه ب- بل قد يعبر عنها بأنّها «أكبر المجهولات»، أضف إلى ذلك انه لم يصل بعد إلى نتيجه قطعيه فى تعريف الكمال والسعاده الواقعيين، يقول الشهيد المطهرى:

لا يوجد فى العالم فيلسوفان متفقان فى معرفه هذا الطريق، فالسعاده - نفسها - التى هى الغايه القصوى للإنسان مع وضوح مفهومها وبداهته إبتداءً، إلّا أنّها لازالت تعدّ من أشدّ المفاهيم تعقيداً وإبهاماً. فما زال الإنسان لم يصل إلى الإجابه الحقيقيه عن ما هو مفهوم السعاده؟ وما هى سبل تحقيقها؟ وكذلك مفهوم الشقاء وعوامل تحقّقه. وما ذلك إلّا لأنّ الإنسان لم يدرك بعد حقيقه نفسه وقواها الكامنه فيها. (١)

ويزداد تشخيص طريق السعاده صعوبه وتعقيداً حينما نعرف أنّ للإنسان حياةً اخرويه، وأنّ الحياه الدنيا لا تتعدى كونها صفحه واحده من دفتر الحياه الذى لا تعدّ صحائفه. هذا من جهه.

ومن جهه اخرى، أنّ أدنى حركه للإنسان فى هذه الحياه الدنيا سيكون لها انعكاس ثابت ودائم فى الحياه الأخرى.

(ه) إنّ الله حكيم، وأنّ جميع أفعاله تتصف بالاتقان والحكمه فلم يصدر منه

ص: ١٤٤

فعل قبيح أبدأ، وأنَّ كلَّ فعل جدير بالوقوع لا بدَّ أن يصدر منه تعالى.

يُتَّضح من مجموعته تلك المقدمات أنَّ الله الحكيم يوفر للإنسان سبيل الهداياه من خلال طريق الوحي، وأنَّ الأنبياء هم واسطه فيض الهداياه بين الله تعالى وبين البشر.

مثال

لكي يتَّضح البرهان بصوره أكثر نرى من المناسب الإشارة إلى المثال التالي:

لو فرضنا أنَّ إنساناً عاقلاً حكيماً دعا أصدقاءه لوليمه قد أعد لها كلَّ شيء من أشهى المأكولات وأجود العصائر والمرطبات وزين البيت بما يليق بشأنهم وأعد الخدم والحشم لاستقبالهم، ولكنَّه مع ذلك كلَّه لم يعلمهم بعنوان البيت الذي تقام فيه الوليمه، ولم يجعل بينه وبينهم واسطه ترشدهم إليه، والحال أنَّه يعلم بجهلهم! لا ريب أنَّ الحكمة تقتضى منه أن يرشدهم إلى الطريق وألَّا يشك حينئذٍ في حكمته.

إنَّ قصه الله والبشر تشبه قصه الرجل الحكيم مع ضيوفه، فإنَّ الله تعالى أعد الجنه لعباده الصالحين بكلِّ ما فيها من النعم والخيرات، ولكنَّهم يجهلون طريقها والسييل إليها، من هنا تقتضى الحكمة الإلهيه أن يجعل لهم هادياً ومرشداً يرشدهم إلى طريقها وسييل الوصول إليها وهم الأنبياء الأئمء المتقون.

خلاصه البحث

الهدف الإلهي من وراء خلق الإنسان وصوله إلى الكمال النهائي.

إنَّما يصل الإنسان إلى تكامله النهائي إذا عرف الطريق وكان فعله وتركه يصدران منه باختيار حر وإرادته مستقلة.

طى الصراط المستقيم منوط بمعرفته والالمام به.

مدركات الإنسان الحسيه والعقليه لاتكفيان لمعرفة الطريق معرفه تامه؛ لأنَّ

الإِنسان لا زال لم يعرف نفسه ولم يعرف سعاداته الحقيقه، بل لم يدرك مدى تأثير أفعاله الدنيويه فى السعاده الأبدية.

يفهم من خلال هذه الأصول الخمسه أنّ الله الحكيم قد وفر للإنسان طريقاً آخر يوصله إلى الهدايه والكمال الأبدى هو طريق الوحى، وأنّ الأنبياء هم الواسطه بينه تعالى وبين عباده.

ص: ١٤٦

لا يخفى على أحد الدور الذي لعبه الأنبياء والنتائج الإيجابية التي حققتها بعثتهم على مر التاريخ البشرى والخدمات التي قدموها للبشرية على الصعيد الثقافى والحضارى، حيث كانوا(عليهم السلام) يقفون على رأس هرم الاصلاح وكانوا أشد الناس تحرقاً وصدقاً فى الأخذ بزمام قافله البشرىة نحو الكمال والسعاده ولم يألوا جُهداً فى هذا المجال أبداً، بل تحملوا أشد أنواع الأذى وواجهوا أنواع الصعاب برحابه صدر وضحو بالغالى والنفيس فى هذا المجال ليحدثوا أكبر تحوّل شهدته المجتمع البشرى.

ويكفى أن نلقى نظره عابره على الوضع الذى كانت تعيشه الجزيره العربيه والعالم المعاصر لبعثه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وعقد مقارنه إجماليه بين الحاله المتوحشه ومنطق الغاب الذى كان سائداً قبل البعثه والحضاره الإسلاميه التى أقامها الإسلام والتحوّل الكبير الذى أوجده فى تلك البيئه، وهذه حقيقه تتجلى بوضوح أمام الباحثين المنصفين، ولقد كانت بمستوى من الشموليّه والكثره، الأمر يقتضى أفراد مصنفات خاصّه لاستقصائها واستيعابها، ويكفى شاهداً على ذلك مراجعه الكتب التى تحدّثت عن الحضاره الإسلاميه والتاريخ الإسلامى.

من هنا نرى من المناسب الإشارة إلى الآيات الكريمة التي تعرّضت لبيان الثمار المترتبة على بعثه الأنبياء والداعين إليه.

١- التعليم

المهمّة الأولى للأنبياء هي مهمة التعليم، يعنى تعليمهم الحقائق التي يجهلونّها أو التي لم يتمكنوا من إدراكها، ولقد تعرّضنا في الأبحاث السابقة بشكل مفصل إلى أنّ أحد أسباب لزوم بعثه الأنبياء هو عامل الجهل وعدم معرفه الإنسان بطريق السعادة والكمال، حيث بعث الأنبياء لينقذوا الإنسان من برائن الجهل والأمية وينقلوا به إلى عالم العلم والمعرفه ويكشفوا له ما كان مجهولاً لديه.

فمن تلك الآيات التي أشارت إلى تلك الحقيقة، قوله تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ١

وقوله عزّ من قائل: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ٢. (١)

يمكن تصنيف التعاليم الإلهية إلى صنفين:

أ) الحقائق التي يكون علمها خارجاً عن إدراكات الإنسان بصورة كاملة فمهما سعى الإنسان للوصول إليها اعتماداً على مدرّكاته الحسية والعقلية لن يتوصل إليها أبداً.

ب) الحقائق التي يمكن للعقل البشري إدراكها لكن الوصول إليها يحتاج إلى

ص: ١٤٨

١- (٣). يرى بعض أساتذه التفسير: إنّ التعبير بقوله تعالى يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ يعني أنّهم يعلمكم الأشياء التي لا تعلمونها ولم تكونوا قادرين على معرفتها، خلافاً لعباره وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.

قرون من البحث والتجربة والجهد العلمي الحثيث، وأنّ الأنبياء هنا يختصرون الطريق ويسهلون المهمّة حينما يضعون تلك المعارف والحقائق تحت متناول الإنسان.

٢- التزكية

لا- ريب أنّ الأنبياء (عليهم السلام) يمثلون أطهر الناس واتقاهم وتتجلى فيهم جميع الفضائل والسجايا الخيره ومنزهون من جميع الرذائل، وهم بالإضافة إلى كونهم مثال العدالة، حبّ الخير، الصداقه، العفه، الجود والصدق وتحليلهم بكلّ تلك السجايا الحميده يأخذون بيد البشرية لتمكينها من التحلّى بالصفات الحميده والتنزه عن الرذائل، وحسب التعبير القرآنى يطهرونها ويزكونهم.

وتظهر أهمّيه تزكيه (١) الإنسان وتربيته بجلاء من خلال ملاحظه طريقه العرض القرآنيه، حيث نراه كلما تحدث عن التعليم والتزكيه قدم التزكيه على التعليم إلّا فى الآيه (١٢٩) من سوره البقره والتى هى فى الواقع تحكى قول إبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، (٢) وكانت ناظره إلى مقام التحقّق؛ لأنّ التعليم مقدم على التريبه فى مقام العمل من هنا ابتداءً بذكر التعليم أولاً، ثمّ أردفه بالتزكيه.

٣- التذكير

لا ريب أنّ الإنسان مزود بالفطره الإلهيه وكذلك أودع فيه الكثير من المعارف

ص: ١٤٩

- ١- (١) . يقول العلّامه الطباطبائى فى ذيل الآيه الثانيه من سوره الجمعه: التزكيه تفعيل من الزكاه بمعنى النمو الصالح الذى يلازم الخير والبركه. فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحاً بتعويدهم الأخلاق الفاضله والأعمال الصالحه فيكملون بذلك فى إنسانيتهم فيستقيم حالهم فى دنياهم وآخرتهم يعيشون سعاداء ويموتون سعاداء". (الميزان: ١٠/٢٤٥)
- ٢- (٢) . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

والغرائز اللازمه للوصول إلى السعاده والكمال كالاعتقاد بوجود الله وغريزه العباده وحبّ الفضيله، ولكن قد تغطى الفطره بركام من الغبار الناتج من غفله الإنسان عن نفسه وانغماسه فى الماديّات والدوران فى فلكها. من هنا سعى الأنبياء الإلهيون - ومن خلال تذكيرهم المتكرر للإنسان وتحذيره من الوقوع فى الغفله - للإيقاء على تلك المعارف حيّيه وصيانتها من النسيان والاندثار. من هنا نرى المولى عزّ شأنه يصف نبيه الكريم صلى الله عليه وآله بأنّه مذكّر كما فى قوله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ. ١

ويصف القرآن الكريم بأنّه تذكّره: كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ.

٤- التحرير من القيود والأغلال

يلعب الأنبياء الإلهيون دوراً مهمّاً فى تحرير الإنسان من القيود والأغلال التى تكبله سواء على مستوى القيود الماديّه الناتجه عن هيمنه المتسلطين والطواغيت أو الأغلال والقيود الناتجه بسبب اتباع الأهواء والسير وراء الملذات الماديّه، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقه بقوله: ...يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.... ٢

الحقيقه أنّ الأنبياء الإلهيين يدعون الإنسان إلى عباده الله تعالى ولا يمكن للإنسان أن يعيش الحريه الحقيقه إلّا فى ظلّ العبوديه لله تعالى، فإذا عاش حاله التمرد على عباده الله وعدم الإذعان لها فحينئذٍ يبقى دائماً أسير الشهوات والأهواء والميول الحيوانيه التى تجره إلى اليمين تاره والشمال اخرى، لكنّه لو تواضع لله وتمسّك بحبله المتين فحينئذٍ تتساقط عنه جميع الأغلال والقيود التى كانت تكبله.

ص: ١٥٠

٥- إقامة العدل

من الأهداف الأساسية والمهمّة التي سعى الأنبياء لتحقيقها هي إقامة القسط وبسط العدل في المجتمع، ولقد صرح القرآن الكريم بتلك الحقيقة معتبراً إقامة العدالة الاجتماعية من أهم أهداف الأنبياء كما في قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.... ١

٦- الأسوة والقدوة

أجمع علماء النفس والتربية على أنّ لوجود الأسوة والمثل في المجتمع البشري دوراً لا نظير له في تربية أفراد المجتمع، وأنّه يعدّ من أهمّ عوامل التربية والتكامل الإنساني، وممّا لا ريب فيه أنّ إحدى ثمرات وجود الأنبياء الإلهيين في الوسط الاجتماعي هو دور الأسوة والقدوة في المجتمع: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. ٢

الهدف الأساسي لبعثه الأنبياء

أتضح من الأبحاث السابقة أنّ الأنبياء (عليهم السلام) إنّما بعثوا لأجل هداية بشرية إلى الصراط المستقيم وإرشادها إلى ما فيه صلاحها وسعادتها. وهنا يطرح السؤال التالي: أين تكمن السعادة في فكر الأنبياء الإلهيين؟ هل تفكيرهم مقتصر على عالم الآخرة فقط؟ أو هدفهم الأساسي منصب على إقامة القسط وبسط العدالة الاجتماعية وإعمار دنيا الإنسان، وأنّ عالم الآخرة يأتي في المرتبة الثانية، أو تحقيق السعادة في الدارين معاً؟

الإجابة الصحيحة عن التساؤلات المطروحة تتم من خلال الأصول التالية:

١. إنَّ نسبة الحياه الدنيا إذا ما قورنت بالحياه الآخره تعدّ قليله جدّاً فمقارنه العدد مع رقم عدد أصفاره مليون صفر مثلاً تكون نسبته فى غايه القله، هذا بالنسبه للرقم مقارناً برقم عدد أصفاره مليون صفر، فكيف إذا ما قارنا بين معدل عمر الإنسان الذى لا يتجاوز السبعين عاماً مع عمر الآخره الذى لا يحد برقم!

٢. مع الالتفات إلى النقطه الأولى لا يمكن المقارنه حينئذٍ بين السعاده الدنيويه والسعاده الآخرويه، بل لا يمكن وضع أحدهما إلى جنب الأخرى فضلاً عن اعتبار السعاده الدنيويه هى الأصل والآخرويه هى الفرع!

٣. على هذا الأساس يتمثل الهدف الأساس للأنبياء فى كشف الطريق الموصل للسعاده الآخرويه والمنتهى إليها.

٤. لو تأملنا فى آيات الذكر الحكيم نراها تحصر الطريق الموصل للسعاده الآخرويه بطريق واحد هو التقرب إلى الله تعالى والتسليم المحض لإرادته؛ وأنَّ كمال الإنسان ينحصر فى الحركه إلى الله والتقرب إليه سبحانه.

٥. لا- بدّ من الالتفات إلى أنَّ كمال الإنسان وسعاده الآخرويين لا أنَّهما لا يتنافيان مع السعاده الدنيويه فقط، بل يساعدان فى تأمينها وتحقيقها، بمعنى أنَّ الإنسان المسلم لو اختار السير فى طريق التقرب إلى الله تعالى فحينئذٍ تتحوّل حياته الدنيويه هى الأخرى إلى جنبه ويزاح عنه كلّ أنواع الظلم والتعسف وحاله الهرج والمرج.

٦. لو تأملنا أكثر فى آيات الذكر الحكيم نرى أنَّ الأنبياء الإلهيين وضعوا - من أجل إيصال الإنسان إلى كماله - فى قمه أولوياتهم قضيه التصدّى للظالمين ومواجهه المستكبرين وإقامه العدل والقسط؛ لأنَّ عدم إقامه النظام العادل فى المجتمع يؤدّى إلى وضع أصناف العراويل أمام حركه التقرب إلى الله. ومن هنا يمكن أن ندرك المراد من الآيه ٢٥ من سوره الحديد.

الحاصل: إنّ هدف الأنبياء الأساسى يتمثل فى الدعوه إلى الله سبحانه، وطاعته والتقرب اليه والتسليم لما يأمر به وينهى عنه، وهذا هو لب وجوهر جميع الأديان الإلهيه: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ١**

لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ هذا الأمر إنّما يتحقق فى ظل العدالة الاجتماعيه وحفظ القيم الأخلاقيه والإنسانيه ومع تحققها ينال الإنسان السعادتين الدنيويه والأخرويّه معاً.

خلاصه البحث

أهمّ ثمار بعثه الأنبياء هي:

١. تعليم الناس الحقائق التى يجهلونّها أو التى لم يتمكنوا من إدراكها.
٢. تزكيه الناس وتطهيرهم والأخذ بأيديهم نحو التحلّى بالصفات الحميده والتنزّه عن الرذائل.
٣. تذكير الإنسان بمعارفه وميوله الفطريه المنسيه.
٤. تحرير الإنسان من القيود والأغلال التى تكبله سواء على مستوى القيود الماديّه الناتجه عن هيمنه المتسلطين والطواغيت أو الأغلال والقيود الناتجه بسبب اتباع الأهواء.
٥. إقامة العدل الاجتماعى.
٦. تحقيق الأسوه والقوده لطالبي الكمال.
٧. هدف الأنبياء الأساسى يتمثل فى الدعوه إلى الله سبحانه، وطاعته والتقرب إليه

ص: ١٥٣

والتسليم بما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه السبيل الوحيد الذى يؤمن للإنسان سعاده الدنيويه والأخرويّه معاً.

٨. إنّ الهدف الأساسى المذكور لا أنّه لا يتنافى مع السعاده الدنيويه فقط، بل إنّّه يساعد فى تأمينها وتحقيقها.

٩. عدم إقامه النظام العادل فى المجتمع يؤدّى إلى وضع أصناف العراقيل أمام حركه التقرب إلى الله، من هنا وضع الأنبياء الإلهيون على رأس سلم أولوياتهم مسأله التصدّى للطواغيت ومواجهه المستكبرين.

ص: ١٥٤

من جمله الخصائص التي يتحلّى بها الأنبياء خاصيه العصمه. وهى لغه: المنع والحفظ. (١) والمراد بعصمه الأنبياء الإلهيين:

أولاً: العصمه عن الخطأ والاشتباه فى مرحله تلقى الوحي وحفظه وإبلاغه.

ثانياً: العصمه تعنى التنزه من اقتراف أنواع الذنوب.

ولكى يتضح جلياً المراد من العصمه لا بدّ من دراسه كلا الفرعين بصوره مستقله.

العصمه فى تلقى الوحي وحفظه وإبلاغه

يتلقى الأنبياء الإلهيون الوحي - من أجل هدايه البشريه وتحقيق سعادتها والأخذ بيدها إلى الكمال اللائق بشأنها - بصوره صحيحه ودقيقه جداً ويفهمونه بالدقه نفسها، ثمّ إيصال تلك الأمانه إلى الناس على أتم وجه وبلا أدنى نقص أو خلل. وعلى هذا

ص: ١٥٥

١- (١). ذكر ابن فارس فى المقاييس: إن العصم: أصل واحد صحيح يدلّ على إمساك ومنع وملازمه. وقال الراغب فى المفردات: العصم: الإمساك. وجاء فى الصحاح إنّ العصمه تعنى المنع. وجاء فى آيات الذكر الحكيم بمعنى الحفظ والمنع، كما فى قوله تعالى مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ (الأحزاب: ١٧) وقوله سبحانه سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ (هود: ٤٣).

تصل الرساله الموحاه من الله تعالى إلى يد البشريه كما نزلت على الأنبياء من دون أن يتطرق لها خلل أو نقص عمداً أو سهواً.

وقد اجمع على هذه الحقيقه جمهور المتكلمين المسلمين سنه وشيعه، كذلك يدعمها الدليلان العقلي والنقلي على حد سواء.

الدليل العقلي: الحقيقه أن نفس الدليل العقلي الدال على لزوم بعثه الأنبياء يدلّ على المطلوب هنا؛ لأنّ حاجه الإنسان إلى الهدايه الخاصه عن طريق الوحي والنبوه إنّما تتحقّق حينما يكون الوحي مصوناً من الخطأ في جميع المراحل الثلاث (التلقى، الفهم، التبليغ).

فالله تعالى، بما أنّه حكيم، شاءت إرادته أن يوصل رسالته إلى الناس مصونه عن أى نقص أو خلل؛ ولأنّه عليم فهو يعرف كيف يوصل تلك الرساله كامله وعلى يد أى شخص من عباده؛ (١) ولأنّه قدير، فهو يستطيع أن يجعل بينه وبين عباده واسطه جديره بحمل الأمانه ويصونها من كلّ خلل أو زلل في إيصال الرساله وتبليغها.

الدليل النقلي: يشير القرآن الكريم في الآيات الأخيره من سوره الجن إلى حقيقه هي أنّ الله تعالى يحفظُ نبيّه بالحفظه والمراقبين، ويصونه صيانته كامله حتّى يبلغ الوحي الإلهي بصوره صحيحه، كما قال: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا* لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أُنبِئُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. ٢

ص: ١٥٦

١- (١). اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ الْأَنْعَامِ: ١٢٤.

اتفقت الشيعة على عصمة الأنبياء عن ارتكاب المعاصي صغيرها وكبيرها، سهواً وعمداً منذ الطفولة وحتى الوفاة، بل تعتقد أنهم معصومون عن السهو والنسيان أيضاً. (١)

الجدير بالذكر أنه ليس المقصود من عصمة الأنبياء عدم صدور الذنب منهم، بل لا بدّ من الاعتقاد بأنّ العصمة ملكة نفسانية تمنع المتّصف بها من الفجور مع قدرته عليه وفي شتى الظروف والحالات.

هناك الكثير من الناس الذين لم تصدر منهم الفحشاء طيلة حياتهم، لكن قلّ ما تجد من يدعى أنه لا يرتكب الفحشاء والذنوب مهما كانت الظروف التي يتعرّض لها. فالفارق كبير بين عدم اقتراف الذنب وبين وجود الملكة المانعة عن الوقوع فيه في شتى الشروط والحالات. (٢)

ثمّ إنّ هناك الكثير من الأدلّة العقلية والنقلية الدالّة على عصمة الأنبياء من الذنوب، نشير إلى بعضها:

الدليل العقلي: إنّ الله تعالى بعث الأنبياء لهداية الناس إلى الصراط المستقيم وإرشادهم إلى الطريق القويم. فلو فرضنا صدور الذنب منهم فلا يتحقّق حينئذٍ الهدف المذكور؛ لأنه إنّما يتحقّق أساساً إذا تمتّع الأنبياء والرُّسل بمثل هذه العصمة، فإذا لم يلتزموا بالأحكام الإلهية التي كُلفوا بإبلاغها إلى الناس، انتفى الوثوق بكلامهم، فلم يتحقّق الغرض المنشود من بعثهم وإرسالهم.

ص: ١٥٧

١- (١). اختلف الشيعة والسنة في هذه المسألة. فذهب البعض إلى عصمة الأنبياء من الكبائر، والبعض الآخر إلى أنهم معصومون في ما بعد البلوغ، وطائفته ثالثة ذهبت إلى أنّ العصمة تكون بعد البعث. أمّا الحشوية وبعض أهل الحديث فقد أنكروا عصمة الأنبياء وقالوا بإمكان صدور الذنب منهم عمداً قبل البعث وبعدها. (شرح الأصول الخمسة: ٥٧٣ - ٥٧٥؛ شرح التجريد للقوشجي: ٤٦٤؛ المواقف: ٣٥٩؛ كشف المراد: ٢١٦).

٢- (٢). من هنا نرى الجرجاني يعرف العصمة بأنّها: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها. (التعريفات: ٦٥).

الدليل النقلى: جاء وصف الكثير من الأنبياء فى القرآن الكريم بوصف المخلص (١) منها قوله تعالى: وَ اذْكَرْ عِبَادَنَا إِبرَاهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولى الْأَيْدِى وَ الْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. ٢

ومن جهه اخرى نرى الشيطان عندما اقسام بأنه يضل جميع بنى آدم استثنى منهم المخلصين: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ. ٣

ومن الواضح أن إبليس إنما استثنى المخلصين؛ لأنه لا يقدر على إغوائهم وإلا لما قصر فى إغوائهم وضلا لهم. فالظاهر من آيات الذكر الحكيم أنه لا سبيل للشيطان فى إغواء الأنبياء وضلالهم.

سر عصمه الأنبياء من الذنوب

لكى يتضح لنا سر عصمه الأنبياء من الذنوب جلياً لا بد من مقدمه ضروريه هى:

إنّ الإنسان موجود مختار تصدر أفعاله عن اختيار وانتخاب. فيختار الفعل الذى يراه مفيداً ويتجنب ما يراه مضرّاً، إلّا ضعيفى الإراده والذين قد فقدوا السيطره على نفوسهم، فإِنَّهم يقومون بالأفعال المنافيه لعقولهم، فالتشخيص إذاً يعنى العلم بالمنفعه أوالضرر الكامن فى العمل، وهو يلعب دوراً مهمّاً فى الإقدام على الفعل أو تركه.

من هنا نرى الإنسان المحبّ للحياه يستحيل أن يقدم على تناول السمّ أو إلقاء نفسه فى النار مع كونه قادراً على القيام به.

إذا عرفنا هذه المقدمه نقول: إنّ للأنبياء الإلهيين خصيصتين تمنعناهم من الوقوع

ص: ١٥٨

١- (١). المخلص بفتح اللام من أخلصه الله تعالى؛ وأمّا المخلص بكسرها فيعنى الإنسان الذى أخلص عمله لله تعالى فقط. ولا ريب أنّ منزله المخلصين بالفتح أسمى بكثير من منزله المخلصين بالكسر.

فى الذنب: الخاصية الأولى، العلم والإيمان التام بآثار الذنوب وعواقبها الوخيمة، بنحو يعدّ كلّ ذنب عندهم جحيماً مهلكه وسمّاً قاتلاً.

الخاصية الثانية: الإرادة القوية والسيطره العاليه على الميول والأهواء والانفعالات كالغضب النفسانى وغيره، فالأنبياء أناس من الطراز الأوّل ومن المخلصين الذين لا طريق للضعف إلى إرادتهم أبداً.

انطلاقاً من هاتين الخاصيتين لا يصدر الخطأ أو الذنب من جميع الأنبياء وإن كانوا قادرين عليه وتممكين منه. (١)

خلاصه البحث

١. العصمه. لغه: المنع والحفظ. والمراد بعصمه الأنبياء الإلهيين: أ) العصمه عن الخطأ والاشتباه فى مرحله تلقى الوحي وحفظه وإبلاغه. ب) التنزه من اقتراف أنواع الذنوب.

٢. نفس الدليل العقلى الدالّ على لزوم بعثه الأنبياء يدلّ على العصمه؛ لأنّ هدايه الإنسان عن طريق الوحي والنبوه إنّما تتحقّق حينما يكون الوحي مصوناً من الخطأ فى (التلقى، الفهم، التبليغ). وأنّ الله تعالى، حكيم، عليم، قدير، فهو يريد ويعلم ويقدر على إيصال تلك الرساله كامله على يد شخص من عباده جدير بحمل الأمانه. وقد دلّ القرآن الكريم على هذه الحقيقه أيضاً.

٣. تعتقد الشيعه بعصمه الأنبياء - منذ الولاده وحتى الوفاه - عن ارتكاب المعاصى مطلقاً، بل تعتقد أنّهم معصومون عن السهو والنسيان أيضاً.

ص: ١٥٩

١- (١). يرى الشهيد المطهرى: إنّ العصمه من الذنوب نابعه من كمال الإيمان وشده التقوى. فلا ضروره - لوصول الإنسان إلى مقام العصمه - لوجود قوه خارجيه تردعه عن الوقوع فى الذنوب، كما لا ضروره لخلق المعصوم مسلوب القدره؛ لأنّ الإنسان الفاقد للقدره على اقتراف الذنوب أو الذى تلازمه قوه خارجيه تردعه دائماً عن الذنب، لا يعدّ امتناعه عن الذنب كملاً، مثله مثل من حبس فى زنزانه لا يستطيع فيها القيام بأى ذنب أو اقتراف أى خطيئه، فإنّ ذلك لا يكشف عن صلاحه وأمانته. (مجموعه آثار: ١٦١/٢).

٤. عصمه الأنبياء تعنى وجود ملكه نفسانيه تمنعهم من اقرار الذنوب فى شتى الظروف والحالات.

٥. الدليل العقلى على عصمه الأنبياء: إنَّ الله تعالى بعثهم للهدايه فلو لم يلتزموا بالأحكام الإلهيه التى كُلفوا بإبلاغها إلى الناس وصدر الذنب منهم، لانتفى الوثوق بكلامهم، فلم يتحقّق الغرض المنشود من بعثهم وإرسالهم.

٦. الدليل النقلى على عصمه الأنبياء: أ) إنَّ الله تعالى وصف كثيراً من أنبيائه بالمخلصين. ب) يستفاد من القرآن الكريم أنّ الشيطان عاجز عن إضلال المخلصين.

٧. السرّ فى عصمه الأنبياء، أولاً: العلم والإيمان التام بآثار الذنوب وعواقبها الوخيمه. ثانياً: الإراده القويه والسيطره العالیه على الميول والأهواء والانفعالات.

ص: ١٦٠

إشاره

النبوه مقام شامخ ومنزله عظيمه جداً ومن يتصدى لهذا المقام الرفيع يكون مقدساً ومبجلاً لدى المؤمنين وتعتبر طاعته وظيفه الناس ومسؤوليتهم.

من هنا يمكن للطامعين بالقداسه والمتحيين للفرص إدعاء ذلك المقام السامى كذباً للانتفاع بمزاياه الظاهريه واستغلالها وكذلك بسط هيمنتهم وسلطتهم على الناس. من هنا اقتضت الضروره أن تحدد الطرق التى يميز من خلالها بين النبى الصادق والمنتبئ كذباً. وأن هناك طرقاً ثلاثه للوقوف بنحو قاطع على صدق مدعى النبوه فى دعواه، هى:

١ - جمع القرائن والشواهد

من الطرق المعتمده لإثبات صدق مدعى النبوه هى دراسه الأمور التى تحيط به، من قبيل: المحيط الذى ظهرت فيه الدعوه، تاريخ حياته، خصوصياته الأخلاقيه، محتوى رساله التى يدعو إليها، وغير ذلك من القضايا التى تتعلق به، ثم الوصول من خلال جميع القرائن والشواهد الداله إلى صدق دعواه.

٢ - تنصيص النبى السابق على نبوه النبى اللاحق

إذا ثبتت نبوه نبى بدلائل مفيده للعلم بنبوته، ثم نص هذا النبى على نبوه نبى للاحق

يأتى من بعده يحمل خصائص وصفات معينه ومحدده، فإذا ما بعث نبي تنطبق عليه تلك الملامح والخصوصيات كان ذلك حججه قطعيه على نبوته لدى أتباع النبي السابق، العالمين بتلك البشاره فلا يشك حينئذٍ بصدق كونه مبعوثاً من الله تعالى.

٣- المعجزه

إشاره

يزود الأنبياء الإلهيون - عموماً - بمعجزه تثبت للناس صدق دعوتهم، بل الاستفادة من آيات الذكر الحكيم أنّ الناس أنفسهم كانوا يطلبون المعجزه من الأنبياء وكلما كان الهدف من وراء هذا الطلب الوصول إلى الحقيقه ومعرفه الواقع، حينئذٍ نجد الأنبياء يستجيبون له ويأتون بالمعجزه الدالّه على صدقهم، لكن في كثير من الأحيان يكون طلب المشركين للمعجزه سخريه واستهزاءً بالنبي وغير ذلك من الأهداف التي لا تمت إلى طلب الحقيقه ومعرفه الواقع بأى صله، بل نجد المشركين يطلبون ذلك منه بعد أن اتضح للجميع صدق دعواه وثبت كونه محققاً! ومن الطبيعي ألا يستجاب لطلبهم ولا يأتى النبي بمعجزه جديده.

تعريف المعجزه

المعجزه لغه، بفتح الجيم وكسرهما، مفعله من العجز: عدم القدره. (١) واصطلاحاً هي: أمر خارق للعاده يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوه. (٢)

ومن الواضح أنّ الظواهر التي تحدث في العالم على طائفتين:

ص: ١٦٢

١- (١). لسان العرب: ماده عجز.

٢- (٢). عرف الطوسى المعجزه بقوله: هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العاده ومطابقه الدعوى. (كشف المراد: ٣٥٠) وقيد مع خرق العاده المأخوذ في التعريف زائد؛ لأنه نفس قيد «ما ليس بمعتاد المأخوذ في نفس التعريف.

١. الأمور العاديه، أى الأمور التى يمكن اكتشاف علّه وسبب تحقّقها من خلال دراسه العلل والأسباب دراسه تجريبه وتحليله.

٢. الأمور الخارقه للعهاده وغير العاديه، أى الظواهر التى لا- يمكن اكتشاف جميع عللها وأسبابها من خلال التحليل والتجربه الحسيه، بل توجد شواهد تدلّ على وجود (نوع آخر من العلل والأسباب) تقف وراءها وتؤثّر فى تحقّقها. والمعجزه من هذا القبيل من الأفعال.

كذلك يمكن تصنيف الأمور الخارقه للعهاده إلى صنفين:

١. الأمور التى ليس لها علل عاديه، ولكن فى نفس الوقت عللها وأسبابها غير العاديه قابله للإدراك إلى حد ما حيث يمكن التوصل إليها من خلال التجربه والممارسه والرياضات الخاصّه، ومن نماذج هذا الصنف الأعمال التى تصدر عن المرتاضين.

٢. الأمور التى يتوقّف تحقّقها على الإذن الإلهى الخاصّ ويستحيل صدورها من غير المؤمنين والمهتدين بالهدايه الإلهيه. من هنا نرى هذه الأمور تتسم بصفتين أساسيتين:

الأولى: إنّها غير قابله للتعليم والتعلّم.

والأخرى: يستحيل أن تغلب أو تقهر من قبل قوه اخرى مهما كانت.

فإذا ما صدر من مدعى النبوه فعل يحمل الخاصيتين المذكورتين حينئذٍ يطلق عليه عنوان المعجزه ويعدّ دليلاً على صدق دعوته.

(١)

ص: ١٤٣

١- (١). لاريب أنّ الاستدلال بالمعجزه على صدق ادعاء النبوه يتوقّف قبل ذلك على إثبات وجود الله أولاً وإثبات بعض صفاته ثانياً. ويمكن ترتيب مقدّمات البرهان بالنحوالتالى: ١. إنّ الله حكيم. ٢. الحكيم لا-ينقض غرضه؛ يعنى لايصدر منه فعل مناف لغرضه أو يخالفه فى النتيجة أو يمنع الوصول إلى الهدف. ٣. الهدف والغرض الإلهى هو هدايه الناس، يعنى أنّ الله تعالى يريد لعباده الهدايه والابتعاد عن الضلال. ٤. وضع المعجزه تحت متناول مدعى النبوه كذباً يؤدّى إلى إضلال الناس وبالنتيجه ينافى الغرض الإلهى. فالمتحصل من المقدّمات المذكوره أنّه يستحيل أن يضع الله تعالى المعجزه تحت يد مدعى النبوه كذباً.

١. لإثبات صدق مدعى النبوه فى دعواه، هناك ثلاث طرق: أ) جمع القرائن والشواهد. ب) تنصيب النبى السابق. ج) المعجزه.
٢. المعجزه لغه: عدم القدره أو التعجيز. واصطلاحاً هي: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوه.
٣. الأمور الخارقة للعادة، هي الظواهر التي لا يمكن اكتشاف جميع عللها وأسبابها من خلال التحليل والتجربه الحسيه، بل توجد شواهد تدلّ على وجود علل وأسباب اخرى تقف وراءها وتؤثر في تحققها.
٤. بعض الأمور الخارقة للعادة وإن لم يكن لها علل عاديّه، ولكن فى نفس الوقت عللها وأسبابها غير العاديّه قابله للإدراك إلى حد ما حيث يمكن التوصل إليها من خلال التجربه والممارسه والرياضات الخاصّه، والبعض الآخر منها يتوقّف تحققه على الإذن الإلهي الخاصّ ويستحيل صدوره من غير المؤمنين والمهتدين بالهدايه الإلهيه. والمعجزه من هذا القبيل.
٥. المعجزه غير قابله للتعليم والتعلم. ويستحيل أن تغلب أو تقهر من قبل قوه اخرى.

شهدت الجزيرة العربية سنة ٥٧٠ ميلاديه وولاده إنسان يحمل اسم محمّد بن عبد الله، شاءت الإرادة الإلهيه أن يكون هو النبي الخاتم للرسالات السماويه بعد أربعين عاماً قضاها مقرونه بالعفه والنزاهه والصدق والأمانه، فبعث صلى الله عليه وآله برسالته إلى الأمه وكانت تلك هي مرحله التحوّل الكبير، بل أكبر تحوّل شهدته التاريخ البشرى.

قضى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ثلاثه عشر عاماً بعد البعثه في وسط المجتمع المكي يدعوهم إلى الإسلام الحنيف ويرشدهم إليه، وقد تحمّل في هذا المجال أشدّ أنواع العذاب وصنوف الأذى لكنّه صلى الله عليه وآله مع كلّ تلك المعاناه استطاع أن يربى ثله من الصالحين والشخصيات البارزه، ثمّ شدّ الرحال مهاجراً إلى المدينه المنوره ليتخذ منها مركزاً ومنطلقاً في حركته الدعويه ففضى فيها عشر سنوات من عمره الشريف يدعو الناس إلى الإسلام بحريه تامّه ويواجه المستكبرين من جباره وعتاه قريش وغيرها من قبائل الجزيرة العربية، تمكن في نهايه الأمر من التغلّب عليهم وإخضاع الجزيرة العربية لإرداته وإدخالها تحت رايه الإسلام الحنيف، وكان الوحي ينزل عليه خلال تلك

الفترة الطويلة بآيات القرآن الكريم بصورة تدريجية، فكان يتلوها على الناس ويبينها لهم ويرشدهم إلى مفاهيمها السامية.

كانت الحوادث والوقائع التي واجهت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تلك الفترة تثير الحيرة وتبعث على الإعجاب بتلك الشخصية الكبيرة والسامية التي استطاعت التغلب على كل تلك الصعاب وتجاوز كل المحن لتكون قدوة للأحرار والخيرين على مر التاريخ. وكانت تلك الحوادث بمقدار من الشمولية والسعة، بحيث لا يمكن التعرض لها في هذا المجال، وقد أفرد لها الكثير من الباحثين مصنفات خاصه يمكن الرجوع إليها في مظانها.

طرق إثبات نبوه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

إشاره

قلنا في الأبحاث السابقه أن هناك ثلاث طرق لإثبات صدق مدعى النبوه. ومن الممكن اعتماد الطرق المذكوره لإثبات صدق ادعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وأنه مبعوث بحق من قبل الله تعالى.

١- جمع القرائن

تعتبر الخلفيه التاريخيه لحياه الإنسان شاهداً وطريقاً مناسباً للوثوق بصدقه وسلامه سريره أو عدمها، ونحن عندما نراجع فترة الأربعين عاماً التي قضاها صلى الله عليه وآله في الوسط الاجتماعى قبل البعثه الشريفه نجدها تحكى وبوضوح عن تحليه صلى الله عليه وآله بالنزاهه، الأمانه، الصدق، الاستقامه فى جميع نواحي الحياه. ولقد كان ثقه الناس به إلى حد كان يلقب فى أوساطهم ، بل كانت تلك الخصال بدرجه من الوضوح والاستحكام، بحيث لم يتمكن حتى أشد خصومه عناداً - بعد البعثه - من إنكارها، بل لم يتمكنوا من وصفه بأى رذيله من خيانه أو ظلم أو كذب أو ما شابه ذلك.

كذلك يحكى تاريخ صدر الإسلام عن السجايا والأخلاق الساميه التي كان صلى الله عليه وآله يتّصف بها كحسن الخلق، الصبر، العفو، الفتوه والأريحيه... إلخ. اتجّاه خصومه، بل نجد كلّ ما ينبغى توفره في الأنبياء والرجال الصالحين متوفراً في شخصيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالنحو الاتم والأكمل، خاصّه إذا أخذنا بنظر الاعتبار كون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يدرس على يد أى إنسان كان وعاش وترعرع وهو امي، (1) ومع كونه امياً وعاش وسط مجتمع جاهلي، لكنّه صلى الله عليه وآله جاء بكتاب ومعارف تبهر العقول والألباب فقد جاء للبشرية بحقائق ساميه في مجال التوحيد والمعارف الإلهيه، ومعرفه الإنسان وما يتعلّق به ورسم لهم أفضل السبل ووضع لهم أحسن المناهج الحياتيه، بل جاءهم بكتاب لا نظير له في تاريخ البشرية على الإطلاق.

وعندما نضع هذه الحقيقه إلى جانب سائر القرائن الأخرى من قبيل: مدى تأثير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و آله و جاذبيته في تغيير مجتمعه، إيمانه بأهدافه التي يدعو إليها، عدم التوسّل بالأساليب غير الأخلاقيه لتحقيق غاياته، سرعه التحوّل الذي حصل وتأثير كلامه وثبات تعاليمه، بالإضافة إلى صدق وإخلاص وطهاره اتباعه ومريديه الذين استناروا بنوره الشريف واهتدوا بهداه، كلّ ذلك لا يبقى أدنى مجال للشكّ والارتياب بأنّ محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله نبي من أنبياء الله الصادقين بعث لهدايه البشرية وسعادتها.

٢- تنصيب النبي السابق

يتّضح من خلال دراسته التاريخ أنّ الأنبياء السابقين كانوا قد بشروا ببعثه نبي

ص: ١٤٧

١- (١). كان عدد الذين يعرفون القراءه والكتابه في مكّه المكرمه - التي تعتبر اكثر مدن الحجاز تقدماً- من الرجال والنساء لا يتجاوز السبعه عشر، كما ذكرت ذلك المصادر التاريخيه.

الإسلام صلى الله عليه وآله ، (١) ولقد كانت طائفه من أهل الكتاب تعدّ الأيام في انتظار البعثة الشريفه وكانوا يعرفون الكثير من علاماته، (٢) بل إنّ أهل الكتاب كانوا يخبرون المشركين ويستفتحون عليهم بقرب بعثه نبي من ولد إسماعيل - الذين تتشكل منهم القبائل العربيه - يسير على المنهج التوحيدي ويصدق بالأنبياء السابقين، (٣) ولقد كان لهذه البشارات الأثر البارز في إيمان بعض علماء اليهود والنصارى ودخولهم في الإسلام، ٤ وإن كان البعض الآخر لميجّ في خصامه وعناده انقياداً لوساوس الشيطان واتباعاً للميول النفسيه فلم يدخل في الدين الجديد.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الطريق من طرق معرفه النبي، بقوله: أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٥

الجدير بالذكر أنه مع كلّ الجهود الحثيئه التي بذلت لإخفاء تلك البشاره من التوراه والإنجيل المحرف وطمس تلك الحقيقه! بقيت هناك إشارات لم يستطع المحرفون إخفاءها يمكن أن تكون حجّه وبرهاناً لطالبي الحقيقه والباحثين عن

ص: ١٦٨

١- (١) . أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقه في عدد من الآيات الشريفه منها ما ورد في الآيه السادسه من سوره الصف: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ.

٢- (٢) . قال تعالى في سوره الأعراف: ١٥٧: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
٣- (٣) . وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقره: ٨٩).

الواقع، ولقد كانت تلك البشارات سبباً في اهتداء الكثير من علماء اليهود والنصارى إلى جاده الصواب والدخول تحت رايه الإسلام الحنيف. (١)(٢)

٣- المعجزه

كما مرّ سابقاً أنّ من أهمّ الطرق لإثبات النبوه طريق المعجزه، بأن يأتي مدعى النبوه بما يعجز عنه الآخرون ليثبت من خلاله أنّه مبعوث بحقّ من البارى تعالى، وكذلك لكى يتّضح للناس صدق اتصاله بالله تعالى.

تحدّثت الكتب التاريخيه والحديثيه عن معجزات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ودونت الكثير من تلك المعاجز، منها: تكلم الحصاه فى يده صلى الله عليه و آله ، (٣) شهاده الذئب برسالته، (٤) انشقاق القمر له، (٥) ومنها: أنّه صلى الله عليه و آله دعا الشجره فأجابته وجاءته تخد الأرض من غير جاذب ولا- دافع، ثمّ رجعت إلى مكانها، (٦) بالإضافة إلى إخباره بالغيوب فى مواضع كثيره وتنبئه بالكثير من الحوادث والوقائع المستقبليه. (٧)

ولقد كان نقل تلك المعاجز بحد من الكثره وتواتر النقل حتّى عدت من المسلمات التاريخيه. (٨)

ص: ١٦٩

-
- ١- (١). من قبيل: الميرزا محمّد رضا، من كبار علماء اليهود فى طهران وصاحب كتاب اقامه الشهود فى رد اليهود؛ الحاجّ باب قزوينى يزدى، من علماء اليهود فى مدينه يزد الإيرانيه وصاحب كتاب محضر الشهود فى رد اليهود؛ والأسقف المسيحى البروفسور عبد الأحد داوود صاحب كتاب محمد فى التوراه والانجيل.
 - ٢- (٢). تعليم العقائد للأستاذ آيه الله مصباح اليزدى: ١٢٦/٢ - ١٢٧.
 - ٣- (٣). دلائل النبوه: ٦٤/٦ - ٦٥؛ بحار الأنوار: ٣٧٣/١٧ و ٣٧٧.
 - ٤- (٤). دلائل النبوه: ٤١/٦ و ٤٤؛ بحار الأنوار: ٣٩٣/١٧ - ٣٩٤.
 - ٥- (٥). دلائل النبوه: ٢٦١/٢ - ٢٦٨؛ بحار الأنوار: ٣٥٥/١٧.
 - ٦- (٦). دلائل النبوه: ١٣/٦ - ١٧.
 - ٧- (٧). راجع: كشف المراد: المقصد الرابع، المسأله السابعه.
 - ٨- (٨). نقل العلّامه المجلسى الكثير من الروايات التى تتحدّث عن معجزاته صلى الله عليه و آله فى بحار الأنوار: ١٧ و ١٨.

لكن إلى جنب تلك المعجزات الكثيره هناك معجزه تعدّ من أبرزها وأجلاها وهي القرآن الكريم الذى يعدّ معجزه النبى صلى الله عليه وآله الخالده.

ثمّ هناك الكثير من الأنبياء ممّن جاؤوا بكتب سماويه إلّا أنّ النبى الوحيد الذى اعتبر كتابه معجزه هو النبى الأكرم صلى الله عليه وآله . فالقرآن الكريم كتاب هدايه الهيه وبرهان قاطع على صدق رساله النبى صلى الله عليه وآله ، وتكمن فى هذا الأمر الكثير من الأسرار، منها:

١. بما أنّ دينه صلى الله عليه وآله دينٌ خاتِمٌ، وشريعته شريعته خاتمه وخالده ورسالته رساله شامله لكلّ البشريه زماناً ومكاناً، ولا ريب أنّ الدين الخالد والشريعته الخاتمه بحاجه إلى معجزه خالده لتكون برهان رساله القاطع لكلّ عصرٍ وجيل، حتّى تتمّ الحجّه على جميع الأجيال والقرون إلى أن تقوم الساعه عندما تلمس تلك المعجزه مباشره.

٢. إنّ جعل معجزه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله من سنخ المعجزه المقروءه (القرآن الكريم) يوفر للبشريه فرصه اكتشاف الكثير من الأبعاد الإعجازيه فيه، حيث كلما تطوّر العلم ظهر منها ما كان خافياً على الأجيال السابقه.

المعجزه القرآنيه

لا ريب أنّ القرآن الكريم معجزه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله إلّا أنّ من الضرورى الإشاره إلى ما يعزز ذلك من خلال ذكر الحقائق التاليه:

١. يصرح القرآن الكريم بما لا مجال للشكّ فيه، بأنّه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، بل التحدى شمل الجن والإنس معاً، (١) بل إنهم عجزوا أن يأتوا بعشر سور، (٢) بل بسوره قصيره. (٣)

ص: ١٧٠

١- (١) . الإسراء: ٨٨: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

٢- (٢) . هود: ١٣: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

٣- (٣) . يونس: ٣٨: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

٢. إنه منذ الأيام الأولى للصراع تحدّى مخالفيه ودعاهم للنزال، فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فليذعنوا بأنه ليس من صنع البشر وإنما هو من لدن عليم خبير. ١

٣. يكشف لنا التاريخ الإسلامى أنّ خصوم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأعداءه فى الداخل والخارج تصدوا منذ الأيام الأولى للدعوه لمحاربتها ومحاوله القضاء عليها وإطفاء النور الإلهى، ولم يألوا جهداً فى هذا المجال أبداً. وما زالت الدول الاستكباريه تسيير على نفس النهج وبذل الجهود كافه للقضاء على الإسلام وإيقاف حركته المباركه؛ لأنها تشعر بأنّ الإسلام هو الخطر الحقيقى الذى يهدد نفوذها وسلطتها الغاشمه.

٤. مع الأخذ بنظر الاعتبار التحدى القرآنى ونوع المنازله التى اقترحها القرآن الكريم، تكون الاستجابه لها من أيسر الطرق وأقلها كلفه على المشركين، إذ بإمكانهم أن ينهوا النزال ويكسبوا المعركه بمجرد الإتيان بسوره واحده على مستوى السور القرآنيه.

٥. إنه لم يتمكّن - ولحد الآن - أى شخص من الإتيان بكلام يحكم أرباب اللغه وعلماء البلاغه بأنه يضارع القرآن الكريم فى فصاحته وبلاغته، بل لم يكن نصيب من حاولوا المنازله إلّا الفضيحه والخيبه على مرّ التاريخ. ٢

أتضح من خلال ما ذكرنا أنّ القرآن الكريم معجزه إلهيه جاء بها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله . فمحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله صادق فى ادعاء النبوه، وأنّ ما ينزل عليه هو كلام الله ووحى منه تعالى وليس له صلى الله عليه وآله أدنى تصرف فيه.

١. إحدى الطرق الدالّة على إثبات نبوه النبي الأكرم: جمع القرائن، أنه صلى الله عليه و آله قضى أربعين عاماً من عمره الشريفه مقرونه بالعفه والصدق والتنزّه عن كلّ الرذائل، والتحلّى بكلّ الصفات التي يجب توفرها في القاده الإلهيين، بالإضافة إلى العيش في مجتمع أمي، ولكنّه مع ذلك يأتي بأرقى التعاليم والمعارف وأعمقها على جميع المستويات، مدى تأثيره في تغيير المجتمع وإيمانه بالهدف الذي قام من أجله وكلّ ذلك يكشف عن صدق نبوته صلى الله عليه و آله .

٢. تبشير الديانات السابقه ببعثته صلى الله عليه و آله ، من هنا كانت تترقّب بعثته الشريفه طائفه من أهل الكتاب في ذلك العصر لمعرفتهم بعلامات نبوته، بل هذه البشارات مازالت موجوده في التوراه والإنجيل المحرفين أيضاً الأمر الذي أدى إلى أن يعتنق الإسلام الكثير من علماء اليهود والنصارى.

٣. جاء النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بكثير من المعاجز التي سجلتها كتب التاريخ الحديث الإسلامي، منها: تكلم الحصا في كفه، شهاده الذئب برسالته، انشقاق القمر، حركه الشجره نحوه بالإضافة إلى نبوءاته الغيبية الصادقه.

٤. يعتبر القرآن الكريم أهمّ وأكبر معاجزه صلى الله عليه و آله . وهذه خصيصه انفرد بها النبي الأكرم صلى الله عليه و آله ، حيث هو النبي الوحيد الذي كان كتابه معجزته بالإضافة إلى كونه كتاب هدايه.

٥. تكمن في كون القرآن معجزه مجموعه من الأسرار، منها: أ) بما أنّ دين الإسلام هو الدين الخالد، فلاريب أنّ الدين الخالد بحاجه إلى معجزه خالده. ب) كونه معجزه يوفر للبشرية على مرّ التاريخ فرصه اكتشاف الكثير من الأبعاد الإعجازيه فيه.

٦. القرآن الكريم معجزه لأنه: (١) صرح بنحو قاطع بأنه لا يمكن لأحد أن يأتي بسوره مثله. (٢) إنّ هذا العجز يكشف عن كونه من لدن خبير عليم وليس من صنع البشر. (٣) إنّ خصوم القرآن وأعداءه تصدوا له منذ الأيام الأولى للدعوه ولم يألوا جهداً في هذا المجال؛ (٤) إنّ أيسر منازلها ومواجهه مع الإسلام وأقلها كلفه هي الاستجابه للمنازله والتحدى الذى طلبه الإسلامى والإتيان بسوره مثله. (٥) لم يتمكن أحد حتى هذه الساعه من الإتيان بكلام يشابه القرآن فصاحه وبلاغه.

دين أم أديان

من الملاحظ في غالب الدراسات المنصبه على معرفه الدين الإتيان بمصطلح بصيغه الجمع وينسبون لكل نبي ديناً خاصاً من قبيل: دين اليهود، دين المسيح ودين الإسلام، إلّا أنّ المعتمد في الفكر الإسلامي والثقافه القرآنيه أنّ دين الله واحد من لدن آدم عليه السلام وحتى الخاتم صلى الله عليه و آله ، وأنّ جميع الأنبياء يدعون إلى إله واحد. (١) وأنّ تعاليم الأنبياء واحده والفرق يقع بينهم في جهتين:

(أ) في بعض المسائل الفرعيه، حسب مقتضيات الزمان والمكان وخصوصيات الناس.

(ب) مستوى التعاليم التي يطرحها كلّ نبي، فكلّ نبي لاحق يأتي - انسجماً مع قانون تكامل البشر - بتعاليم أرفع مستوى من تعاليم النبي السابق، فعلى سبيل المثال المعارف التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في باب التوحيد والمعاد والإنسان اشمل وأعمق بكثير ممّا جاء به الأنبياء السابقون.

فالإنسان في مدرسه الأنبياء كطالب المدرسه يرتقى من مرحله إلى مرحله ويطوى

ص: ١٧٥

١- (١) . آل عمران: ١٩: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ....

مراحله العلميه من صف إلى صف آخر. من هنا يكون التعبير الصحيح عن القضية بتكامل الدين الواحد لا- تعدد الأديان واختلافها.

فلم يستعمل القرآن الكريم مصطلح بصيغته الجمع، بل كلّ نبى لاحق مؤيد ومصداق لسلسله الأنبياء الذين سبقوه. فيمكن القول انطلاقاً من هذه الرؤيه أنه لو قدر للنبي السابق أن يكون هو اللاحق لجااء بنفس التعاليم التي جااء بها اللاحق.

وقد صرح القرآن الكريم بأنّ الأنبياء يمثلون سلسله واحده، وأنّ السابق منهم يبشر باللاحق، وأنّ اللاحق مؤيد ومصداق لما جااء به السابق، وقد عبر القرآن عن تلك الحقيقه بالمشاق: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْضِيهِنَّ لَهُ قَالِ أَ أَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. ١**

النبي الخاتم

من ضروريات الدين الإسلامى الاعتقاد بخاتميّه النبي الأكرم صلى الله عليه و آله ، وأنه يمثل الخاتم لسلسله الأنبياء الإلهيين فلا نبى بعده صلى الله عليه و آله . فقد صرح القرآن الكريم فى سورة الأ-حزاب الآ-يه بهذه الحقيقه: **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. ٢**

السّر فى ختم النبوه

من الأسئلة التى تثار فى قضيه ختم النبوه أنه لماذا كانت النبوه تتجدد حيناً بعد

حين فنبي يرحل ليحلّ محلّه بعد فتره نبي آخر، فما هو السرّ الذي جعل تلك السلسله تتوقّف وتختتم بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ وللإجابة عن السؤال المطروح لا بدّ من الالتفات إلى ثلاث ملاحظات ضروريه:

١. لم يتمكّن الإنسان القديم (١) بسبب قصوره الفكري من المحافظه على الكتب السماويه التي أنزلت إليه، ولذلك ترى الكتب السماويه السابقه أما قد اندثرت بالكامل أو مسّتها يد التحريف والتبديل، فبقيت الحاجه ماسه لتجديد الرسول والرساله، لكن البشريه في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تجاوزت مرحله الطفوله وبلغت من النمو والبلوغ الفكري حدّاً تستطيع من خلاله المحافظه على تراثها العلمى والدينى. ومن هنا نرى القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يتعرّض للتحريف أو التلاعب وبقي سالمًا كما نزل أول مرّه.

٢. لم يكن الإنسان القديم مؤهلاً لتلقى خطّه كليه ترسم له مسير حياته، بحيث ينطلق منها فى مسيرته التكامليه، من هنا كان فى كلّ مرحله بحاجه إلى إرشاد ينسجم مع تلك المرحله فإن انقضت أتاها الإرشاد المناسب للمرحله الجديده وهكذا، لكن وصل الإنسان المعاصر لبعثه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى مرحله من القوه الفكرية، بحيث يستطيع اكتشاف الخطوط الأساسيه لحياته من الخطه الكليّه التي أنزلت إليه.

٣. ينقسم الأنبياء الإلهيون المبعثون لهدايه البشريه إلى طوائف، فبعضهم جاء بشريعه جديده والبعض الآخر لم يأت، بل هو مبلغ لشريعه من قبله. من هنا يكون الأنبياء طائفتين، هما: الأنبياء المشرعون والأنبياء المبلغون، وأنّ النسبه الغالبه فى الأنبياء هم من الطائفه الثانيه، وقد لا يتجاوز عدد الأنبياء من الطائفه الأولى العشره، وأنّ مهمّه الأنبياء التبليغيين تتمثّل فى تبليغ وترويج، وتنفيذ وتفسير الشريعه الحاكمه فى عصرهم.

ص: ١٧٧

١- (١). المراد من الإنسان القديم، هو الذى كان يعيش قبل بعثه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

يمكن القول - انطلاقاً من الملاحظات السابقة - : إنَّ السرَّ في ختم النبوه يكمن في التطوُّر والبلوغ الفكري والاجتماعي للإنسان؛ لأنَّ الإنسان المعاصر للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله قد بلغ حدًّا يمكنه من القيام بالأمر التالي:

١. حفظ وصيانه كتابهم السماوي من الأخطار والتحريفات التي تهدده.

٢. يمكنه تلقي برنامج هدايته وسعادته دفعه واحده.

٣. تحمل مسؤوليه تبليغ وترويج وإقامه الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتولَّى هذه المهمه العلماء والصالحون من الأمه.

٤. القيام - في ظلّ فتح باب الاجتهاد - بتفسير كليات الوحي وتطبيقها على مواردها وإرجاع المسائل الفرعيه - في كلّ عصر - إلى اصولها. وهذه المهمه تقع على عاتق علماء الامه أيضاً. (١)

خلاصه البحث

١. المعتمد في الثقافه القرآنيه أنّ دين الله واحد، وأنّ جميع الأنبياء يدعون إليه.

٢. الفرق بين الأنبياء يقع في جهتين: ١. بعض المسائل الفرعيه، حسب مقتضيات الزمان والمكان وخصوصيات الناس الذين بعث فيهم. ٢. مستوى التعاليم التي يطرحها كلّ نبي.

٣. لم يستعمل القرآن الكريم مصطلح بصيغه الجمع، وأنّه يصرح بأنّ الأنبياء يمثلون سلسله واحده، وأنّ السابق منهم يبشر باللاحق وأنّ اللاحق يؤيد ويصدّق السابق.

٤. النبي الأكرم صلى الله عليه و آله خاتم لسلسله الأنبياء.

ص: ١٧٨

١- (١). مجموعه آثار: ١٨١/٢ - ١٩٤ و ١٥٣/٣ - ١٨٢.

٥. السرّ في ختم النبوه يكمن في البلوغ الفكري والاجتماعي للإنسان في عصر بعثه نبي الإسلام، حيث بلغ حدّاً يمكنه من القيام بالأمور التاليه: ١. حفظ كتابه السماوى. ٢. يمكنه تلقي برنامج هدايته وسعادته دفعه واحده. ٣. تحمل مسؤوليه تبليغ الدين. ٤. القيام - في ظلّ فتح باب الاجتهاد - بتطبيق كليات الوحي على مواردها وإرجاع الفروع إلى اصولها.

ص: ١٧٩

نبذه تاريخيه

إنَّ أوّل خلاف وقع في الأُمه الإسلاميه بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وشطر الأُمه إلى طائفتين هو الاختلاف في مسأله الإمامه والخلافه.

فلزمت طائفه من الأُمه جانب الإمام على عليه السلام معتقده بأنّه خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وطائفه اخرى اختارت السير في ركاب سائر الخلفاء مؤمنه بخلافتهم. من هنا انقسم المسلمون إلى سنّه وشيعه.

تصورات خاطئه لتفسير الاختلاف الشيعي السنّي

يعتقد البعض أنّ الاختلاف الشيعي السنّي في مسأله الامامه ناشئ من اعتقاد الشيعة بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نصب على بن أبي طالب عليه السلام خليفه من بعده لإداره المجتمع، ولكن أهل السنّه يعتقدون بأنّه لم يثبت ذلك النصب من قبل النبي صلى الله عليه وآله ، وإنّما الأمر موكل للأُمه هي التي تختار من تشاء حاكماً عليها، فاختارت الأُمه رجلاً خليفه عليها، وحينما قربت منه الوفاه أوكل الأمر إلى الخليفه الثاني، وهذا بدوره عهد بالأمر إلى شوري سداسيه تنتخب من بينها شخصاً للخلافه فاختارت

الخليفه الثالث، فلما قتل انتخبت الأمه بالانتخاب العام الخليفه الرابع.

طبقاً لهذه النظرية يكون الاختلاف الشيعي السنّي اختلافاً في مسأله تأريخيه صرفه وهى هل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله نصب علياً عليه السلام خليفه من بعده أولاً؟ فالشيعه تدعى النصب والسنّه ينفون ذلك، لكن الجميع يسلم بأنّ الثابت تاريخاً أنّ الرجال الأربعة تولوا الخلافه بالترتيب: أبوبكر، عمر، عثمان، وعلى عليه السلام .

فاذا كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله كان قد نصب علياً عليه السلام خليفه وإماماً من بعده، لم تتحقّق امينته ورغبته حيث اغتصب الآخرون مسند الخلافه.

لكن الحقيقه أنّ الاختلاف أعمق من ذلك بكثير؛ لأنّ الاختلاف الشيعي السنّي في الإمامه ينطلق من التصوّر العقائدى للإمامه، وهل هى منصب ومقام دينى تابع للتشريع والنصب الإلهي؟ أو أنه مجرد سلطه وقياده دنيويه خاضعه للظروف والعوامل الاجتماعيه؟

النظرية السنّيه في الإمامه

يعتقد أهل السنّه أنّ الإمامه هى نفس الحكومه وإداره شؤون الأمه، وأنّ الإمام يتولّى نفس الشؤون التى يتولاها الحاكم فى المجتمع. ويعتقدون أنّ الإسلام أهمل قضيه الإمامه فلم يعين طريقه خاصه لنصب الخليفه والحاكم. فمن الممكن أن يتصدّى شخص للخلافه بوصيه من الخليفه السابق، أو الشورى، أو انتخاب الأمه المباشر له، بل قد يتصدّى للخلافه بالغلبه والسيف.

النظرية الشيعيه في الإمامه

ترى الشيعه أنّ الإمامه رئاسه عامه شامله لجميع شؤون المجتمع الإسلامى الدينيه والدنيويه، كذلك ترى الشيعه أنّ هذه الرئاسه لا تكتسب شرعيتها إلّا إذا كانت منصوبه ومشرعه من قبل البارى تعالى، بل حتّى ليس للنبى استقلاله فى اختيار نائبه وخليفته من بعده، وأنّ القضيه تابعه للإراداه والأمر الإلهي.

من هنا تكون الإمامة كالنبوه منصباً إلهياً، فكما أنّ بعث النبي واختيار الرسول منحصر بالله تعالى كذلك نصب الإمام منحصر به سبحانه.

كما تعتقد الشيعة، أنّ الإمامة ليست مجرد حكمه ظاهريه، بل الإمامه مقام معنوي وروحاني رفيع المستوى جداً، وأنّ الإمام بالإضافة إلى قيامه بإداره شؤون المجتمع يتحمّل مسؤوليه هدايته في شتى الأمور الدينيه والدينيه. فهو يهدى الأرواح والعقول ويصون شريعته النبوي الأكرم صلى الله عليه وآله من كلّ خطر يحيط بها أو تحريف يحاول التطرّق إليها، وكذلك يحقّق الأهداف التي بعث النبي من أجلها.

كذلك ترى الشيعة أنّ المتصدّي لهذا المقام السامي أصاله - لا نيابه - محيط بكلّ الحقائق الدينيه إحاطه علميه، وأنّه مصون من الخطأ في بيان الأحكام والمعارف الدينيه، بالإضافة إلى كونه معصوماً من الوقوع في الذنب.

ومن معتقدات الشيعة في الإمامه، أنّ للإمام المعصوم عليه السلام جميع مناصب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلّا النبوه، وأنّ كلامه في بيان المعارف والأحكام والقوانين الإسلاميه حجّه، وأنّ طاعته في سائر الشؤون الحكوميه واجبه.

المقارنه بين مقام الإمامه والنبوه

إذا قلنا: إنّ النبوه هدايه إلهيه، فالإمامه قياده إلهيه. فإذا كان شأن النبي بيان الطريق للناس وتوضيح السبل لهم، فإنّ مهمّه الإمام مساعده البشريه في قطع تلك السبل واجتيازها. من هنا يكون مقام الإمامه أعلى من مقام النبوه انطلاقاً من ذلك نرى إبراهيم الخليل عليه السلام نال مقام الإمامه بعد سنين من نياله مقام النبوه وبعد الاختبارات الكثيره التي تعرض لها: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. ١

يستفيد من الآيه المباركه الامور التاليه:

١. إنَّ مقام الإمامه أعلى من مقام النبوه.

٢. إنَّ مقام الإمامه مقام ومنصب الهى.

٣. لا- يمكن لغير المعصوم التصدّى لمثل هكذا منصب؛ لأنَّ غير المعصوم يرتكب المعصيه، وارتكاب المعصيه ظلم، ومقترف الظلم ظالم.

الجدير بالذكر أنَّ القول بأنَّ مقام الإمامه أفضل من مقام النبوه لا يعنى بحال من الأحوال تفضيل شخص الإمام على شخص النبى؛ لأنَّ الكثير من الأنبياء ومنهم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وهبهم الله تعالى مقامى النبوه والإمامه معاً.

محاوِر الخلاف الأساسيه فى مسأله الإمامه

يمكن تلخيص محاوِر الخلاف الأساسيه بين الشيعه والسنّه فى مبحث الإمامه فى الأمور التاليه:

١. تعتقد الشيعه أنَّ الإمام خليفه الرسول صلى الله عليه وآله ولا بدّ أن ينصب من قبل الله تعالى.

٢. يتحلّى الإمام بالعلم الإلهى والعصمه من الخطأ.

٣. العصمه من الذنب.

إلّا أنَّ المدرسه السنّيه لا ترى تلك الأمور شرطاً فى الإمام.

خلاصه البحث

١. تعتقد المدرسه السنّيه بأنَّ الإمامه تعنى الحكومه، وأنَّ الإمام يتولّى نفس الشؤون التى يتولاها أى حاكم فى المجتمع، ويعتقدون أنَّ الإسلام أهمل قضيه الإمامه فلم يعين طريقه خاصّه لنصب الخليفه والحاكم. فمن الممكن أن يتصدّى شخص للخلافه بوصيه من الخليفه السابق، أو الشورى، أو انتخاب الأمه المباشر له، بل قد يتصدّى للخلافه بالغلبه والسيف.

٢. الإمامه عند الشيعة رئاسه عامه شامله لجميع شؤون المجتمع الإسلامى الدينيه والدنيويه. وتعتقد الشيعة أنّ هذه الرئاسه لا تكتسب شرعيتها إلّا إذا كانت منصوبه من الله تعالى، وأنّ الإمامه كالنبوه منصب إلهى.

٣. من معتقدات الشيعة، أنّ للإمام المعصوم عليه السلام جميع مناصب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله إلّا النبوه، وأنّ كلامه فى بيان الحقائق والقوانين والمعارف الإسلاميه حجّه، وأنّ طاعته فى سائر الشؤون الحكوميه واجبه، فهو محيط بكلّ الحقائق الدينيه إحاطه علميه ومصون من الخطأ فى بيان المعارف، ومعصوم من الذنوب كلّها.

٤. تدلّ الآيه ١٢٤ من سوره البقره على: ١. إنّ مقام الإمامه أعلى من مقام النبوه. ٢. إنّ مقام الإمامه منصب إلهى. ٣. ينحصر التصدّى لهذا المنصب فى المعصوم فقط.

٥. محاور الخلاف الأساسيه بين الطائفتين فى مسأله الإمامه ثلاثه: ١. لا بدّ أن ينصب الإمام من قبل الله تعالى. ٢. لا بدّ أن يتحلّى الإمام بالعلم الإلهى والعصمه من الخطأ. ٣. عصمه الإمام من الذنب.

تمهيد

تحتل مسألة الإمامه مكانه خاصه في الفكر الإسلامي، لذلك نرى البحث والجدال محتدم فيها دائماً بين المدرستين الشيعيه والسنيه. وقد ألف علماء الشيعه ومفكروهم الكثير من المصنّفات لإثبات عقائدهم الخاصه في هذا المجال، ذكروا خلالها الكثير من الأدله المحكمه والقويه التي تدعم المعتقد. وقد كانت بحد من السعه والشمول، بحيث لا يسع المجال هنا حتى لذكر صورته إجماليه عنها.

تدور ابحاث الإمامه على محورين أساسيين: المحور الأول: أصل ضروره وجود الإمام. والمحور الثاني: بيان الأدله النقليه الكثيره التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن الباري تعالى لإثبات إمامه على بن أبي طالب وأبنائه الاثني عشر (عليهم السلام).

إثبات ضروره وجود الإمام

تعتقد الشيعه بضروره الإمامه شأنها شأن ضروره النبوه، فكما أنّ الحكمة الإلهيه اقتضت ضروره بعثه النبي وإرسال الرسل لهدايه البشريه، كذلك ضروره الإمامه، وإلّا حصل النقص في طريق هدايه البشريه وسعادتها.

ذكرت الكتب الكلاميه الشيعيه الكثير من الأدله العقلية والنقلية الداله على ضروره وجود الإمام المعصوم. نقتصر هنا على ذكر دليل عقلي واحد، وهذا الدليل يقوم على خمس مقدمات، هي:

١. اقتضت حكمه الخالق البالغه - كما مرّ في مباحث النبوه - ضروره إرسال الرسل لهدايه الناس وإرشادهم إلى سبل السعاده.

٢. إنّ الرساله الإسلاميه رساله شامله وخالده لا تنسخ، وإنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء. (١)

٣. إنّما ينسجم ختم النبوه مع الحكمه من بعثه الأنبياء عندما تلبى الشريعه الخاتمه جميع متطلّبات البشر الماديّه والمعنويه وتؤمن بقاءها إلى نهايه العالم.

٤. صحيح إنّ الله تعالى ضمن صيانه القرآن الكريم وحفظه من التحريف والتغيير، (٢) لكن ليس جميع الأحكام والقوانين الإسلاميه تستنبط من القرآن، بل القرآن

ص: ١٩٠

١- (١). يعدّ هذا الأصل من الأصول الضروريه في الإسلام، فإنّ أدنى نظره لآيات الذكر الحكيم تكشف لنا عن شموليه وخلود الدين الإسلامى. فهناك الكثير من الآيات التي تخاطب الناس بقولها يا أَيُّهَا النَّاسُ (البقره: ٢١؛ النساء: ١ و١٧٤؛ فاطر: ١٥) ويقوله تعالى يا بَنِي آدَمَ (الأعراف: ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٥؛ يس: ٦٠)؛ وجاء في آيات اخرى أنّ الهدايه شامله لجميع البشر (البقره: ١٨٧، ١٨٥؛ آل عمران: ١٣٨؛ إبراهيم: ١، ٥٢؛ الجاثيه: ٢٠؛ الزمر: ٤١؛ النحل: ٤٤؛ الكهف: ٥٤؛ الحشر: ٢١). وأثبت في كثير من الآيات أنّ نبوه النبي للعالمين جميعاً (الأنبياء: ١٠٧؛ الفرقان: ١)؛ وجاء في الآيه ١٩ من سوره الأنعام أنّ الدعوه الإسلاميه شامله لكلّ من بلغه القرآن الكريم، فكما أنّ الآيات المذكوره دلّت على عموميه الدين الاسلامى وشموليته بألفاظ خاصّه تدلّ على العموم، من قبيل: بنى آدم، الناس والعالمين، كذلك دلّت على نفى محدوديته من خلال الإطلاق الزمانى خاصّه في مثل قوله تعالى لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (التوبه: ٣٣؛ الصف: ٩). فلم يبق مجال لأدنى شكّ في شموليه الدين وعموميته وخلوده.

٢- (٢). الحجر: ٩: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

فى الغالب ىشفر إلى الخطوط العامه؁ وأما التفصفر فقد تكفل به النبى الأكرم صلى الله علفه و آله مستعفنً بالعلم الإلهى الذى زوده به تعالى على تففرها وتفسفرها للناس. ١

٥. لم تسمح الظروف الصعبة والعقبات التى وضعت فى طرف النبى الأكرم صلى الله علفه و آله بأن فوصل صلى الله علفه و آله جمفر الأحكام والقوانفر إلى عموم الناس؁ بل كانت الظروف بنحو من الشده؁ بفر لم فكن صلى الله علفه و آله فضمن للثله القفله التى آمنت معه سلامتها وحفظها؁ من هنا نرى الاختلاف وقع فى قضاىا لا فنبغى الاختلاف فىها كقضىه الاختلاف فى كرفه وضوء النبى الذى كان فمارسه عملفً أمامهم فى كل فوم أكثر من مره؁ بالإضافة إلى كونه من الأمور الابتلافه لسائر المسلمفر فى كل فوم ولا فوجد مصلحه شخصفه تدعو للفررف فىه؁ فكرف إذا كان الأمر ففعلق بالأمور المعقده أو التى تدعو للفررف لصلتها بأهواء النفعفر ومنافع الأحزاب والتكتلات؟! لا رفر أن الفررف فكون؁ أخطر وأعمق. ٢

ففضح جلفً من خلال الالتفات إلى المقدمات الخمسه المذكوره أن الدين الإسلامى إذا أراد - باعباره دفنً كاملاً - أن فستجب لكل متطلبات الإنسان إلى نهافه فارفخ البشرفه؁ لا بد من أن فرسم طرفً فى نفس المتون الدفرفه لتأمفر المصالح الضرورفه للمجتمع؁ تلك المصالح التى فعرضت بعد رحفر الأكرم صلى الله علفه و آله لخطر التهفرد والضفاع.

وفتمثل هذا الطرف فى نصب الخلفه الجدر واللائق بفلافه الرسول الأكرم صلى الله علفه و آله ؛ خلفه فمترك العلم اللدنى حتى فستطفر من خلاله ففر حقائق الدين بتفاصفلها وأبعادها

المتنوعه، وكذلك يمتلك ملكه العصمه كى لا يقع فريسه للأهواء النفسيه والشيطانيه فى تحريف الدين عمداً أو سهواً، كذلك يتمكّن من القيام بالدور التربوى الذى كان يؤدّيه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لإيصال النفوس المستعده لأعلى مراتب الكمال، كذلك يتمكّن - مع توفر الظروف الاجتماعيه المناسبه - من التصدّى للحكومته وتدير شؤون المجتمع وتفعيل القوانين الاجتماعيه الإسلاميه لبسط الحقّ والعدل فى الأرض. (١)

علم الإمام وعصمته

إنّ ختم النبوه إنّما ينسجم مع الحكمه الإلهيه إذا كان مقترناً مع نصب الإمام عليه السلام ، الإمام الذى يمتلك جميع خصائص نبى الإسلام صلى الله عليه و آله إلّا النبوه. وعلى هذا تثبت ضروره وجود الإمام ولزوم اتصافه بالعلم الإلهى ومقام العصمه.

نصب الإمام من قبل الله

يمكن القول استناداً إلى ما مرّ، أنّ الركن الثالث من عقائد الشيعة فى مسأله الإمامه يقوم على التسليم بكون نصب الإمام وتعيينه يتمّ من الله تعالى فقط؛ لأنّه تعالى هو الذى يعرف من تتوفر فيه صفات الإمامه من العلم والعصمه؛ وذلك لأنّ العلم والملكات النفسيه من الأمور غير المحسوسه التى لا تخضع لتجربه البشر مباشره.

وينبغى الالتفات إلى أنّ العصمه لا تعنى مجرد عدم اقتراف الذنب طيله الحياه، بل تعنى كون الإنسان بنحو لا يقترف معه الذنب مهما كانت الظروف والحالات المحيطه به. وهذا ما لا يمكن إحرازه إلّا عن طريق الوحي.

كذلك يمكن - إلى حد ما - معرفه مدى علم الإنسان ومعارفه من خلال الرجوع

ص: ١٩٢

١- (١). اعتمدنا فى تحرير هذه المطالب على الأبحاث القيمه للأستاذ مصباح اليزدى فى كتاب تعليم العقائد: ١٧٤/٢ - ١٧٩.

إلى مؤلفاته وكلماته، لكن لا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على هذا الطريق لإثبات صحّته جميع ما يقوله وما يصدر عنه.

بالإضافة إلى ما مرّ يمكن إثبات لزوم نصب الإمام من خلال البرهان التالي:

من شؤون الإمامه، الولايه والحكومه وقياده المجتمع، وهى منحصره بالله تعالى أصاله. فالولى والحاكم والقائد المطلق هو الله، ووظيفه الإنسان الطاعه والتسليم له. من هنا لا تجوز طاعه الآخرين إلّا من وهبه الله تعالى هذا المقام.

خلاصه البحث

١. الدليل العقلى لضروره وجود الإمام، هو: (١) اقتضت حكمه الخالق ضروره إرسال الرسل لهدايه الناس. (٢) الرساله الإسلاميه رساله خالده لا- تنسخ، وأنّ النبى الأ-كرم صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء. (٣) يجب على الشريعه الخاتمه أن تلبى جميع متطلّبات البشر وتؤمن بقاءها إلى نهايه العالم. (٤) لم يكن القرآن الكريم بصدد بيان تفاضيل الأحكام والقوانين وإنما إلقاها على عاتق النبى الأكرم صلى الله عليه وآله. (٥) لم تسمح الظروف الصعبه والعقبات التى وضعت فى طريق النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يوصل جميع الأحكام والقوانين إلى عموم الناس، بل إنّ ما بيّنه لهم هو الآخر معرض للخطر. يتّضح جلياً من خلال الالتفات إلى المقدمّات الخمسه المذكوره أنّ الدين الإسلامى إذا أراد - باعتباره ديناً كاملاً - أن يستجيب لكلّ متطلّبات الإنسان إلى نهايه تاريخه البشريه، لا بدّ من أن يرسم طريقاً فى نفس المتون الدينيه لتأمين المصالح الضروريه للمجتمع، تلك المصالح التى تعرّضت بعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله لخطر التهديد والضياع. ويتمثّل هذا الطريق فى نصب الخليفه الجدير واللائق بخلافه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله .

٢. بالإضافة إلى ما يثبته الدليل المذكور من ضروره وجود الإمام، يثبت أيضاً وجوب العصمه والعلم الإلهى للإمام.

٣. إنَّ الله تعالى هو وحده الذى يعرف من تتوفر فيه تلك الخاصيّه، فيجب أن يكون نصب الإمام وتعيينه منحصرأً بالله لا يشاركه غيره.

٤. الدليل الآخر على لزوم نصب الإمام من قبل الله تعالى: من شؤون الإمامه، الولاية والحكومه وقياده المجتمع، وهى منحصره بالله تعالى أصاله. فالولى والحاكم والقائد المطلق هو الله، ووظيفه الإنسان الطاعه والتسليم له. من هنا لا تجوز طاعه الآخرين إلأ من وهبه الله تعالى هذا المقام.

ص: ١٩٤

لم يتعرض القرآن الكريم للتنصيص على شخص معين - اسماً ونسباً - فى قضيه الإمامه، ولعلّ الهدف من وراء اعتماد هذا الأسلوب هو صيانه القرآن الكريم من أن تمسه يد التحريف والتغيير، ولعلّ هناك حكماً اخرى تكمن فى هذا الأسلوب لم ندرك كنهها، لكن هناك كليات وردت فى آيات متعدده وبصور مختلفه فى خصوص إمامه الإمام على عليه السلام فقام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بتبيينها وتفسيرها بصراحه لا لبس فيها، بحيث لم يبق مجال للترديد والإبهام لطالب الحقيقه.

إنّ الآيات التى دلّت على جداره الإمام على عليه السلام لتسنم هذا المنصب كثيره أنهاها العلماءه الحلّى فى كتابه نهج الحقّ وكشف الصدق إلى ثمان وثمانين آيه. تكشف تلك الآيات - استناداً إلى الأحاديث النبويه المفسّره لها والوارده فى الكتب المشهوره عند أهل السنّه - عن أبعاد شخصيه الإمام على عليه السلام وإمامته. (١)

كذلك قام العلامه القاضى سعيد المرعشى فى كتاب إحقاق الحقّ بإحصاء أربع

ص: ١٩٥

وتسعين آية أخرى تدلّ على إمامه الإمام عليه السلام استقفاها من سبعة وثلاثين كتاباً من الكتب المعتمدة عند أهل السنّة.

ونحن هنا نكتفي بآية واحدة من تلك الآيات الدالّة على إمامته عليه السلام :

آية الولاية

يطلق عنوان آية الولاية على الآية الخامسة والخمسين من سورة المائدة: **إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ.**

وقد جاء في الكثير من الأحاديث المنقولة عن الفريقين الشيعة والسنّة، أنّ هذه الآية نزلت في شأن الإمام على عليه السلام ، كما أجمع على ذلك المفسّرون والمحدثون الشيعة واعترف به الكثير من العلماء السنّة، عندما تصدق بخاتمه وهو راعٍ. (1)

روى العلامة المرعشي في كتاب احقاق الحقّ عن خمسة وثمانين مصنفاً من المصنّفات الحديثية والتفسيرية لأهل السنّة ما يؤكّد بأنّ الآية نزلت في شأن الإمام على عليه السلام .

ومع كلّ هذه الروايات لا يبقى مجال للشكّ والتردد في كون المراد من قوله تعالى **الَّذِينَ آمَنُوا...** هو الإمام على عليه السلام . نعم، هناك حاجة للخوض في تحديد المراد من الوارد في الآية الشريفه.

معنى الولي: الولي، الولاية، الولاء، المولى والأولى، وغير ذلك كلّها مشتقّة من ماده (و، ل، ي).

وقد استعملت هذه الماده في القرآن كثيراً، منها ١٢٤ مرّة كهيئة اسم و ١١٢ مرّة على هيئته فعل.

المعنى الأصلي للكلمه كما يقول الراغب الإصفهاني في وابن

ص: ١٩٦

١- (١) . إحقاق الحقّ: ٣٩٩/٢ وما يليها.

فارس فى مقاييس اللغة: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدلّ على قرب. (١) بمعنى أنّ كلمه ولى تستعمل لو حصل شيان بحيث لا توجد بينهما فاصله كما فى قولنا أى اقترن به وقاربه.

إنّ استعمال الكلمه فى موارد من قبيل الصّيداقه والنصره والاعتقاد، تولى الأمر، منطلق من هذه الحثيه أيضاً، بمعنى أنّ جميع الموارد تنطوى على قرب واتصال ومباشره، ولكى نحدد المعنى المقصود لا بدّ من البحث عن القرائن الموجوده فى الكلام.

يتّضح من خلال ما ذكر أنّ المراد من كلمه الولى الوارده فى آيه الولاية: إنّ أشدّ الموجودات قرباً للمسلمين هو الله والرسول وعلى عليه السلام .

ومن الواضح جدّاً أنّ المراد من القرب هنا هو القرب المعنوى لا المادى. ولازم هذا القرب المعنوى، نيابه الولى فى جميع شؤون المولى عليه القابله للنيابه. وعلى هذا الأساس، أنّ جميع التصرفات التى يمكن أن يقوم بها الشخص وتكون قابله للنيابه يمكن للولى النيابه فيها. من هنا استعملت كلمه الولاية بمعنى المتصدّى وصاحب الاختيار. (٢)

وواضح أنّ الله تعالى ولى عباده فى تدبير شؤونهم الدنيويه والأخرويّه وولى أمر المؤمنين فى تدبير أمر دينهم ودعوتهم وهدايتهم نحو الكمال، وأنّ النبى صلى الله عليه وآله هو ولى

ص: ١٩٧

١- (١) . مقاييس اللغة: ١٤١/٦؛ مفردات غريب القرآن: ماده ولى الولاء والتّوالى: أن يحضّل شيان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهم.

٢- (٢) . قال الراغب الإصفهانى فى مفردات غريب القرآن: والولايه النّصيره، والولايه: تولى الأمر، وقيل: الولايه والولايه نحو: الدّلاله والدّلاله، وحقيقته: تولى الأمر. والولّى والمولى يستعملان فى ذلك كلّ واحدٍ منهما يقال فى معنى الفاعل. أى: الموالى، وفى معنى المفعول. أى: الموالى. قال الطبرسى فى مجمع البيان، ذيل الآيه ٢٥٧ من سوره البقره: الولى، من الولى وهو القرب من غير فصل. وهو الذى يكون أولى بالغير من غيره وأحقّ بتدبيره. ومنه الوالى؛ لأنّه يلى القوم بالتدبير وبالأمر والنهى. ومنه المولى من فوق؛ لأنّه يلى أمر العبد بسد الخله. ويقول ابن فارس فى المقاييس أيضاً: ١٤١/٦: وكلّ من ولى أمر آخر فهو وليه.

المؤمنين أيضاً يبعث وإذن من الله تعالى. فتحصل أنّ ولايته على عليه السلام المذكوره فى الآيه تحمل نفس مفهوم الولايه الأصيلى ولازم ذلك أنّ الإمام يكون هو الأولى بالتصرّف بالمال والنفس والعرض والدين. (١)

تأويل أهل السنّه

إنّ أكثر علماء أهل السنّه يسلمون بأنّ آيه الولايه نازله فى شأن على عليه السلام ، حتّى أنّ الزمخشري فى تفسيره الكشاف يجيب عن الإشكال الوارد حول السبب فى استعمال كلمه بصيغه الجمع إذا كان المراد منها علياً عليه السلام وهو مفرد:

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعه؟ قلت: جىء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أنّ سجيّه المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغايه. (٢)

يقول الفخر الرازى فى تفسير الآيه:

تظاهرت الروايات على أنّ هذه الآيه نزلت فى حقّ على عليه السلام ، وأجمعوا على أنّ إيتاء الزكاه حال الركوع لم يكن إلّا فى حقّ على عليه السلام. (٣)

ونقل السيوطى فى الدر المنثور ذيل الآيه المذكوره، عدداً من الروايات التى تؤكّد جميعها أنّ الآيه المباركه نزلت فى على عليه السلام .

ثمّ إنّ أقصى ما سعى إليه علماء أهل السنّه هو محاوله توجيه الآيه بنحو ينسجم مع مبانيهم الفكرية والعقائديه، حيث قالوا: إنّ المراد من كلمه المحبّ، لا الأولى بالتصرّف والاختيار.

ص: ١٩٨

١- (١). راجع: امام شناسى، العلامه محمد الحسينى الطهرانى: ١٩٩/٥ - ٢٦٥؛ المراجعات: المراجعه ٣٨؛ مجموعه الآثار: ٢٦٨/٣ - ٢٨٩.

٢- (٢). الكشاف: ٥٠٥/١.

٣- (٣). التفسير الكبير: ٣٠/١٢.

لكن هذا التوجيه - إضافة إلى ما مرّ - لا ينسجم مع الحصر الوارد في الآيه؛ لأنّ معنى ذلك نفى وصف الحبّ عن غير الله تعالى ورسوله وعلى عليه السلام !

إمامه الإمام على عليه السلام في السنّه

هناك الكثير من الروايات الصادره عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في مصادر الفريقين تدلّ على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته من بعده صلى الله عليه و آله .

تكشف تلك الروايات عن مدى اهتمام النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بقضيه الإمامه، وأنّه صلى الله عليه و آله منذ السنوات الأولى للرساله المباركه كان مأموراً من قبل الباري تعالى في إبلاغ هذا الأمر الخطير للمسلمين، وكان صلى الله عليه و آله دائماً يستغل كل مناسبة لإبلاغه وإيصاله إلى مسامع الناس.

وبما أنّ استعراض كلّ تلك الروايات يحتاج إلى مصنّف خاصّ ولايسع المجال هنا للتعرّض إليها نحاول أن ندرس روايه واحده متصل بواقعه غدِير خم دراسه مفصله، ثمّ نلحقها ببعض الروايات:

حديث الغدير

حديث الغدير يتعلّق بحادثه وقعت في أواخر عمر النبي الأكرم صلى الله عليه و آله عند عودته من حجّه الأخير، في مكان يقال له: «غدِير خم» وهو مكان التي تشعب منه طرق الحجاج المدنيين والمصريين والعراقيين.

ولقد تعرّض المؤرخون وأصحاب الحديث لبيان واقعه الغدير ومجرياتها، حيث قالوا: أجمع رسول الله صلى الله عليه و آله ، الخروج إلى الحجّ في السنه العاشره من الهجره، فقدم معه خلق كثير لأداء مراسم الحجّ، تلك الحجّه التي سمّيت بحجّه الوداع، فلما قضى مناسكه وانصرف، راجعاً إلى المدينه، ومعه من كان من الجموع المذكوره، ووصل

إلى منطقته رابع على بعد ثلاثة أميال من الجحفة، (١) نزل جبرئيل الأمين في منطقته يقال لها: غدیر خم، وبقوله عن الله تعالى: يا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. ٢

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرد من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم، حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، نودى بالصلاه، صلاه الظهر، فصلى بالناس جماعه، وكان يوماً شديداً الحراره، فلما انصرف من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل التى صنعت له، وأسمع الجميع رافعاً عقيرته، فقال:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد أيها الناس، ألا وإنّى أوشك أن أفارقكم وإنّى مسؤول وإنكم مسؤولون فما أنتم قائلون؟

فقام من كلّ ناحيه مجيب يقولون: نشهد أنّك عبد الله ورسوله وأنك قد بلغت رسالاته وجاهدت فى سبيله وصدعت فجزاك الله خير ما جازى نبياً عن أمته.

قال: أستم تشهدون أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّه حقّ والنار حقّ والبعث بعد الموت حقّ؟

قالوا: بلى.

قال: فإنّى فرط على الحوض، فانظرونى كيف تخلفونى فى الثقلين.

فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر، كتاب الله، والآخر الأصغر، عترتى، وإنّ اللطيف الخبير

ص: ٢٠٠

تَبَأَى أَنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَلَا تَقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلَى فَرَفَعَهَا، حَتَّى رَأَى بِيَاضَ آبَاطِهِمَا، وَعَرَفَهُ الْقَوْمَ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟

فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ. فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، وَأَحَبَّ مِنْ أَحَبَّهِ وَأَبْغَضَ مِنْ أَبْغَضَهُ، وَانصَرَ مِنْ نَصَرَهُ، وَاخْتَلَى مِنْ خَذَلَهُ، وَأَدْرَ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ.

دراسة سند الحديث

حديث الغدير من الأحاديث المعروفة لدى المسلمين وقد نقله كل من الفريقين بطرق وأساليب متعددة واذعنوا بتواتره، كذلك بحثه بصورة مستقلة - فضلاً عن علماء الشيعة - كثير من كبار علماء أهل السنة، كأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠هـ ق) وأبي العباس أحمد بن أحمد بن سعيد الهمداني (المتوفى ٣٣٣هـ ق) وأبي بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمي البغدادي (المتوفى ٣٥٥هـ ق) وغيرهم. (١)

ولكى يتضح مدى اهتمام التابعين وتابعى التابعين والعلماء والفقهاء، بنقل هذا الحديث وضبط أسانيده، نشير هنا إلى عدد رواياته من أهل السنة في كل قرن بصورة مختصرة ونحيل التفصيل فيه إلى الموسوعات التي صُنِّفت في هذا المجال. فالذين نقلوا الحديث هم:

١. مئة وعشره من الصحابة.

ص: ٢٠١

١- (١). ذكر العلامة الأميني في كتاب موسوعه الغدير: ١٥٢/١ - ١٥٧ أسماء الذين صنّفوا في الغدير مع بيان خصوصيات تلك المصنّفات.

٢. أربعة وثمانون من التابعين.

٣. ستة وخمسون عالماً من علماء القرن الثاني.

٤. اثنان وتسعون من علماء القرن الثالث.

٥. ثلاثة وأربعون من علماء القرن الرابع.

٦. أربعة وعشرون من علماء القرن الخامس.

٧. عشرون من علماء القرن السادس.

٨. عشرون من علماء القرن السابع.

٩. تسعة عشر عالماً من علماء القرن الثامن.

١٠. ستة عشر عالماً من علماء القرن التاسع.

١١. أربعة عشر عالماً من علماء القرن العاشر.

١٢. اثنا عشر عالماً من علماء القرن الحادي عشر.

١٣. ثلاثة عشر عالماً من علماء القرن الثاني عشر.

١٤. اثنا عشر عالماً من علماء القرن الثالث عشر.

١٥. تسعة عشر عالماً من علماء القرن الرابع عشر.

ونقله من المحدثين الكبار، أحمد بن حنبل الشيباني بأربعين سنداً، ابن حجر العسقلاني بخسمة وعشرين سنداً، الجزرى الشافعى بثمانين سنداً، أبو سعيد السجستاني بمئة وعشرين سنداً، أمير محمد اليمنى بأربعين سنداً، النسائي بمئتين وخمسين سنداً، أبو العلاء الهمداني بمئة سند، وأبو العرفان حبان بثلاثين سنداً. (١)

ص: ٢٠٢

١- (١). اعتمدنا فى الإحصائيات المذكورة على المجامد الأول من كتاب الغدير للعلامة الأمينى (المتوفى ١٣٩٠ هـ ق) ولعلماء الشيعة مصنفات كثيرة فى حديث الغدير سنده ودلالته، بالإضافة إلى موسوعه الغدير المعروفه، منها: غاية المرام، تأليف العلامة السيد هاشم البحرانى (المتوفى ١١٠٧ هـ ق) وعبقات الانوار، تأليف السيد مير حامد حسين الهندى (المتوفى ١٣٠٦ هـ ق).

أُتضح من خلال ما ذكرنا أنّ واقعه الغدير وخطبه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم من مسلمات التاريخ الإسلامي التي لا يمكن التشكيك فيها ومن شكك فيها فلا بد أن يشكك في كلّ الوقائع التاريخيه الأخرى.

دلاله حديث الغدير

النقطه المحوريه في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

المقصود من المولى في هذا الحديث الشريف - ومن خلال القرائن الكثيره الحافه به - هو الأولى بالتصرف. فيكون الحديث دالاً على أنّ علياً عليه السلام ولي المؤمنين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأنّه أولى بهم من أنفسهم. ومن هذه القرائن:

١. قوله صلى الله عليه وآله في بدايه الحديث: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» وبعد أن أخذ الإقرار منهم أردفها بقوله: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه»، فالتنسيق بين العبارتين يوجب اتحاد المعنى المقصود من «المولى» فيهما وهو «الأولى بالتصرف».

٢. ختم النبي صلى الله عليه وآله خطبته بقوله: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» وهذا الدعاء يكشف عن عظمه المنصب الذي تسنمه وحظى به على عليه السلام وليس هو إلّا مقام الزعامه والولايه.

٣. أخذ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الناس الإقرار بالشهاده، ثمّ أورد بعده عباره «من كنت مولاه» في سياق الشهاده بوحديته الله ورساله النبي صلى الله عليه وآله. ولا يصحّ السياق كاملاً إلّا إذا كان المبيّن في هذه عباره يحمل نفس القيمه التي تحملها المفردات السابقه عليها.

٤. بعد أن أنهى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كلامه وقبل أن يتفرق المسلمون نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... عندها قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :

«الله أكبر على إكمال الدين واتمام النعمه ورضا الرب برسالتى والولايه

لعلى من بعدى». فهل يمكن أن تتصوّر شيئاً يكمل الدين به وتتم به النعم، ويكون قريناً لرساله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، غير إمامه أمير المؤمنين عليه السلام؟

وهناك قرائن أخرى تدلّ على عظمه وأهميته القضية التي أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بتبليغها إلى الناس. (١)

إطلاله على روايات أخرى

١. لما نزل قوله تعالى: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**. ٢

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصنع له طعام، وجمع بنى عبد المطلب، فقال لهم:

أَيْكُمْ يوازرنى ويعيننى فيكون أخى وخليفتى ووصيى من بعدى؟

فاحجم القوم، فقال على عليه السلام:

أنا أبايعك وأوازرك.

فقال صلى الله عليه وآله:

هذا أخى ووصيى وخليفتى من بعدى ووارثى فاسمعوا له وأطيعوا. (٢)

٢. لما هاجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى المدينة، آخى بين الصحابه ولم يتخلف سوى على عليه السلام فقال: يارسول الله آخيت بين الصحابه دونى.

فقال له صلى الله عليه وآله: ألم ترض أن تكون أخى وخليفتى من بعدى؟ وآخى بينه وبينه.

٣. هناك الكثير من الروايات التي تؤكد أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله طلب من الصحابه التسليم على على عليه السلام بإمره المؤمنين:

سَلِّمُوا عَلَى عَلَى بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ (٣)

ص: ٢٠٤

١- (١). لمزيد الاطلاع على هذه القرائن راجع: الغدير: ٣٧٠/١ - ٣٨٣.

٢- (٣). راجع: العمده لابن بطريق: ١٢١ - ١٢٢ و ١٣٣ - ١٣٤؛ غايه المرام: ٣٢٠؛ شواهد التنزيل: ٤٢٠/١؛ الغدير: ٢٧٨/٢ - ٢٧٩.

٣- (٤). الكافي: ٢٩٢/١، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين ٢٩٢.

٤. ورد في روايات كثيرة أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله خاطب علياً عليه السلام بقوله:

أنت سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. (١)

خاطبه صلى الله عليه وآله بقوله:

هذا ولي كلّ مؤمن ومؤمنة. (٢)

٥. نقل متواتراً عن طريق الفريقين أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله خاطب علياً عليه السلام بقوله:

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي. (٣)

وهذا يعني أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد اعتبر منزله عليّ عليه السلام منه على غرار منزله هارون من موسى (عليها السلام)، بما فيها الوصية والخلافه، ولم يستثن من منازل ومراتب هارون من موسى إلا النبوه.

إمامه سائر الأئمة (عليهم السلام)

بين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإمامه سائر الأئمة بعبارات شتى، ويمكن تصنيف الروايات الواردة عنه صلى الله عليه وآله في هذا المجال إلى ستّ طوائف:

١. جاء في الطائفة الأولى عناوين من قبيل: أهل البيت، العتره، الذريه، وذى القربى. كذلك بينت الصفات الكليه للأئمة من ولد فاطمه الزهراء (عليها السلام) المؤهلين لهذا المنصب الإلهي. والروايات في هذا الصدد كثيره نقلتها كتب الصحاح والجوامع الحديثيه لأهل السنّه، وكذلك ذكرت بالتفصيل في المصادر الشيعيه مثل: عبقات الأنوار، الغدير، المراجعات، وإحقاق الحقّ.

٢. الطائفة الثانيه التي تعرّضت للحديث عن انتقال الإمامه إلى الإمام الحسن عليه السلام

ص: ٢٠٥

١- (١). العمده: ٢١٥ - ٢٢٣؛ الغدير: ١١٢/٣ - ١٢٤.

٢- (٢). راجع: مناقب المغازلي: ٦٥ - ٦٦.

٣- (٣). العمده: ١٧٣ - ١٨٥؛ مسند أحمد: ٣٢/٣؛ الغدير: ٥١/١ و ١٩٧/٣ - ٢٠١.

والإمام الحسين عليه السلام . وقد ذكر صاحب كتاب إحقاق الحقّ قسماً من تلك الروايات في المجلد التاسع عشر من الكتاب.

٣. الطائفة الثالثة، وهي التي حصرت عدد الأئمة في اثني عشر إماماً دون التعرّض لذكر أسمائهم بصراحة. وقد تجاوز عددها مئة وثلاثين روايه بالاضافه إلى أربعين روايه في نفس المضمون، حيث بيّنت أنّ الأئمة وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعدد نقباء بني إسرائيل. (١)

٤. الطائفة الرابعة، هي الطائفة التي تعرّضت - في ضمن بيان عدد الأئمة - للإشارة إلى ذكر اسم أولهم وآخرهم. وذكر في أربع وتسعين روايه اخرى ذكر آخرهم (عليهم السلام) فقط. (٢)

٥. الطائفة الخامسة، جاء في ١٣٩ روايه، إنّ عدد الأئمة اثنا عشر إماماً مصرحه بأنّ تسعه منهم من ذريه الإمام الحسين عليه السلام . وفي مئة وسبع روايات ذكر اسم آخرهم (عليهم السلام). (٣)

٦. الطائفة السادسة التي تعرّضت لذكر أسمائهم (عليهم السلام) بنحو مفصل، مجموع تلك الروايات خمسون روايه. نشير إلى واحده منها كنموذج:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ٤

عرفنا الله ورسوله فمن أولى الأمر؟ قال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدى أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ الحسن، ثمّ الحسين ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن علي المعروف في التوراه بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي

ص: ٢٠٦

١- (١). راجع: منتخب الأثر، لطف الله الصافي: ١٠ - ٥٨.

٢- (٢). المصدر: ٥٨ - ٦٤.

٣- (٣). المصدر: ٦٥ - ٩٦.

بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمى وكبى حجه الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبه لا يثبت على القول في إمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان. (١)

الأئمة الاثنا عشر في روايات أهل السنه

من المناسب هنا الإشارة إلى بعض الروايات التي وردت في كتب أهل السنه المعتمده والتي تعرضت للحديث عن خلفاء النبي الأئمة الاثني عشر:

١. أخرج البخارى، عن جابر بن سمره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمه لم أسمعها، فقال أبى: إنه قال: كلهم من قريش. (٢)

٢. روى مسلم عن، جابر بن سمره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفه، ثم قال كلمه لم أفهمها، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. (٣)

٣. وروى مسلم، عن جابر بن سمره، قال: دخلت مع أبى على النبي صلى الله عليه وآله فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفه، ثم تكلم بكلام خفى على قال: فقلت لأبى ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش. (٤) وروى مسلم، عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعه أو يكون عليكم اثنا عشر خليفه كلهم من قريش. (٥)

ص: ٢٠٧

١- (١). منتخب الأثر: ١٠١.

٢- (٢). صحيح البخارى: ٨١/٩.

٣- (٣). صحيح مسلم: ٣/٦.

٤- (٤). المصدر.

٥- (٥). المصدر، لمزيد الاطلاع راجع: مسند أحمد: ٨٩، ٨٦/٥، ٩٧، ١٠٧؛ منتخب الأثر: ١٦؛ ينابيع الموده: ٤٤٦.

١. لم يتعرّض القرآن الكريم للتنقيص على شخص معين في قضية الإمامه. ولعلّ الهدف من وراء اعتماد هذا الأسلوب هو صيانته القرآن الكريم من التحريف، لكن هناك كليات وردت في آيات متعدده وبصور مختلفه في خصوص إمامه الإمام على عليه السلام قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بتبيينها وتفسيرها بصراحه لا لبس فيها، بحيث لم يبق مجال للترديد والإبهام.
٢. أكّدت الأحاديث الكثيره المنقوله عن الفريقين الشيعه والسنة، أنّ الآية الخامسة والخمسين من سوره المائده نزلت في شأن الإمام على عليه السلام .
٣. المعنى الأصلي لكلمه «الولى» القرب بين الشيئين بدون فاصله، وأنّ استعمال الكلمه في موارد من قبيل الصّيداقه والنصره والاعتقاد، تولى الأمر، منطلق من هذه الحثيه أيضاً.
٤. القرب نوعان، مادي ومعنوي، ومن الواضح جداً أنّ المراد من القرب في الآية هو القرب المعنوي لا المادي. ولازم هذا القرب المعنوي، نيابه الولي في جميع شؤون المولى عليه القابله للنيابه.
٥. ورد في صدر آيه الولاية، ولايه الله ورسوله، ويعد هذا قرينه اخرى على أنّ الولي في الآية يراد به نفس المعنى الأصلي، ولازمه أولويه التصرف في الأنفس والأموال والأعراض والدين.
٦. إنّ أكثر علماء أهل السنة يسلمون بأنّ آيه الولاية نازله في شأن على عليه السلام ، لكنهم قالوا: إنّ المراد من كلمه «الولى» المحبّ، لا الأولى بالتصرف والاختيار، لكن هذا التوجيه لا ينسجم مع الحصر الوارد في الآية؛ لأنّ معنى ذلك نفى وصف الحبّ عن غير الله تعالى ورسوله وعلى عليه السلام !

٧. ورد في حديث الغدير المتواتر لدى الفريقين أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم. فمن كنت مولاه فعلى مولاه.

٨. هناك قرائن كثيرة تدلّ على أنّ المراد من الولي «هو الأولى بالتصرّف». فيكون الحديث دالّاً على أنّ علياً عليه السلام ولي المؤمنين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وإِنَّه أولى بهم من أنفسهم. منها: قوله صلى الله عليه وآله في بدايه الحديث: أَلست أولى بكم من أنفسكم؟ وبعد أن أخذ الإقرار منهم أردفها بالدعاء لعلي وهو يكشف عن عظمه المنصب الذي تسنمه على عليه السلام، وكذلك مجيء عبارته: «من كنت مولاه» في سياق الشهاده بوحدانيه الله ورساله النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ نزول جبرئيل عليه السلام بآيه إكمال الدين واطمام النعمه.

ص: ٢٠٩

كما مرّ سابقاً، هناك روايات كثيره تدلّ على أنّ عدد الأئمه الذين يتناوبون على خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله ويحملون لواء الهدايه للبشريه، اثنا عشر إماماً، تصدّى منهم بالفعل أحد عشر إماماً وأدوا وظيفتهم الإلهيه فى الدفاع عن الدين وقيمه فى أحلك الظروف وأصعب المواقف التى خلقها الطواغيت وسلاطين الجور، حتّى رحلوا(عليهم السلام) إلى الرفيق الأعلى شهداء فى سبيل الدين والعقيده.

بعد شهاده الإمام الحادى عشر(سنه ٢٦٠هـ) بدأت إمامه الامام الثانى عشر من الأئمه المعصومين(عليهم السلام)، الحجّه المهدي(عج) ومازالت مستمرّه حتّى هذه اللحظه وستستمر إلى ما شاء الله تعالى الأمر الذى يقتضى التركيز على إمامته(عج) وتوضيح الكثير من الحقائق ذات الصله بإمامته.

ولد الإمام المهدي وحجّه الله فى النصف فى شعبان سنه ٢٥٥هـ فى مدينه سامراء. اسمه «م ح م د» وكنيته كنيه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أبوالقاسم .(١)

ص: ٢١١

١- (١). وقع الاختلاف بين علماء الشيعة فى بيان الراويات الناهيه عن ذكر اسمه(عج) فذهب فريق منهم إلى كون المنع سياسياً يتعلّق بعصر الغيبه الصغرى فقط، وهناك فريق آخر من العلماء ذهب إلى أنّ المنع يشمل جميع الأعصار ولا يختصّ بالغيبه الصغرى فقط.(للاطلاع على تلك الآراء راجع: النجم الثاقب: الباب ٢/٤٨٠٤٩).

من ألقابه (عج) الحجّ، القائم، ولي العصر، الخلف الصالح، صاحب الزمان، بقيه الله، وأشهرها المهدي.

للإمام المهدي (عج) غيبتان: صغرى وكبرى، بدأت الغيبة الصغرى منذ ولادته عليه السلام وانتهت سنة ٣٢٩هـ ق، بعدها بدأت الغيبة الكبرى منذ ذلك العام ومازالت مستمرّة حتّى يأذن الله تعالى بظهوره (عج).

البشارات بظهوره (عج) في الأحاديث النبويه

وردت في مصادر الفريقين - الشيعة والسنة - روايات متواتره عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مفادها أنّه صلى الله عليه وآله بشر بظهور مصلح في آخر الزمان اسمه المهدي يزيح الجهل عن كاهل البشريه ويبسط مكانهما العلم والعدل، ويمكن الأمر لحكومته الدين في الأرض وإن كره المشركون.

من تلك الروايات:

لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ أَنْ مُلِّتْ ظُلْمًا وَجورًا. (١)

ونظراً لأهمّيه الإحصاءات والأرقام نرى من الضروره الإشاره إلى عدد الروايات الوارده في خصوص الإمام المهدي (عج) من طرق الفريقين: وما نحن نأتى في المقام بفهرس الروايات التي رواها السنة والشيعة، فنقول:

١. الروايات التي تبشّر بظهوره (٦٥٧) روايه.

٢. الروايات التي تصفه بأنّه من أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (٣٨٩) روايه.

٣. الروايات التي تدلّ على أنّه من أولاد الإمام علي عليه السلام (٢١٤) روايه.

٤. الروايات التي تدلّ على أنّه من أولاد فاطمه (عليها السلام) بنت النبي (١٩٢) روايه.

ص: ٢١٢

٥. الروايات التي تدلّ على أنّه التاسع من أولاد الحسين عليه السلام (١٤٨) روايه.
٦. الروايات التي تدلّ على أنّه من أولاد الإمام زين العابدين عليه السلام (١٨٥) روايه.
٧. الروايات التي تدلّ على أنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام (١٤٦) روايه.
٨. الروايات التي تدلّ على أنّه يملأ العالم قسطاً وعدلاً (١٣٢) روايه.
٩. الروايات التي تدلّ على أنّ للإمام المهدي غيبه طويله (٩١) روايه.
١٠. الروايات التي تدلّ على أنّه يعمر عمراً طويلاً (٣١٨) روايه.
١١. الروايات التي تدلّ على أنّه الإمام الثاني عشر من أئمه أهل البيت (١٣٦) روايه. (١)

الإمام المهدي عند أهل السنّه

لقد كان تواتر روايات الإمام المهدي (عج) بحدّ من الوضوح حتّى صرح الكثير من علماء أهل السنّه به، منهم:

العلاّمه الشوكاني في التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ ق) في البيان في اخبار صاحب الزمان، الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ ق) في فتح الباري. (٢)

من هنا لا يعتبر الاعتقاد بظهور الإمام المهدي (عج) من مختصّات الفكر الشيعي، بل هو من معتقدات عموم أهل السنّه أيضاً مع فارق واحد هو أنّ الكثير منهم لا يعتقدون بولادته فعلاً.

حتّى الوهابيه التي لا يخفي عداؤها للشيعه على أحد لم تستطع إنكار هذه الحقيقه. فقد جاء في البيان الصادر عن رابطه العالم الإسلامي عام ١٩٧٦م : (٣)

ص: ٢١٣

١- (١) . نقلاً عن الألهيات للشيخ السبحاني: ١٣٣/٤ - ١٣٤.

٢- (٢) . لمزيد التحقيق راجع: آيه الله صافي، نويد أمن وأمان، فقد توصل في تحقيقه إلى أنّ سبعة عشر عالماً من كبار علماء أهل السنّه صرحوا بتواتر الأحاديث الواردة في خصوص الإمام المهدي (عج).

٣- (٣) . تعدّ رابطه العالم الإسلامي من أكبر مراكز الوهابيه ومقرّها في مكّه المكرمه. وقد أصدرت البيان المذكور رداً على سؤال حول ظهور الإمام مذيّل بتوقيع من المدير العام.

حينما يظهر الفساد فى العالم وينتشر الكفر والظلم، يملأ الله الأرض بواسطته (المهدى) عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً، وهو آخر الخلفاء الراشدين الاثنى عشر الذين أخبر النبي الأكرم عنهم فى الصحاح. والأخبار الواردة عن المهدي كثيرة جداً رواها الكثير من الصحابه منهم: عثمان بن عفان، على بن أبى طالب، طلحه بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف ... (١).

كذلك هناك الكثير من العلماء من غير الشيعة صنفوا كتباً مستقلة حول ظهور الإمام المهدي، منهم: أبو نعيم، أخبار المهدي؛ ابن حجر الهيتمي، القول المختصر فى علامات المهدي المنتظر وإدريس عراقى المغربى، المهدي.

سز غيبه الإمام المهدي(عج)

لاكتشاف هذا السرّ لا بدّ من أن نلقى إطلاله على تاريخ الأئمه الأطهار بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بايع أكثر الناس الخليفه الأوّل أبا بكر، ثمّ عمر، ومن بعدهما بايعوا عثمان كخليفه ثالث للمسلمين. وفى عصره ضج الناس من الظلم الحكومى وعدم كفاءه المتصدّين لإداره شؤون الدوله فثاروا ضد عثمان، الأمر الذى انجر إلى قتله. بعدها بايع الناس الإمام علياً عليه السلام، لكن لم يسمح للإمام التصدّي للحكومه أكثر من أربع سنوات وعدّه أشهر تخللتها ثلاث حروب كبرى تصدّى فيها لأصحاب الجمل فى معركة الجمل، ومعاويه فى صفين، والخوارج فى النهروان، حتّى استشهد عليه السلام على يد أحد الخوارج. بعد ذلك استشهد الإمام الحسن عليه السلام مسموماً على يد معاويه، وبعد شهادته نصب معاويه ابنه يزيد المعروف بتعاطيه الخمر وانتهاك حرمة الشريعه، حاكماً على المسلمين.

وهكذا أخذ المجتمع الإسلامى ينحرف رويداً رويداً عن سنه النبي الأكرم صلى الله عليه و آله ويتجه بالاتجاه الذى ليس فيه للإسلام اسم ولا رسم. من هنا انتفض الإمام الحسين عليه السلام

ص: ٢١٤

١- (١). ذكر فى هذا القسم أسماء عشرين من صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله، لم نذكرهم روماً للاختصار (سيره بيشوايان، مهدي بيشوايى: ٧٠١ - ٧٠٣).

بوجه هذا الوضع المتردى فقدم نفسه الزكيه شهيداً فى سبيل الدين هو واثنان وسبعون من أهله وأنصاره رضوان الله عليهم، فاستطاع بهذا الشهاده أن يعيد للأمة كرامتها ويجعلها تعود إلى رشدها، واستطاع أن يحفظ الإسلام من خطر الاندثار، لكن الشروط الاجتماعيه لم تكن متوفره لإقامه حكومه إسلاميه. من هنا نرى سائر الأئمه انتهجوا منهجاً فكرياً ثقافياً فقاموا بتربيته وتعليمه وتهذيب الكثير من النفوس المستعده، وقاموا بنشر المعارف والأحكام الإسلاميه الحقه، فى نفس الوقت كانوا يسعون - بالمقدار الذى تسمح به الظروف - إلى حث الناس على الثوره والقيام ضد الطواغيت وزرع الأمل فى نفوس الناس بإقامه الحكومه الإلهيه وكان مصيرهم (عليهم السلام) الشهاده واحداً تلو الآخر.

وكانت ثمره قرنين ونصف من السعى الجاد والحثيث لهؤلاء القاده الإلهيين انتشار المعارف والأحكام الدينيه فى المجتمع الإسلامى وتجاوز الإسلام مرحله خطوره الاندثار والزوال.

لكن الذى أربع السلطه فى ذلك الوقت أكثر من كل شىء، الوعد بظهور الإمام المهدي (عج)، ذلك الموعد الذى بظهوره يعم العدل والقسط فى رباع المعموره وتقلع جذور الظلم والطغيان. من هنا نرى الحكام المعاصرين للإمام الحسن العسكري عليه السلام وضعوا الإمام تحت الرقابه الشديده يرصدون ولاده ابنه الموعد ليقتلوه.

لقد أشرقت الأرض بنور الإمام وشاء الله تعالى أن يصونه من كيد الأعداء ليدخره من أجل نجاه البشريه. ولهذا بقى أمره فى طي الكتمان حتى أنه لم يعلم بولادته من أصحاب الإمام العسكري طيله السنوات الخمس التى قضاها مع أبيه إلا بعض الشيعه. وبعد وفاه الإمام العسكري (عج) كان الواسطه بينه وبين عامه الناس نوابه الخاصين (عثمان بن سعيد العمري، محمّد بن عثمان بن سعيد، الحسين بن روح النوبختي، وعلى بن محمّد السمرى) بعدها بدأت مرحله الغيبه الكبرى إلى اليوم الذى تتأهل البشريه لقبول حكومه العدل الإلهيه العالميه فيظهر بأمر الله تعالى.

انطلاقاً من هذا يمكن معرفه السر الأساس وراء غيبته حفظ حياته من شرّ الظالمين؛ لأجل تحقيق أهداف الإسلام وقيمه العاليه.

وهذا ما أشارت إليه الروايات أيضاً، روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

إِنَّ لِلْغُلَامِ غَيْبَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ. قَالَ: قَلْتُ وَلِمَ؟ قَالَ: يَخَافُ. (١) بطبيعته الحال هناك حكم آخر وراء غيبه الإمام (عج)، كما أشارت إلى ذلك الروايات، منها اختبار الأمه وتمحيصها، فقد روى عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله وعليكم في أديانكم لا يزيلكم أحد عنها يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا بُدَّ إِنَّهُ لَا بَدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْبِهِ حَتَّى يَرْجِعَ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ كَانَ يَقُولُ بِهِ، إِنَّمَا هِيَ مَحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ امْتَحَنَ بِهَا خَلْقَهُ. (٢)(٣)

فوائد وجود الإمام في عصر الغيبه

كما مر سابقاً أنّ الروايات الكثيره الوارده عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمه الأطهار (عليهم السلام) أشارت إلى غيبه الإمام، فوفرت الأرضيه لإثاره السؤال التالي: ما الفائده من وجود الإمام في عصر الغيبه؟ نشير هنا إلى نموذج من الإجابات الصادره عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمه الهدى (عليهم السلام) في هذا المجال:

عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم (عج) في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوه إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب. (٤)

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

ص: ٢١٦

١- (١). الكافي: ٣٣٧/١؛ منتخب الأثر: ٢٦٩.

٢- (٢). الكافي: ٣٣٧/١؛ بحار الأنوار: ١٥٠/٥١.

٣- (٣). راجع: تعليم العقائد: ٢٠٨/٢ - ٢١٠.

٤- (٤). بحار الأنوار: ٩٣/٥٢، ٢٥٠/٣٦.

لم تَخُلْ الأرض منذ خلق الله آدمَ من حَجِّهِ لَلَّهِ فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تَخْلُو إلى أن تقوم السَّاعَةُ من حَجِّهِ لَلَّهِ فيها، ولولا ذلك لم يُعْبَدِ اللهُ. قال الرواي: فقلتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام: فكيف ينتفعُ الناسُ بِالْحَجِّهِ الغَائِبِ المستور؟ قال: كما ينتفعُونَ بِالشَّمْسِ إذا سترَهَا السَّحَابُ. (١)

وهذا التشبيه الوارد في روايات اخرى أيضاً واضح جداً. فالشمس وراء السحاب لا ترى لكنَّها موجوده، تمنح الأرض الدفء والنور، وهما عنصران أساسيان في حياه النباتات والحيوانات. هكذا الإمام المهدي (عج) موجود في عصر الغيبه يحيا كسائر الناس ويعيش في أوساطنا لكننا لانراه، معنا لكننا غافلون عنه ولوجوده بركات جمه وفيوضات عظيمه.

فقد شبه الإمام في روايات كثيره عن المعصومين (عليهم السلام) بأنَّه قلب العالم وأنَّ قطب الرجا ومركز العالم، ومن دونه لا تبقى السماوات والأرض.

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت. (٢)

وعن الإمام زين العابدين:

نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض، إلَّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمه ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها. (٣)

كذلك هناك الكثير من الناس - وإن كانوا مجهولين - التقوا بالإمام في زمن الغيبه ففضى لهم الإمام حاجاتهم الماديه والمعنويه.

أضف إلى ذلك أنَّ نفس وجوده المبارك يبعث على الشعور بالأمن والاستقرار

ص: ٢١٧

١- (١). المصدر: ٩٢/٥٢.

٢- (٢). الكافي: ١٧٩/١.

٣- (٣). الأمالي: ١١٢/المجلس ٣٥. إكمال الدين: ٢٠٧/الباب ٢١، الحديث ٢٢.

والحيويه لدى المؤمنين، ويعدّ عاملاً فاعلاً في تحريك الناس نحو الإعداد الروحي والاستعداد لاستقباله عليه السلام .

خلاصه البحث

١. ولد الإمام المهدي (عج) سنة ٢٥٥هـ وبدأت إمامته عام ٢٦٠هـ ومازالت مستمرّه.
٢. بدأت الغيبه الكبرى من حين ولادته عليه السلام وانتهت عام ٣٢٩هـ ، حيث شرعت الغيبه الكبرى التي مازالت مستمرّه حتّى يأذن الله تعالى بظهوره.
٣. تواتر الروايات في مصادر الفريقين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأنه سيظهر مصلح في آخر الزمان اسمه المهدي يزيح الجهل عن كاهل البشرية ويسيطر مكانهما العلم والعدل، ويمكن الأمر لحكومته الدين في الأرض وإن كره المشركون.
٤. كان تواتر روايات الإمام المهدي (عج) بحد من الوضوح حتّى صرح الكثير من علماء أهل السنّه به. من هنا نرى عموم أهل السنّه يعتقدون بظهور المهدي (عج).
٥. السرّ الأساسي وراء غيبته حفظ حياته من شرّ الظالمين. وهناك حكم آخر وراء غيبه الإمام (عج)، كما أشارت إلى ذلك الروايات، منها اختبار الأمه وتمحيصها في عقائدها.
٦. الإمام قلب العالم وقطب الرحا ومركز العالم، ومن دونه لا تبقى السماوات والأرض، بل تسيخ بأهلها. من هنا فإنّ لوجود الإمام فائده وإن كان غائباً وينتفعون به كارتفاع الشمس جللتها الغيوم.
٧. كذلك قام الإمام في زمن الغيبه بتلبيه حاجات الكثير من الناس الماديه والمعنويه. أضف إلى ذلك أنّ نفس وجوده المبارك يبعث على الشعور بالأمن والاستقرار والحيويه لدى المؤمنين.

إشاره

يعتبر المعاد (١) من الأصول الاعتقادية في الدين الإسلامي. ووفقاً لهذا الأصل، فإنّ جميع البشر الذين جاؤوا إلى هذه العالم ورحلوا عنه والذين سيأتون ويرحلون بعد مدّه، كلّهم سينشرون في عالم آخر ليقفوا أمام محكمة العدل الإلهي فينال المحسن ثوابه والمسيء عقابه، فذاك إلى الجنه وهذا إلى النار، وكلاهما يحيا حياه أبدية.

إنّ الإيمان بهذا الأصل يعدّ شرطاً أساسياً في تحقّق صفة المسلم، فمن أنكر هذا الأصل يخرج عن زمرة المسلمين.

ثمّ إذا استعرضنا تاريخ الأنبياء نجدهم - ابتداءً بآدم وانتهاء بالخاتم - كلّهم دعوا بعد التوحيد، إلى أصل المعاد وضروره الإيمان بالحياه الأخرويه.

الإيمان بالمعاد رديف الإيمان بالله

هناك الكثير من الآيات القرآنيه التي تحدّثت عن عالم ما بعد الموت، يوم القيامة،

ص: ٢٢١

١- (١). المعاد لغه: مصدر ميمي يستعمل اسم مكان وزمان وهو مشتقّ من ماده «عود» بمعنى الرجوع. وقد استعمل كلمه «معاد» في القرآن الكريم مرّه واحده في الآية ٨٥ من سوره القصص: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ويراد بالمعاد هنا مكّه. وقد استعمل المعاد هنا بمعناه اللغوي. وسيأتي الكلام عن المعاني الأخرى للمعاد في القرآن الكريم.

كيفية البعث والنشور، الميزان، الحساب وغير ذلك من الأبحاث ذات الصلة بعالم الآخرة. (١) وتكشف كثره الآيات القرآنية عن قيمته السامية لهذا المعتقد في الفكر الإسلامي ودوره في سعادته البشرية، من هنا نجد القرآن الكريم وفي أكثر من موضع يردف الإيمان بالله بالإيمان بالمعاد، كما في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. ٢

وقد وردت في بعض تلك الآيات الإشارة إلى، المصير الأسود لمنكرى المعاد، (٢) وفي طائفة أخرى منها إشارة إلى النعيم الخالد (٣) والعذاب الخالد. (٤) كذلك تعرض القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى العلاقة بين الأعمال الصالحة والنتائج الأخروية وبأساليب متنوعة، وأنّ المعاد أمر ممكن (٥) وواقعه ضروريه. (٦)

ص: ٢٢٢

١- (١). قام بعض الباحثين بإحصاء ما يرجع إلى المعاد في القرآن فبلغ زهاء ألفٍ وأربعمئة آية، وكان السيّد العلّامة الطباطبائي (رحمه الله) يقول: بأنّه ورد البحث عن المعاد في القرآن في آيات تربو على الألفى. (راجع: الإلهيات، جعفر السبحاني: ١٦٥/٤ - ١٦٦).

٢- (٣). راجع: الإسراء: ١٠؛ الفرقان: ١١؛ سبأ: ٨؛ المؤمنون: ٧٤.

٣- (٤). راجع: الرحمن: ٤٦ وما بعدها؛ الواقعة: ١٥ - ٣٨؛ الدهر: ١١ - ٢١.

٤- (٥). راجع: الحاقة: ٢٠ - ٢٧؛ الملك: ٦ - ١١؛ الواقعة: ٤٢ - ٥٦.

٥- (٦). راجع: الأحقاف: ٣٣؛ الإسراء: ٤٩ - ٥٠.

٦- (٧). الحج: ٦ - ٧.

أشار القرآن الكريم وفي آيات كثيره منها إلى الأدله والبراهين الداله على ضروره المعاد. للاطلاع على تلك الأدله نشير إلى بعضها بصوره مختصره:

١- صيانه الخلقه من العبث

لا-ريب أنّ الحياه الدنيويه لا تمثّل الهدف النهائي من وراء خلق الإنسان؛ وذلك لأنّ الحياه الدنيويه حياه مؤقتة والحياه المؤقتة قصيره من جهه ومليئه بالآلام والمحن وفي نهايه المطاف الموت والعدم، من هنا لو انتفى المعاد، حينئذٍ تنحصر حياه الإنسان بالحياه الدنيويه فتحوّل إلى حاله عبثه لا طائل من ورائها ولا غايه تنشدها: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.

١

٢- المعاد مقتضى العدل الإلهي

يعيش المحسنون والمفسدون في هذه الدنيا - غالباً - في محيط واحد وأنهم

يوضعون في صف واحد بالنسبة للاستفادة من النعم الدنيوية، بل قد ينعم المفسدون بصورة أكثر ويعيش المحسنون الحرمان والعوز. من هنا يقتضى العدل الإلهي أن يفصل بين الفريقين لينال كلّ منهم جزاء أعماله، وبما أنّ هذا الأمر لا يتحقّق في الحياه الدنيا فلا بد من وجود عالم آخر يتحقّق فيه ذلك الأمر: **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.** ١

٣- المعاد مقتضى الرحمة الإلهية

اتصف الله تعالى بالرحمة التي لا حد لها ولانهاية، وهذه الرحمة الواسعة تقتضى عدم انقطاع فيضه سبحانه بمجرد موت الإنسان، بل لا بد أن يبقى فيضه لينهل منه الصالحون والمؤمنون: **... كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ... ٢**

أهداف وشبهات منكرو المعاد

يسعى الإنسان في هذه الدنيا - غالباً - ليعيش حاله التحلل والتحرر من القيود والإلزامات ليطلق العنان لسمعه ولسانه وبصره و...، ومن جهة اخرى نرى الاعتقاد بالمعاد والحضور أمام محكمه العدل الإلهي والمحاسبه على ما اقترفه من أعمال يوصد الطريق أمامه ويكبله بقيود كثيرة ويقيّد أعماله وحركاته بضوابط لا يحقّ له تجاوزها. من هنا نرى الناس يرفضون الإذعان لعقيدته المعاد التي أخبر بها الأنبياء: (١)

ص: ٢٢٤

١- (٣). راجع: الأستاذ جوادى آملی، ده مقاله پیرامون المبدأ والمعاد عشر مقالات حول المبدأ والمعاد: ٣١٣ - ٣١٥.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ* بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ . ١

إنّ اتباع الهوى والشهوات يوفر الأرضيه المناسبه، لإنكار المعاد واستبعاد وقوعه فى أذهان المبطلين وعدم الإيمان به متذرعين بذرائع مختلفه. وعندما نستعرض آيات الذكر الحكيم نراها قد أشارت إلى تلك الحجج والذرائع والأسباب المدعاه لمقاومه فكره المعاد بصور مختلفه، منها:

١. إنه لا- دليل على وقوع المعاد: وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَهُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَهُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُشْتَقِقِينَ. ٢

٢. عقيدته المعاد من أساطير الأولين: قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. ٣

٣. إنه تقول على الله والجنون: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ.... ٤

٤. المعاد وحشر الموتى سحر مبین: ...وَلَيْسَ قُلْتِ إِنْكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ. ٥

٥. الطلب بإعادة آباءهم، لو كان المعاد حقاً اعيدوا آباءنا إن كنتم صادقين: وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ٦

٦. إحياء الموتى أمر شديد الصعوبه. ١

٧. إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ: ... قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . ٢

٨. إن انتشار ذرات بدن الإنسان البالى يوجب اختلاط تلك الذرات، فكيف يمكن تمييز بعضها عن بعض. ٣

خلاصه البحث

١. أصل المعاد يحكى بأنّ الناس سينتقلون إلى عالم آخر غير عالم الدنيا، لينال المحسن ثوابه والمسيء عقابه فى حياه خالده سرمديه.

٢. ورد فى آيات كثيره من الذكر الحكيم اقتران الاعتقاد بالله تعالى بالاعتقاد بالمعاد، وهذا يكشف عن المنزله الرفيعه للمعاد فى الفكر الإسلامى.

٣. انتفاء المعاد يعنى عبثه خلقه الإنسان وانعدام الهدف من ورائها؛ لأنّ الحياه الدنيا لايمكن أن تكون هى الهدف النهائى من خلقه الإنسان.

٤. يقتضى العدل الإلهى أن يفصل بين المحسنين والمفسدين، لينال كلّ منهم جزاء أعماله. وبما أنّ هذا الأمر لايتحقّق فى الحياه الدنيا فلا بدّ من وجود عالم آخر يتحقّق فيه ذلك.

٥. الرحمه الإلهيه الواسعه تقتضى عدم انقطاع فيضه سبحانه بمجرد موت

ص: ٢٢٤

الإنسان، بل لا بدّ أن يستمرّ فيضه لينهل منه الصالحون والمؤمنون دائماً.

٦. لأنّ الاعتقاد بالمعاد يوصد الطريق أمام الانجرار وراء الشهوات والغرائز ويكبل الإنسان بقيود كثيرة. من هنا نرى الكثير من الناس يرفضون الإذعان لهذه العقيدة ليبقى طريق الشهوات مفتوحاً أمامهم.

٧. من الحجج التي تذرّع بها منكرو المعاد: ١. إنّه لا دليل على وقوع المعاد. ٢. عقيدة المعاد من أساطير الأولين. ٣. إنّه تقول على الله الجنون. ٤. المعاد وحشر الموتى سحر مبین. ٥. لو كان المعاد حقّاً اعيدوا آباءنا إن كنتم صادقين. ٦. إحياء الموتى أمر في غاية الصعوبة. ٧. إحياء الموتى فوق قدره الإلهيه. ٨. انتشار ذرات بدن الإنسان البالى يوجب اختلاطها فتغيب عن علم الله تعالى.

٨. جواب جميع تلك الشبهات يتمثل في كلمه واحده وهى أنّهم ما قدروا الله حقّ قدره.

ص: ٢٢٧

من القضايا التي تعم إثارته بين الناس ويكثر البحث عنها قضية الموت، فهل الموت يعني نهاية المطاف والانعدام المطلق أو هو يمثل انتقاله من حاله إلى حاله ورحله من عالم إلى آخر؟ هذا السؤال يعدّ التساؤل الأساسي من بين الأسئلة التي أثارها الإنسان على مرّ تاريخه، وسيبقى كذلك، حيث يبقى كلّ إنسان يبحث عن الإجابة الشافية عنه.

يعتبر الرجوع إلى القرآن الكريم أفضل طريق لتحصيل الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال. فقد استعمل القرآن للتعبير عن الموت مصطلح «التوفى» حيث ورد في كثير من آيات الذكر الحكيم التعبير عن الموت بالتوفى. (١) والتوفى لغة يعني أخذ الشيء كاملاً. فإذا أخذ شخص شيئاً ما كاملاً من دون نقص يقال له في اللغة العربية: توفّى الشيء. توفيت المال أخذته من دون نقص. (٢) رد القرآن الكريم على الذين أنكروا

ص: ٢٢٩

-
- ١- (١). النساء: ١٥، ٩٧؛ الانعام: ٦١؛ محمّد: ٢٧؛ المائدة: ١١٧؛ النحل: ٢٨، ٣٢، ٧٠؛ يونس: ٤٦، ١٠٤؛ الرعد: ٤٠؛ غافر: ٧٧؛ الأنفال: ٥٠؛ الزمر: ٤٢، السجده: ١١؛ الاعراف: ٣٧.
- ٢- (٢). لا بدّ من الالتفات إلى أنّ التوفى و مشتقاتها «الوفاه» تختلف عن «الفوت»؛ لأنّ الفوت يعني الانعدام المطلق، أمّا الوفاه فتعني: تسليم الأمانه إلى صاحبها.

المعاد بذريعه أن الإنسان إذا مات تحلل جسده واختلطت ذراته مع التراب فلا يمكن إعادته بحال من الأحوال: وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ.... ١ قائلًا: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ. ٢

يستفيد من الآيات التي عبرت عن الموت بالتوفى أن الموت يمثل عملية استلام وقبض؛ بمعنى أن الإنسان عندما يموت يقع بتمام وجوده وشخصيته في يد الملائكة الموكلين كاملاً من دون أى نقص. من هنا من آيات الذكر الحكيم ثلاث امور، هي:

١. لا يعدّ الموت فناء وانعداماً للإنسان، بل هو انتقال من عالم إلى آخر واستمرار الحياه البشريه بنحو آخر.

٢. إنّ الذى يمثّل شخصيه الإنسان الواقعيه هي «الأنا» الواقعيه وليس البدن وتوابعه؛ لأنّ البدن وتوابعه يبقى في هذا العالم ليتحلل وتتشتت ذراته وتتفسخ أعضاؤه ولم يقع في يد الملائكة منه شيء أبداً، أنّ الذى يشكل حقيقه الإنسان وواقعه هو الذى يعبر عنه القرآن الكريم تاره بالروح وأخرى بالنفس.

٣. تكتسب الروح الإنسان من ناحيه المرتبه الوجوديه مقاماً أعلى ومنزله أسمى من الماده والماديات، يعنى أنّها وجود مجرد. وعند الموت تنتقل الروح إلى عالم من سنخ عالم الروح، بعبارة اخرى: إنّ تلك الحقيقه التي هي فوق عالم الماده هي التي تؤخذ مجدداً. (١)

العلاقة بين الموت والنوم

الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم عبر عن النوم بالتوفى أيضاً: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم

ص: ٢٣٠

بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَّحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. ١

وهذا التعبير عن النوم يحكى عن التشابه النسبى بينه وبين الموت. وقد بينت الآيه التاليه بوضوح سنخيه الحالتين: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. ٢

وقد ورد فى الروايه السؤال عن الموت؟ فأجاب الإمام الباقر عليه السلام :

هو النوم الذى يأتيكم فى كل ليله، إلا أنه طويل مدته (١)

يتضح من خلال الآيات والروايات أن الموت حاله تسامخ النوم، والبعثه والنشور فى عالم الآخره حال تشبهه اليقظه. فالنوم موت ضعيف وقصير الأمد، والموت نوم شديد وطويل الأمد، وفى الحالتين تنتقل روح الإنسان من عالم إلى عالم آخر، إلا أن الإنسان عند النوم لا يحس غالباً وعندما يستيقظ لا يشعر بأنه رجع من عالم آخر، بخلاف الموت فإن كل شىء معلوم لديه. (٢)

خلاصه البحث

١. استعمل القرآن للتعبير عن الموت مصطلح «التوفى» وهو أخذ الشىء كاملاً ويراد منه أن حقيقه الموت تمثل عمليه استلام وقبض، أى أن الإنسان عندما يموت يقع بتمام وجوده وشخصيته فى يد الملائكه الموكلين كاملاً من دون أى نقص.

ص: ٢٣١

١- (٣) . معانى الأخبار: ٢٨٩؛ المحججه البيضاء: ٢٥٥/٨.

٢- (٤) . لمزيد الاطلاع راجع: معاد شناسى (المعاد): ١/المجلس الخامس.

٢. التعبير عن الموت بالتوفى يكشف عن كون الذى يمثّل شخصيه الإنسان الواقعيه هي «الانا» أو الوجود المجرد عن الماده، وهو أسمى وأرفع من البدن وتوابعه.

٣. عبر القرآن الكريم عن النوم بالتوفى، وهذا يكشف عن التشابه النسبى ووحده السنخيه بينهما.

٤. روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه عبر عن الموت بقوله: هو النوم الذى يأتيكم فى كلّ ليله، إلا أنه طويل مدته.

ص: ٢٣٢

يستفاد من الآيات والروايات المتواتره أنّ الإنسان لا ينتقل بعد الموت إلى عالم القيامة الكبرى وإنما هناك مرحله وسطيه بين الحياه الدنيا والقيامة الكبرى يعبر عنها بعالم البرزخ.

والبرزخ لغه: الحاجز بين الشيئين. وهو ما بين الدنيا والآخره من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. (١) وفي تفسير على بن إبراهيم القمّي: البرزخ أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخره. (٢)

وقد وردت كلمه البرزخ في القرآن الكريم ثلاث مرّات، واحده منها تتعلّق بالفاصله بين الموت والقيامة: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. ٣

تحكى الآيه المباركه عن ندم الإنسان بعد الموت، وطلبه العوده إلى الحياه الدنيا لعله يتدارك ما فاته فيها، إلّا أنّ الجواب يأتيه بالرفض القاطع كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا.

ص: ٢٣٣

١- (١). مجمع البحرين: ٢/٤٣٠.

٢- (٢). تفسير القمّي: ٢/٩٤؛ وراجع: بحار الأنوار: ٦/٢١٤.

كذلك يستفيد من كثير من آيات الذكر الحكيم أنّ الإنسان ما بين الموت والقيامة الكبرى، يعيش حياه خاصه لها مميزاتا من قبيل، أنه يشعر ويحس بها، يتكلم ويسمع، يلتذ ويتألم، يفرح ويحزن، فهو بين سعيد وشقى، ويمكن تصنيف تلك الآيات التي يصل عددها إلى خمس عشره آيه إلى عدّه أصناف: (١)

١. الآيات التي تتحدّث عن الحوار الذى يحدث بين الناس - سواء كانوا صالحين أم طالحين - وبين الملائكة بعد الموت مباشرة، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. ٢

فالآيه المباركه تذكر كيف أنّ الملائكة لدى قبضهم لأرواح هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وعاشوا فى محيط فاسد، يسألونهم عن حالهم فى الدنيا وظلمهم لأنفسهم... فيتذرع هؤلاء بأنهم كانوا مُسْتَضْعَفِينَ فى الأرض، لكن عذرهم هذا لم يقبل منهم، إذ يرد الملائكة عليهم قائلين: لماذا لم تتركوا موطن الشرك والفساد وتنجوا بأنفسكم من الظلم، والكبت عن طريق الهجره إلى أرض غير أرضكم من أرض الله الواسعه. (٢)

٢. الآيات التي تشير إلى الحوار والحديث الذى يتم بين الملائكة والصالحين والذى يكشف عن تنعم الصالحين بالنعم الإلهيه قبل القيامه الكبرى، كما جاء فى قوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. ٤

ص: ٢٣٤

١- (١). مجموعه الآثار: ٥١٤/٢ - ٥١٩.

٢- (٣). ومن هذه الطائفة، الآيه ١٠٠ من سوره المؤمنون التي مرّت الإشاره إليها.

٣. الآيات التي تتحدّث مباشرة عن الحياه السعيده لبعض الناس والشقاء الذى يصيب البعض الآخر بعد الموت وحتى القيامه الكبرى، وتؤكد أنّ الطائفه الأولى تعيش النعيم والسعاده والأخرى تعيش العذاب والشقاء، منها قوله تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ*** فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. ١

والآيات صريحه فى الدلاله على حياه الشهداء فى سبيل الله وتنعمهم، وأنها غير قابله للتأويل بحال من الأحوال. كذلك تدلّ على علمهم بمن بقوا وراءهم فى الحياه الدنيا ولم يحن أجلهم بعد: ... **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يُؤَمُّونَ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. ٢**

والآيه صريحه فى أنّ آل فرعون يعذبون بنوعين من العذاب: الأول: سوء العذاب وهو العرض على النار غدواً وعشياً قبل القيامه الكبرى ومن دون أن يدخلونها. والثانى: أشدّ العذاب فى القيامه الكبرى حين يأتى الأمر الإلهى **أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.**

وقد اشير إلى أنّ العذاب الأول يتمّ غدواً وعشياً خلافاً للعذاب الثانى؛ وذلك لأنّ الأول يتعلّق بعالم البرزخ، ولعله لعدم انقطاع أهل البرزخ عن الدنيا بالكلية فتكون لهم نسبه ما إلى الغداه والعشى، الصباح والمساء واليوم والأسبوع، والشهر والسنه، خلافاً للقيامه. (١)

ص: ٢٣٥

١- (٣). راجع: العلامه الطباطبائى، الميزان فى تفسير القرآن: ٣٣٥/١٧. الجدير بالذكر أنّ النار التى يعرض عليها آل فرعون هى نار الآخره. (راجع: العلامه الطباطبائى، انسان از آغاز تا انجام: ٧٩). طبعاً هناك بعض الآيات البرزخيه تشير إلى نار يدخلها الاشقياء، كآيه ١٠٦ من سوره هود.

هناك الكثير من الروايات التي تحدّثت عن عالم البرزخ وأحواله وأحكامه. (١) منها الرواية المفصلة المنقولة بأسانيد مختلفه والتي ذكرتها المصادر الحديثيه المعتمره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخره، مثل له أهله وماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً فما عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، ثمّ يلتفت إلى ولده، فيقول: والله إنّي كنت لكم لمحجّباً وإنّي كنت عليكم لمحامياً، فماذا عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإنك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم حشرك، حتّى أعرض أنا وأنت على ربّك. (٢)

فإن كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأزينهم رياضاً، فيقول: أبشر بروح من الله وريحان وجنه نعيم، وقد قدمت خير مقدم. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عمّلك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنه. وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله، فإذا أدخل قبره أتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران أشعارهما وينحنان الأرض بأنياهما وأصواتهما كالرعد العاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربّك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: الله ربّي ومحمّد نبيّ والإسلام ديني. فيقولان: ثبتك الله بما تحبّ وترضى وهو قول الله: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، ٣

يفسحان له في قبره مد بصره ويفتحان له

ص: ٢٣٦

- ١- (١). لمزيد الاطلاع راجع: بحار الأنوار: ج ٦؛ الكافي: ج ٣؛ المحجّه البيضاء: ج ٨.
- ٢- (٢). هذا المقطع من الروايه يحكى عن تجسم الأعمال في البرزخ.

باباً إلى الجنة، (١) ويقولان له: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً. ٢

وأما إن كان لربّه عدواً، فإنه يأتيه أفبح من خلق الله رياشاً، وأنتمهم ريحاً فيقول: أبشر بنزل من حميم وتصليه جحيم، وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أدخل في قبره أتاه ممتحناً القبر، فألقيا أكفانه، ثم قال له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: لا دريت ولا هديت. فيضربان يافوخه بمرزبه ضربه ما خلق الله من دابه إلا تدعر لها، ما خلا الثقلين، ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال، فإنه من الضيق مثل ما فيه القناه من الزج، حتى أن دماغه ليخرج ممّا بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه من قبره، وأنه ليتمنى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشر.

(٢)

السؤال والحساب بعد الموت

استناداً إلى ما ورد في الرواية السابقة وروايات كثيرة أخرى، أن الملكين منكرًا ونكيرًا يأتيان إلى الميت ويسألانه عن عقائده، كالتوحيد والنبوه والدين الذي يتعبد به. وهذه الأسئلة كسائر الحوادث تقع بعد الموت وفي عالم البرزخ، ولا يشاهدها إلا أصحاب الرؤيه البرزخيه.

ص: ٢٣٧

١- (١). قال العلامة الطباطبائي: ورد في الكثير من الروايات أن الإنسان بعد أن يموت يفتح له باب إلى الجنة ويقال له: نم قرير العين نوم الشاب الناعم. أو باب إلى النار، ثم يقال له: نم بشر حال! لكن لم تصرح أي من الروايات بأن الميت يدخل الجنة، وإنما المصرح به - باتفاق الروايات - أنه يشاهدها فيرى مكانه فيها فمن هناك يهب عليه نسيم الراحه والسرور، ويقال له: نم قرير العين. (راجع: انسان از آغاز تا انجام: ٨٣).

٢- (٣). راجع: تفسير علي بن ابراهيم القمي: ٣٤٠/١؛ تفسير العياشي: ٢٧٧/٢؛ الكافي: ٢٣١/٣ - ٢٣٣؛ أمالي الطوسي: ٣٥٧/١ -

٣٥٩.

كذلك ورد في الروايات الكثيره (١) أنّ السؤال والمؤاخذة في القبر يختصان بالمؤمنين والظالمين فقط ولا يشملان المستضعفين والمتوسطين. روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام :

لا يسأل في القبر إلا من مَحَصَّ الإيمان محصاً أو مَحَصَّ الكفر محصاً والآخرون يلهون عنهم. (٢)

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام :

قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوه محمّد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم؟

فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوه، فإنّه يخذ له خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتّى يلقي الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله. قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم.

٣

الميت يزور أهله

روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام :

إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُزُورَ أَهْلَهُ فَيَرَى مَا يَحِبُّ وَيَسْتُرُّ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ٤

وفي روايه اخرى:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ

ص: ٢٣٨

١- (١) . وصلت تلك الروايات إلى حد الاستفاضه. (راجع: انسان از آغاز تا انجام: ٨٤).

٢- (٢) . الكافي: ٢٣٥/٣، الحديث ١.

الشمس فإذا رأى أهله يعملون بالصّالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصّالحات كانت عليه حسرة. (١)

وقد وردت روايات كثيرة في هذا المضمون وجاء في بعضها أنّ الميت يزور أهله في صورته طائر لطيف يسقط على جدرانهم ويشرف عليهم. (٢) وهو من باب تجسم الأرواح.

خلاصه البحث

١. يعيش الإنسان بعد الموت مرحله وسطية بين الحياه الدنيا والقيامة الكبرى يعبر عنها بعالم البرزخ. والبرزخ لغه: الحاجز بين الشيئين.

٢. هناك ثلاث طوائف من الآيات تشير إلى الحياه البرزخية بين الموت والقيامة الكبرى: (أ) الآيات التي تتحدّث عن الحوار الذي يحدث بين الناس - سواء كانوا صالحين أم طالحين - وبين الملائكة بعد الموت مباشرة. (ب) الآيات التي تشير إلى بشاره الملائكة للصالحين من العباد وقولهم لهم: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (النحل، ٣٢). (ج) الآيات التي تتحدّث مباشرة عن الحياه السعيده لبعض الناس والشقاء الذي يصيب البعض الآخر بعد الموت وحتى القيامه الكبرى. (آل عمران، ١٦٩، ١٧٠؛ المؤمن، ٤٥ - ٤٦).

٣. ورد في الروايات أنّ الملكين منكرًا ونكيرًا يأتيان إلى الميت ويسألانه عن عقائده، وأنّ السؤال والمؤاخذه في القبر يختصان بالمؤمنين والظالمين فقط ولا يشملان المستضعفين والمتوسّطين.

٤. إنّ المؤمن يزور أهله فيرى ما يحبّ ويستتر عنه ما يكره

ص: ٢٣٩

١- (١). المصدر، الحديث ٢.

٢- (٢). المصدر، الحديث ٣؛ وتدلل على ذلك الآيه ١٧١ من سوره آل عمران، حيث جاء فيها: فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

إشاره

يمثل القرآن الكريم وكلمات المعصومين (عليهم السلام) الطريق الوحيد لمعرفة وقائع القيامه وأحكامها، فعندما نراجع القرآن الكريم نراه يؤكد على أن القيامه الكبرى تقترن مع حدوث تحولات كبيره وأهوال عظيمه فى النظام الكونى، بنحو يطوى فيه بساط عالم ليحل محله عالم آخر يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، ثُمَّ يبعث الله تعالى جميع الناس ليشاهدوا وليروا نتائج أعمالهم. ونحن هنا نحاول أن نستعرض باختصار مضامين تلك الآيات المباركه.

تزلزل الأرض، الجبال، البحار

فى ذلك اليوم العصيب تزلزل الأرض زلزلاً عظيماً وترج رجه مهوله: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، ٢ و إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، ٣ فتخرج الأرض ما فيها وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ

أثقالها، ١ وتدك الأرض والجبال دكاً، ٢ وتسجّر البحار وتفجر، ٣ وتسير، ٤ وتفت كالسويق الملتوت، ٥ فتضطرب وترتجف وتكون تله من الرمل يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا، ٦ ثم وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ، ٧ وبعد ذلك ينسفها الله نسفًا، ٨ فاذا بها كالسراب وَ سِيْرَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا. ٩

انقلاب السماء والكواكب

فى ذلك اليوم يخسف القمر، ١٠ وتكور الشمس ويزال نورها، ١١ وتنطمس وتنكدر تلك الكواكب العظيمة التى يتجاوز حجم بعضها حجم الشمس بملايين المرات ١٢ ويضطرب نظام حركتها وتنتشر، ١٣ وتجمع الشمس والقمر، ١٤ وتضطرب السماء التى

ص: ٢٤٢

كانت سقفاً محفوظاً يحيط بالأرض وتدور كالرحا، (١) وتشقق وتذوب كالزيت، (٢) وتطوى السماء كطى السجل للكتب، (٣) فتكون السماء كالفضه المذابه، (٤) ويملاً الفضاء دخان ميين. ٥

النفخه الأولى فى الصور

ينتقل القرآن الكريم بعد بيان تلك الحوادث المرعبه إلى الحديث عن النَّفْخِ الأوَّلِ فى الصُّورِ، الذى يوجبُ موتَ كلِّ الأحياءِ فى السَّمَاوَاتِ والأرضين. ٦ فلم يبق فى الأرض أثر لأى نوع من أنواع الحياه؛ وتعم الكون الوحشه والاضطراب والفرع الشديد إلّا من علموا بسرَّ الكون وحقيقه العالم وملئت قلوبهم بالمعرفه والعشق الإلهى وهم عباد الله المخلصون فهم آمنون من ذلك الفرع.

٧

النفخه الثانيه فى الصور

بعدها تبدأ مرحله الحياه الخالده، ٨ حيث تشرق الأرض بنور ربّها، ٩ فينفخ فى الصور

ص: ٢٤٣

١- (١). الطور: ٩: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا؛ الحاقه ١٦.

٢- (٢). الرحمن: ٣٧: فَيَاذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ؛ وراجع: الحاقه: ١٦؛ المزمّل: ١٨؛ المرسلات: ٩؛ النبأ: ١٩؛ الانفطار: ١؛ الانشقاق: ١.

٣- (٣). الانبياء: ١٠٤: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ؛ التكوير: ١١.

٤- (٤). المعارج: ٨: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ.

النفخه الثانيه التي توجب إحياء الموتى: ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَاِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ١ ولا يقتصر الأمر على الإنسان، بل يعم الحيوانات أيضاً ٢ فما هي إلا لحظه واحده فإذا الجميع يحشرون أحياء ٣ سراعاً ٤ خاشعين كأنهم فراش مبثوث ٥ ينسلون إلى ربهم ٦ قد جمعوا في محشر عظيم ٧ يظنّ المجرمون منهم أنهم ما لبثوا في عالم البرزخ غير ساعه أو يوم أو عدّه ايام. ٨

ظهور حاكميه الله وانقطاع الأسباب والأنساب

إنّ عالم الآخره عالم تتجلى فيه الحقائق، ٩ فهناك يظهر للجميع بأنّ الحاكميه الحقه والسلطه الواقعيه لله تعالى فقط، ١٠ حيث تغرق الخلائق في عالم من الخوف والرعب وتبهرهم الهيئه الإلهيه فلا ينبس أحد منهم بكلمه فالكّل سكوت مرعوبون، ١١ لا يهيم

المرء في ذلك الموقف إلاً نفسه، فالأب يفر من ابنه والابن من أبيه وهكذا الأم من ولدها والصاحب من صحابته يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ* وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ١ وتنقطع جميع الأسباب (١) والأنساب (٢) و الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، ٤ فهم في حسره وندم على ما فرطوا في الدنيا قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا. ٥

محكمه العدل الإلهي

بعد ذلك كله تنعقد محكمه العدل الإلهي وتوضع الموازين الحقه فتحضر أعمال العباد، (٣) ويستلم كل انسان كتاب أعماله وَ كُتِبَ لِلْإِنْسَانِ أَلْحَقُ بِمَا أَسَاءَ وَ نَجَحُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا* اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا، ٧ وتكون الامور يومئذٍ بدرجه من الوضوح، بحيث لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ٨ فلا يقال له ماذا فعلت وماذا اقترفت؟ فالكل واضح جلي بارز للعيان.

وشهود هذه المحكمه الإلهيه هم الملائكه، الأنبياء وعباد الله المخلصون، ٩ بل

ص: ٢٤٥

١- (٢) . البقره: ١٦٦: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ.

٢- (٣) . المؤمنون: ١٠١: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لَا يَتَسَاءَلُونَ.

٣- (٤) . آل عمران: ٣٠: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا...؛ التكوير: ١٤؛ الإسراء: ٤٩.

يَوْمَئِذٍ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، ١ والحق هو المعيار والميزان وَ الْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ، ٢ وتتعقد المحكمة الإلهية على أساسى العدل والقسط فلا ظلم يومئذٍ ولا عدوان؛ ٣ ويرى كل منهم ثمره عمله ٤ فينال الصالحون جزاءهم مضاعفاً ٥ ويومئذٍ لا تحمل نفس آثمه إثم نفس اخرى ٦ إلا المصلين فإنهم يحملون أوزاهم وأوزار من أضلوهم، ٧ من دون أن ينقص من إثم اولئك شىء، وفى ذلك اليوم لا يقبل من المجرم فديه ولا عيلاً، ٨ ولا تقبل فيه شفاعه، ٩ إلا من ارتضى الله شفاعته فشفعون انطلاقاً من الشروط والمعايير التى وضعها الله تعالى لا يتجاوزن ذلك. ١٠

بعد البت في أفعال العباد يصدر الحكم الإلهي ١ فيميز الله الخبيث من الطيب، ٢ فالمؤمنون وجوههم نصره مستبشره يساقون إلى الجنة راضين مرضيين، ٣ والكافرون وجوههم مسوده يساقون إلى النار بذلك وهوان، ٤ ولكن الجميع يمرون عبر طريق النار وَ إِن مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا. ٥ ويعيش الكافرون والمنافقون في ظلام دامس.

يعيش المنافقون في الحياه الدنيا إلى جانب المؤمنين وجوارهم من هنا نراهم ينادونهم في ذلك اليوم العصيب أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ فَيَأْتِيهِمُ الرِّدُّ إِزْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا، فلما يلتفت المنافقون يضرب بينهم وبين المؤمنين بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ. ٦

ثم ينادى المنافقون المؤمنين مره اخرى ويقولون: يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا

بَلَىٰ وَلَكُمْ فِتْنَةٌ أَنْفُسِكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ اعْرَبْتُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ عَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوَكِّمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ. ١

يصف القرآن الكريم صورته اقتراب المؤمنين من أبواب الجنة في قوله تعالى وَ سَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا وَ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. ٢ وَأَمَّا الْكَاْفِرُونَ فَيَصِفُهُمْ دَخُولُهُمُ النَّارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ سَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. ٣

الجنة

أشارت آيات الذكر الحكيم إلى صفات الجنة التي أعدت للمتقين، منها كثره حدائقها وتعددتها ووفره نعمها وأن عرضها كعرض السموات والأرض و سارعوا إلى مغفره من ربكم و جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. ٤ وسهولة اقتطاف وتناول ثمارها (١) وطيب مساكنها (٢) ووفره الانهار الصافية التي تجري من

ص: ٢٤٨

١- (٥) . الحاقه: ٢٢ - ٢٣: في جنة عاليه* قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ؛ الدهر: ١٤؛ النبأ: ٣٢.

٢- (٦) . التوبه: ٧٢: وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الفرقان: ٧٥؛ الزمر: ٢٠؛ سبأ: ٣٧.

تحتها، ١ بل... فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ و أنهارٌ من لبنٍ لم يَتَغَيَّرِ طَعْمُهُ و أنهارٌ من خمرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ و أنهارٌ من عَسَلٍ مُصَيَّفٍ فِي... ٢ و، لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ٣، بل لهم فيها أكثر مما يشاءون. ٤

كذلك تعرّضت الآيات المباركة إلى لباس المؤمنين في الجنة والزينه التي يحلون بها يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسَنَتْ مَرْتَفَعًا ٥، وأنهم يجلسون متقابلين على أفضل أنواع الأسره متكئين على أفضل الوسائد المزينه بأنواع الزينه والمرصعه بأفضل المجوهرات، ٦ يحمدون الله ويسبحونه ٧ لا يسمعون فيها لغواً ٨ و لا يروْنَ فِيهَا شَمْسًا وَ لا زَمْهَرِيرًا ٩ و لا يمسهم فيها تعب و نصب و لا لغوب و اعياء، ١٠ و لا خوف و لا حزن ١١ قد نزع الله تعالى ما فيه قلوبهم من غل و أحقاد و أدران. ١٢

ص: ٢٤٩

يخدمهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون ١ و يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذه للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون.
٢ و... يدعون فيها بفاكهه كثيره و شراب ٣ و ولهم فيها أزواج مطهره ٤، والأفضل من ذلك كله يبشرهم ربهم برحمه منه و
رضوان... ٥، بل لا يمكن تصور مدى الرحمة والفضل الإلهي الذي تقر به عيونهم ذلك اليوم. ٦

والأهم من ذلك خلود هذه السعاده العظيمة والنعم التي لا توصف والرحمة والرضوان والقرب الإلهي، ٧ وأن ذلك الأجر غير
ممنون ومقطوع أبداً. ٨

النار

أما جهنم التي هي مثوى الكافرين والمنافقين الذين لم يسطع نور الإيمان على

ص: ٢٥٠

قلوبهم أبداً ١، فإنها بقدر من السعه بحيث كلما ألقى فيها فوج طلبت المزيد. ٢ ملؤها النار وأنواع العذاب.

ولقد وصفت آيات الذكر الحكيم الصورة المرعبه للنار بصور مختلفه وأشارت إلى حالات متنوعه من أنواع العذاب فيها، منها: الإشارة إلى الأصوات الشديده المرعبه والحاكيه عن الغضب الإلهي التي ترتجف منها قلوب أصحاب النار فيتضاعف خوفهم ووجلهم. ٣ أتراباً وجوههم فهي كالحه مسوده مكفهه يعلوها القتر والحزن، ٤ حتى تجد ذلك الأثر بادياً على وجوه الملائكه الموكلين بعذابهم فلا تجد أثراً للرحمه والشفقه في قلوبهم. ٥

الصورة الأخرى التي تعرضها الآيات القرآنيه لهم هي صوره الأغلال والقيود التي في أعناقهم ورقابهم وأيديهم فهم مقرنين في الأصفاد والسلاسل ٦ تحيط بهم ألسنه النيران ولهيبها المحرق من كل مكان وجهه سيرايبيلهم من قطرانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ٧ بل الأنكى من ذلك أنهم أنفسهم يتحولون إلى وقود للنار... فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... ٨

ص: ٢٥١

كذلك تصف لنا الآيات الشريفة طبيعه الفضاء الحاكم فى النار بأنه فضاء ملؤه الأنين والنحيب والصراخ والعيول والنزاع والتخاصم والويل والشبور وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ١، وكذلك تنتقل الآيات لتصف لنا صوره مرعبه اخرى من صور جهنم وهى صوره الحميم الذى يصب على رؤوسهم...يُصِيبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ٢، والشراب الذى يُغاثون به شراب يشوى الوجوه ويغلى البطن وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل يشوى الوجوه ينس الشراب و ساءت مُرتفقاً ٣ إلما أنهم مع شدّه حراره ذلك الماء وتناه رائحته وشدّه مروره طعمه تراهم يقبلون عليه هائمين كالإبل العطاش التى لا تروى. ٤

أما طعامهم فمن شجره الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم، يقول الله تعالى فى وصف ذلك الطعام

أَذِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ* إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ* إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ* فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا يُؤْنِ مِنْهَا الْبُطُونَ. ٥

ثم ينتقل القرآن الكريم ليصف لنا اللباس الذى يرتديه أصحاب الجحيم بأنه قطع من النار والمواد المؤلمه شديده الحراره فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ. ٦

وهناك صورته اخرى لا تهملها الآيات الكريمة وهي الإشارة إلى طبيعه مجتمع أهل النار والندماء فيه فتقول: إنه مجتمع خليط من المجرمين والكافرين والشياطين والجن، مما يؤدي إلى مضاعفه عذاب الكافرين الروحي، حتى يتمنى الكافر أن بينه وبينهم بعد المشرقين. (١)

أما لغة التعامل بينهم فهي لغة السباب والشتائم واللعن والتبى. ٢

إنهم يعيشون الذل والهوان ولا يسمح لهم بالاعتذار فكلما أرادوا الكلام أو الاعتذار يخاطبون بأقسى كلمات التحقير وهي كلمه «احسأ» ٣ وحينما توصلد الأبواب فى وجوههم يلجؤون إلى خزنه جهنم طالبين منهم التوسل للتخفيف من عذابهم وقال الذين فى النار لخيرنه جهنم اذعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب* قالوا أ ولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال. ٤ فلم يبق أمامهم إلا طلب الموت مره اخرى، لكن يأتيهم الجواب: كلما إنكم ماكنون و نادوا يا مالكم ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكنون. ٥ والعجيب أنهم يشاهدون الموت فى كل لحظه ويأتيهم الموت من كل مكان إلا أنهم ليس بميتين؛ ٦ وذلك لأنه كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب. ٧

ص: ٢٥٣

١- (١). الرخرف: ٣٨ - ٣٩: حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعيد المشرقين فيبس القرين* ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم فى العذاب مشتركون؛ الشعراء: ٩٤ - ٩٥؛ ص: ٨٥.

صوره اخرى من صور الذلّ التي تعيشها تلك النفوس المتكبره والمستعليه فى الدنيا الذليله فى جهنم هى صوره الاستجداء والتوسل بالمؤمنين ليفيضوا عليهم قليلاً من الماء أو ممياً رزقهم الله تعالى، ولكنهم لا- يسمعون إلّا كلمه: إنّ الله حرمها على الكافرين. ١

هنا يسأل المؤمنون الكافرين عن السبب الذى أدى بهم إلى هذا المصير المشؤوم والسقوط فى سقر ما سلككم فى سقر؟ فىأتى الاعتراف منهم بأنهم كانوا من المتمردين على الأوامر الإلهيه قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصِِّلِينَ* وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ* وَ كُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَ كُنَّا نُكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ. ٢

ثم يبدأ الشجار والتشابك والتخاصم بين المضلين والمضللين هذا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ، فكلّ فريق يلقي باللائمه على الفريق الثانى فى حصول الانحراف والضلال قالوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئسَ الْقَرَارُ* قالوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ* ... إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ. ٣ فيقول المضللون للمضلين. قالوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ* قالوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ٤، وفى آيه اخرى فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ. ٥

وأخيراً يلتفت الجميع إلى الشيطان ملقن عليه باللائمة في ضلالهم وانحرافهم وطالبيين منه أن ينقذهم من الورطه التي أوقعهم فيها والمصير المشؤوم الذى أوصلهم اليه، فيتصل هو الآخر عن المسئوليه ويلقيها فى أعناقهم وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ... ١

فلم يبق أمامهم إلا الاعتراف بجرمهم والتسليم بجزاء أعمالهم وخلودهم فى نار جهنم. (١)

ص: ٢٥٥

١- (٢) . البينه: ٦: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...؛ البقره: ٣٩، ٨١، ١٦٢، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٥؛ آل عمران: ٨٨، ١١٦؛ النساء: ١٦٩؛ المائده: ٣٧، ٨٠؛ الانعام: ١٢٨؛ الأعراف: ٣٦؛ التوبه: ١٧، ٦٣، ٦٨؛ يونس: ٢٧، ٥٢؛ هود: ١٠٧؛ الرعد: ٥؛ النحل: ٢٩؛ الكهف: ١٠٨؛ طه: ١٠١؛ السجده: ٢٠؛ المؤمنون: ١٠٣؛ الأحزاب: ٦٥؛ الزمر: ٧٢؛ غافر: ٧٦؛ الزخرف: ٧٤؛ المجادله: ١٧؛ التغابن: ١٠؛ الجن: ٢٣.

يستفيد من آيات الذكر الحكيم والروايات الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) أنّ الإنسان المؤمن لا يخلد في العذاب وإن كانت أعماله غير مرضيه وليست بالمستوى المطلوب.

فقد وعد الله تعالى عباده بأن يتجاوز عن ذنوبهم الصغيره شريطه أن يتجنبوا كبائر الإثم. (١) أمّا الذنوب الكبيره، فإنّه تعالى يعفو عنها إذا تاب صاحبها توبه نصوحاً، فإن لم يوفق للتوبه في الحياه الدنيا فحينئذٍ يخفف من عذابه بسبب الآلام والمصاعب التي عاناها في الحياه الدنيا، بالإضافة إلى كون عذاب البرزخ ومواقف يوم القيامه سبباً لتطهيره من الذنوب، فإن بقي من ذنوبه شيء، فحينئذٍ يأتي دور الشفاعة فيغفر له ذنبه وينجو من عذاب النار بفضل شفاعة من أذن لهم الرحمن، فقد روى عن النبي الاكرم صلى الله عليه و آله :

ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من امتي (٢)

من هنا نعلم بأنّ الشفاعة هي الأمل الأ-كبر والأ-خير للمذنبين من المؤمنين، لكن الأمل في الشفاعة لا-يمكن أن يكون مبرراً للإنسان في خداع نفسه واقتراف ما يشاء من المعاصي والذنوب؛ وذلك لأنّ للذنب -بالإضافة إلى ما يترتب عليه من العقاب

ص: ٢٥٧

١- (١) . النساء: ٣١: إِنَّ تَجْتَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا .

٢- (٢) . بحار الأنوار: ٣٧/٨ - ٤٠.

الإلهى - أثراً كبيراً فى إطفاء شعله النور الإلهيه مما يؤدى فى نهايه الأمر إلى سقوط الإنسان فى الشقاء والعذاب الدائم، وهذا الخطر موجود دائماً ولا يمكن بحال من الأحوال التهاون فيه وعدم الالتفات إليه. (١)

مفهوم الشفاعة

للشفاعة أصل واحد يدل على مقارنه الشئين، من ذلك الشفع، خلاف الوتر، تقول كان فرداً فشفّعته. (٢) والمراد من الشفاعة فى الفكر الإسلامى: وساطه الأولياء الإلهيين بين الله تعالى وبين عبده المؤمن ليعفو عنه ويغفر له ذنوبه، وكأنّ الشخص المشفوع له لم يكن مؤهلاً وحده لاستحقاق الرحمة الإلهيه، فإذا قرن بشفاعة الشفيع فحينئذ يكون مؤهلاً لشمول الرحمة الإلهيه له.

نفى الشفاعة الباطله وإثبات الشفاعة الحقه

نعتقد أنّ الشفاعة تنقسم إلى شفاعة مرفوضه وشفاعة مقبوله، مثال الأولى الشفاعة التى يعتقد بها المشركون والتى تستلزم النقص فى الله سبحانه، فهذه الشفاعة باطله وقد صرح القرآن الكريم ببطالانها: ...لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ... ٣

أما الشفاعة الحقه فهى شفاعة من أذن له الله تعالى بها: ...مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ... ٤

بل القرآن الكريم صريح فى كون الشفيع المقبوله شفاعته هو الذى يعلم ويشهد بالحق: وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. ٥

ص: ٢٥٨

١- (١). الروم: ١٠: تُمْ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَؤُوا السُّوَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ .

٢- (٢). المقاييس: ٢٠١/٣.

١. إن مصير الإنسان المؤمن في نهاية المطاف إلى الجنّة.

٢. إذا مات المؤمن ولم يتب بعد، ولم تطهره الآلام والمشاكل الدنيوية ولم يطهره عذاب البرزخ ولا مواقف يوم القيامة فحينئذٍ تصل النوبه إلى نجاته عن طريق الشفاعة.

٣. الشفاعة مشتقّة من الشفع، والمراد بها وساطه الأولياء الإلهيين بين الله تعالى وبين عبده المؤمن ليعفو عنه ويغفر له ذنوبه.

٤. الشفاعة التي يؤمن بها المشركون تستلزم النقص على الله تعالى، لذلك حكم القرآن ببطالانها، وهناك شفاعة مقبولة وهي التي تقع بإذن من الله تعالى.

٥. لا يحقّ الشفاعة إلّا لمن يعلم ويشهد بالحقّ.

١. ابن البطريق: شمس الدين، يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي، عمده عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٧ هـ .
٢. ابن فارس: أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، دار إحياء الكتب العربيه، القايره، أوفسيت.
٣. ابن منظور الإفريقي: جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر: أدب الحوزه، قم، ١٤٠٥ هـ .
٤. أبو جعفر، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، المكتبه العلميه، طهران.
٥. الاستربادى: محمد جعفر بن سيف الدين، البراهين القاطعه فى شرح تجريد العقائد الساطعه، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات، بوستان كتاب، قم، ١٣٨٢ ش.
٦. الأصفهاني: موفق الدين، إسماعيل بن محمد اليتيمى، دلائل النبوه، تحقيق: مساعد بن سليمان، دارالعاصمه للنشر و التوزيع.
٧. الأصفهاني: الراغب، حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات فى غريب القرآن، المكتبه الرضويه، طهران، ١٤٠٣ هـ .

٨. الأميني: الشيخ عبدالحسين النجفي، موسوعه الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دائره معارف الفقه الإسلامى طبقاً لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)، قم، ط ٢، ١٤٢٤هـ .

٩. البحراني: السيد هاشم الموسوي التويلي، غايه المرام ووجه الخصام في تعيين الإمام، تحقيق: السيد علي عاشور.

١٠. البخاري: محمد بن اسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تصحيح و تحقيق: ديب البغاء، دار ابن كثير واليمامه، دمشق، ط ٤، ١٩٩٠م.

١١. الجرجاني: أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، التعريفات، دارالكتب العلميه، بيروت، لبنان، ط، ٢٠٠٠م.

١٢. الحاكم الحسكاني: عبيدالله بن أحمد النيسابوري (ق ٥هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفصيل، تحقيق: الشيخ محمدباقر المحمودي، مؤسسه الطبع و النشر التابعه لوزاره الإرشاد، الإسلامى، طهران، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٣. الحلّي: العلامه الحسن بن يوسف المطهر، نهج الحق وكشف الصدق، تعليق: عين الله الأرموي، دارالهجره، قم، ١٤١٤هـ .

١٤. -، نهج المسترشدين في اصول الدين، تصحيح: محمدهادي اليوسفي الغروي، ط ١، ١٣٥٣ش.

١٥. -، تجريد الاعتقاد، تصحيح و تعليق: الشيخ حسن زاده آملی، مؤسسه النشر التايعة لجماعه المدرسين، قم، ط ٧، ١٤١٧هـ .

١٦. الرازي: محمد بن عمر بن الحسين، الشهير بالفخر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، نشر: مكتب الإعلام الإسلامى، قم، ط ٤، ١٤١٣هـ .

١٧. السبحاني: الشيخ جعفر التبريزي، محاضرات في الإلهيات، نشر: مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم.

١٨. -، الإلهيات على هدى القرآن والسنة والعقل، بقلم: حسن محمد العاملي، نشر: مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم، إيران، ط ٦، ١٤٢٦هـ .

١٩. السيوري: الفاضل المقداد بن عبدالله، إرشاد الطالبين إلى شرح نهج المسترشدين، تحقيق: الرجائي، نشر: مكتبه السيد المرعشي، قم.

٢٠. الشاهرودى: على نمازى، تاريخ الفلسفه والتصوّف، ترجمه: سيد سجاد رضوى، تحقيق: مرتضى اعدادى خراسانى، قم، ط ١، ١٣٩٢ش.
٢١. الشيرازى: الشيخ ناصر مكارم، وجماعه، رساله القرآن، نشر: مدرسه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، قم، ط ١، ١٣٦٧ش.
٢٢. الصافى: الشيخ لطف الله الكپايگانى، منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر(عج)، نشر: مكتب لطف الله الصافى، قم، ط ١، ١٣٨٠ش.
٢٣. الصدوق: أبوجعفر، محمد بن على بن الحسين (ت ٣٨١هـ)، معانى الأخبار، دارالمعرفه، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤. الصدوق: محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١هـ)، إكمال الدين و تمام النعمه، تحقيق: على أكبر غفارى، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ .
٢٥. -، الأمالى، مؤسسه الأعلى، بيروت، ١٤٠٠هـ .
٢٦. الطباطبائى: السيد محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، نشر: جماعه المدرسين فى الحوزه العلميه، قم، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه.
٢٧. -، الميزان فى تفسير القرآن، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٠م.
٢٨. الطبرسى: أمين الإسلام، أبوعلی الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان فى التفسير القرآن، دارالمعرفه، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٨م.
٢٩. الطوسى: أبوجعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، الأمالى، تحقيق: قسم الدراسات والنشر فى مؤسسه البعثه، دارالثقافه، قم، إيران، ط ١، ١٤١٤هـ .
٣٠. عبدالجبار: القاضى عبدالجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسه، مكتبه الوهييه، القاهره، ١٤٠٨هـ .
٣١. العياشى: محمد بن مسعود بن عياشى السلمى، كتاب التفسير، تحقيق: هاشم الرسولى المحلاتى، المكتبه العلميه الإسلاميه، طهران، إيران.
٣٢. القمى: على بن ابراهيم، تفسير القمى، تصحيح و تعليق: السيد طيب الجزائرى، دارالكتاب العربى، قم، ط ٤، ١٩٨٨م.

٣٣. قنوي: صدرالدين، محمد بن إسحاق، شرح الأسماء الحسنی، تصحيح: قاسم الطهرانی، نشر: دارالهلل، بیروت، لبنان.
٣٤. القوشچی: علی بن محمد (ت ٨٧٩هـ)، شرح القوشچی علی التجريد للطوسی، تبریز، ایران، ط ١٣٠٧هـ .
٣٥. الكردي: محمد طاهر، تاريخ القرآن الكريم، السعودیه، جدّه، ١٣٦٥هـ .
٣٦. الكلینی: أبو جعفر، محمد بن یعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تصحيح: علی أكبر غفاری، طهران، المكتبه العلمیه الإسلامیه، قم، ط ١٩٨٨م.
٣٧. الماوردی: أبو الحسن، علی بن حبيب البصری (ت ٤٥٠هـ)، أعلام النبوه، نشر: مكتبه الكلیات الأزهریه، ١٩٧١م.
٣٨. المجلسی: محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسه الوفاء، بیروت، لبنان، ط ١٤٠٣هـ .
٣٩. المطهری: الشيخ مرتضى، الدوافع نحو المادیه، ترجمه: الشيخ محمد علی التسخیری، دارالتعارف للمطبوعات، بیروت، لبنان.
٤٠. -، الفطره، مؤسسه البعثه، بیروت، ط ٢، ١٩٩٢م.
٤١. -، مجموعه آثار الشهيد مطهری، انتشارات صدرا، طهران، ١٣٨٩ش.
٤٢. معرفه: الشيخ محمد هادی، التمهيد فی القرآن، نشر: مديریه الحوزه العلمیه، قم، ١٤١٠هـ .
٤٣. المغازلی: علی بن محمد بن الواسطی الشافعی، مناقب علی بن أبی طالب علیه السلام، نشر: سبط النبی صلی الله علیه و آله، قم، ط ١، ١٣٨٤ش - ١٤٢٦هـ .
٤٤. النوری: الميرزا حسين الطبرسي، النجم الثاقب فی أحوال الإمام الحجة الغائب (عج)، ترجمه: السيد ياسين الموسوي، نشر: مسجد جمکران، قم، ط ١، ١٣٨٦ش - ٢٠٠٠م.
٤٥. النيشابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دارالجبل، بیروت، لبنان.

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریان‌های اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می‌نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

